

سلسلة من خطب المسجد النبوي (٣)

أركان الإيمان

من خطب المسجد النبوي

تأليف

د. عبد المحسن بن محمد القاسم

إمام وخطيب المسجد النبوي الشريف


أركان الإيمان
من خطب المسجد النبوي

ⓗ عبد المحسن بن محمد القاسم ١٤٤٣هـ.

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

القاسم، عبد المحسن بن محمد

أركان الإيمان من خطب المسجد النبوي. / عبد المحسن بن محمد القاسم - ط١. . - المدينة المنورة، ١٤٤٣هـ

ص ١٦٨، ١٧ x ٢٤سم

ردمك: ٢-٧٩٧-٠٤-٦٠٣-٩٧٨

١ـ الإيمان (الإسلام)　　٢ـ العقيدة الإسلامية　　أ. العنوان

ديوي ٢٤٠　　١٤٤٣/٦٦٤٤

رقم الإيداع: ١٤٤٣/٦٦٤٤

ردمك: ٢-٧٩٧-٠٤-٦٠٣-٩٧٨

الطبعة الأولى

١٤٤٣ هـ ـ ٢٠٢٢م



تأليف

د. عبد المحسن بن محمد القاسم

إمام وخطيب المسجد النبوي الشريف

يمكن تحميل هذه الخطب أو الاستماع لها على الرَّابط:
a-alqasim.com/khotab/



بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ العَالَمِينَ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ، وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ أَجْمَعِينَ.

أَمَّا بَعْدُ:

فَالإِيمَانُ لَهُ أُصُولٌ سِتَّةٌ يَتَرَكَّبُ مِنْهَا، لَا يَكُونُ المَرْءُ مُسْلِماً إِلَّا بِالإِيمَانِ بِهَا كُلِّهَا، وَإِذَا زَالَ أَحَدُهَا؛ خَرَجَ المَرْءُ مِنَ المِلَّةِ.

وَحَقِيقَةُ الإِيمَانِ: إِقْرَارُ القَلْبِ، وَنُطْقُ اللِّسَانِ، وَعَمَلُ الجَوَارِحِ، وَهُوَ يَزِيدُ بِالطَّاعَةِ وَيَنْقُصُ بِالمَعْصِيَةِ.

وَيَدْخُلُ فِي الإِيمَانِ: فِعْلُ المَأْمُورَاتِ - الوَاجِبَاتِ وَالمُسْتَحَبَّاتِ -، وَتَرْكُ المَنْهِيَّاتِ - المَكْرُوهَاتِ وَالمُحَرَّمَاتِ -.

وَلِأَهَمِّيَّةِ أَرْكَانِ الإِيمَانِ؛ أَلْقَيْتُ خُطَباً عَنْ كُلِّ رُكْنٍ مِنْهَا فِي المَسْجِدِ النَّبَوِيِّ، ثُمَّ أَفْرَدْتُهَا وَرَتَّبْتُهَا فِي هَذَا الكِتَابِ، فَبَلَغَتْ سَبْعَ عَشْرَةَ (١٧) خُطْبَةً، وَسَمَّيْتُهُ: «**أَرْكَانُ الإِيمَانِ؛ مِنْ خُطَبِ المَسْجِدِ النَّبَوِيِّ**».

أَسْأَلُ اللَّهَ أَنْ يَنْفَعَ بِهِ، وَيَجْعَلَهُ خَالِصاً لِوَجْهِهِ الكَرِيمِ.

وَصَلَّى اللَّهُ وَسَلَّمَ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ.



الإِيمَانُ بِاللهِ

مَعْرِفَةُ العَبْدِ رَبَّهُ (١)

إنَّ الحمدَ للَّه، نَحمدُه ونَستعينُه ونَستغفِرُه، ونَعوذُ باللَّه من شرورِ أنفسِنا ومن سيِّئاتِ أعمالِنا مَن يهدِه اللَّه فلا مضلَّ له ومَنْ يُضللْ فلا هاديَ له، وأشهدُ أن لا إله إلَّا اللَّه وحده لا شريكَ له، وأشهدُ أنَّ نبيَّنا مُحمَّداً عبدُه ورسولُه، صلَّى اللَّه عليه وعلى آله وأصحابه وسلَّم تسليماً كثيراً.

أمَّا بعدُ:

فاتَّقوا اللَّه - عبادَ اللَّه - حقَّ التَّقوى؛ فالنَّعيمُ في اتِّباع الهُدى، والشَّقاءُ في موافقة الهَوى.

أيُّها المسلمون:

خَلقَ اللَّه الخلقَ لتكون الطَّاعةُ له والتَّذلُّلُ إليه، وكَمالُ السَّعادة في معرفةِ اللَّهِ والإيمانِ به، ومعرفةُ العبدِ ربَّه هو الأصلُ الأولُ الذي يجبُ على الإنسانِ معرفتُه، وهو أوَّلُ ما يُسألُ عنه العبدُ في قَبرِه، أَوْجَدَ اللَّهُ الخلقَ بعدَ عَدَم، وأغْدقَ عليهم من النِّعم، وضَمِنَ لهم الرِّزقَ: ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا﴾.

أَوجدَ العالمين بعدَ أن لم يكونوا شيئاً: ﴿هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ حِينٌ مِّنَ

(١) أُلقيت يوم الجمعة، الخامس عشَر من شهر صَفَر، سنة ست وعشرين وأربع مئة وألف من الهجرة، في المسجد النَّبويِّ.

﴿ٱلدَّهۡرِ لَمۡ يَكُن شَيۡـٔٗا مَّذۡكُورًا﴾، ربٌّ متفرِّدٌ بالخلق والرِّزق والتَّدبير: ﴿أَلَا لَهُ ٱلۡخَلۡقُ وَٱلۡأَمۡرُۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾.

مُتفرِّدٌ بالوحدانية، مُتَّصِفٌ بالعَظَمة والجَبَرُوت، مقاليدُ الأمورِ كلِّها بيديه، قويٌّ متينٌ، قاهرٌ فوقَ عباده، لا يرضى أن تُصْرفَ العبادةُ إلَّا لــــه: ﴿إِن تَكۡفُرُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنكُمۡۖ وَلَا يَرۡضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلۡكُفۡرَۖ وَإِن تَشۡكُرُواْ يَرۡضَهُ لَكُمۡۗ﴾.

نَصَبَ في كلِّ مخلوقٍ آيةً دلالةً على وحدانيَّتِه؛ لِيزدادَ تعلُّقُ القلبِ بِربِّه، آيتان تَتَعاقبانِ علينا تُذكِّرُنا بوحدانيَّةِ اللَّه: ليلٌ يَغْشى ونهارٌ يَتَجلَّى، يَطلُب كلٌّ منهما الآخرَ طلباً سريعاً: ﴿يُغۡشِي ٱلَّيۡلَ ٱلنَّهَارَ يَطۡلُبُهُۥ حَثِيثٗا﴾، والشَّمسُ والقمرُ يجريانِ في مسارٍ دقيق، أبهر ذوي العقول، هذه تُشرِقُ وذاكَ يُدبِر، سَيرٌ مُنتظِمٌ لا يتقدَّمُ ولا يتأخَّر: ﴿لَا ٱلشَّمۡسُ يَنۢبَغِي لَهَآ أَن تُدۡرِكَ ٱلۡقَمَرَ وَلَا ٱلَّيۡلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِۚ وَكُلّٞ فِي فَلَكٖ يَسۡبَحُونَ﴾، أرضٌ تُقِلُّنا، وسماءٌ تُظِلُّنا، لا غنى لنا عن أَحدِهما، خَلْقٌ مُتْقَنٌ وتَدبيرٌ من بديع: ﴿هَٰذَا خَلۡقُ ٱللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦۚ﴾.

والمسلمُ يعتزُّ إذا كان عبداً لِمُدَبِّر هذا الكونِ العظيم: ﴿قُلۡ إِنَّنِي هَدَىٰنِي رَبِّيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ﴾، لا يَعبدُ إلَّا ربَّ هذا الكونِ ﷻ، ولا يَصرِفُ شيئاً من أنواع العبادةِ لغيره، يَلجأُ إليه في المُلِمَّات، ويَخافُ منه وحدَه في العلانيةِ والخفيَّات: ﴿وَإِن يَمۡسَسۡكَ ٱللَّهُ بِضُرّٖ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَۖ﴾، فلا يخافُ من ميِّتٍ أن يضرَّه بسوءٍ، أو يرجو منه إحساناً.

والفزعُ إليه وحدَه رُجْحَانٌ في العقل، وأمانٌ في القلب، وطمأنينةٌ على الرُّوح، ومَنْ خافَ ربَّه لم يُفْزِعْهُ أحدٌ؛ بل هو ثابتُ القلبِ ساكنُ الجوارح، وأَنْعِمْ بِنَفْسٍ لا تَأْنَسُ إلَّا مع اللَّه: ﴿فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾، يقولُ أبو سليمانَ الدَّارَانِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «مَا فَارَقَ الخَوْفُ قَلْباً إِلَّا خَرِبَ».

وأقربُ العبادِ إلى اللَّهِ أخوفُهم منه، يقولُ النَّبيُّ ﷺ: «**إِنِّي لَأَعْلَمُهُمْ بِاللَّهِ، وَأَشَدُّهُمْ لَهُ خَشْيَةً**» (متفق عليه)، وهو مِنْ لَوازمِ الإيمانِ ومُوجباتِه، ومَنْ خافَ ربَّه وحْدَه فُتِحتْ له أبوابُ الجِنَان؛ قال سبحانه: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ﴾، قال أهلُ العلم: «لَا يَجْمَعُ اللَّهُ عَلَى عَبْدِهِ بَيْنَ خَوْفَيْنِ؛ فَمَنْ خَافَهُ فِي الدُّنْيَا أَمَّنَهُ يَوْمَ القِيَامَةِ، وَمَنْ أَمِنَهُ فِي الدُّنْيَا وَلَمْ يَخَفْ رَبَّهُ أَخَافَهُ فِي الآخِرَةِ»؛ فراقِبْ ربَّكَ وخَفْ من خالقِكَ، تَكُن أَسْعدَ الخلقِ عندَ اللَّه.

ولا تَرْجُ مِن غيرِ اللَّه تحقيقَ مرغوبٍ أو سلامةً من مرهوبٍ - من: زوال علَّةٍ، أو شفاء سُقْمٍ، أو طَلَبِ رِزقٍ، أو جَلْب عافيةٍ -، وحَقِّقْ رجاءك باللَّه دون سِواه؛ فالخلقُ مجبولون على الضَّعف، عاجزونَ عن جَلْبِ النَّفع لأنفسِهم، ودفعِ الضُّرِّ عنهم، وهم أَعْجزُ عن ذلك لغيرهم، ومَا رَجَا أحدٌ مخلوقاً إلَّا خابَ ظنُّه فيه، فلا تُعَلِّقْ أَطْماعَك وأَمَلَك بغير اللَّه، فلنْ تَجْنِيَ سِوى العَدَم وذُلِّ المسألة، وَارْجُ كَرَم اللَّه وعطاءَه وجَزيل مِنَنِه، فرجاءُ مَا عندَ اللَّه تعبُّد، وفي ذُلِّ القلب للَّه عزَّةُ النَّفسِ ورفعُ الدَّرجاتِ وتحقيقُ المأمول.

وراحةُ النَّفسِ في تفويضِ أمرِها لِخالقِها، ويَزدادُ تعلُّقُها بِبارِئِها إذا تذكَّرَتْ أنَّ الرَّبَّ عليمٌ بِحالِها، رحيمٌ بأمرِها، قديرٌ على كشفِ ضُرِّها، ولِمَ التَّعلُّقُ بمخلوقٍ عاجزٍ عن كشف الضُّرِّ قَتورٍ في العطاء؟! وربُّك كافيك جميعَ أمورِك؛ وهو متولِّيها إن أَلْقَيتَ إليه حاجاتِك وسلَّمت إليه مقاليدَ أمورِك ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ﴾.

والسَّعيدُ هو الرَّاغب في رحمةِ اللَّه، الرَّاهبُ مِنْ عذابه، الخاضعُ المُتذلِّلُ في عبادته لمولاه، وتلك المحامدُ السَّنيَّة اتصفتْ بها بيوتُ الأنبياء؛ قال سبحانه عن زكريَّا عليه السلام وأهلِه: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا خَٰشِعِينَ﴾، والرُّسلُ سبَّاقون إلى الرَّغبةِ فيما عندَ اللَّه؛ قال سبحانه لنبيِّه مُحَمَّدٍ ﷺ: ﴿وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَٱرْغَب﴾، وهي تَنحَسِرُ عن العبد على قَدْر ذُنوبه، وتَزيدُ بزيادةِ إيمانه، قال ابن القيِّم رحمه الله: «إِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِعَبْدِه خَيْراً، وَفَّقَهُ لِاسْتِفْرَاغِ وُسْعِهِ وَبَذْلِ جُهْدِهِ فِي الرَّغْبَةِ وَالرَّهْبَةِ إِلَيْهِ؛ فَإِنَّهُمَا مَادَّتَا التَّوْفِيقَ، فَبِقَدْرِ قِيَامِ الرَّغْبَةِ وَالرَّهْبَةِ فِي القَلْبِ يَحْصُلُ التَّوْفِيقُ».

والخشيةُ من المخلوقِ ذُلٌّ ومهانةٌ، ومَنْ خَشِيَ مِنْ خَالِقِه عاشَ عزيزاً، وفي حياته سعيداً، وأنارَ بصيرتَه فكان مُتذكِّراً، قال سبحانه: ﴿سَيَذَّكَّرُ مَن يَخْشَىٰ﴾، واتَّعَظَ بالمواعظِ والعِبَر؛ قال جل وعلا: ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّمَن يَخْشَىٰٓ﴾، وكان كتابُ اللَّهِ له سعادةً وذِكْرى: ﴿مَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لِتَشْقَىٰٓ * إِلَّا تَذْكِرَةً لِّمَن يَخْشَىٰ﴾، وهي موجبةٌ لِمغفرةِ اللَّهِ وجزيلِ نوالِه: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ﴾؛ فاجعلْ ربَّك بين

ناظِرَيْك، ولا تَأْمَنْ مِنْ مَكْرِهِ وحُلولِ عُقوبَتِه، ولا تَخْشَ غيرَ اللَّهِ في قَطْع رِزْقٍ أو تأخُّر شفاءٍ أو حلولِ شقاءٍ، قال سبحانه: ﴿فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَٱخْشَوْنِي وَلِأُتِمَّ نِعْمَتِي عَلَيْكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾.

والعبدُ ضعيفٌ بنفسه مفتقرٌ إلى عونِ ربِّه القويِّ، وبالاستعانة به ﷻ تَسْتغْني عن الاستعانة بالخلق، ومَنْ سعى في تحقيقِ مطلوب ولم يكن مستعيناً باللَّه مفتقراً إليه في حُصوله؛ أُغْلِقتْ في وجهه الدُّروب، وتَعسَّرت أَمامَه المكاسب، يقولُ النَّبيُّ ﷺ لابن عبَّاس رضي الله عنهما: «**يَا غُلَامُ! إنِّي أُعَلِّمُكَ كَلِمَاتٍ؛ احْفَظِ اللَّهَ يَحْفَظْكَ، احْفَظِ اللَّهَ تَجِدْهُ تُجَاهَكَ، إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللَّهَ، وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ**» (رواه الترمذي).

والاستعانةُ عليها مَدَارُ الدِّين: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾، وبها أَمرَ الرُّسلُ أقوامَهم: ﴿قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ ٱسْتَعِينُواْ بِٱللَّهِ وَٱصْبِرُوٓاْ﴾، قال شيخ الإسلام رحمه الله: «الدِّينُ: أَنْ لَا يُعْبَدَ إِلَّا اللَّهُ، وَلَا يُسْتَعَانَ إِلَّا بِهِ».

وكَمالُ غِنَى العَبْدِ في تَعَلُّقِه بربِّه، ومِنْ فضلِ اللَّه على عباده أنَّ مَنْ تَعلَّقَ به أعانَه، والرِّزق يَتَيَسَّرُ بالطَّاعة والاستعانة، ويزدادُ بالتَّوكُّلِ والاستكانة، قال سبحانه: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ۞ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾.

والحياةُ مليئةٌ بالآفاتِ والمَكَارِه؛ قال سبحانه: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِي كَبَدٍ﴾، ولكلِّ مخلوقٍ أعداءٌ من الجنِّ والإنسِ وفي مقدِّمتهم إبليسُ - لَعَنَهُ اللَّهُ -؛ قال سبحانه: ﴿إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا﴾، ولا

غنى للعبدِ من الاحتماءِ بِجَنابِ اللَّه، والاستعاذة به وحدَه، والاعتصامُ بحماهُ من الشُّرور، والرَّبُّ متَّصفٌ بالجَبَرُوت والعِزَّة؛ مَنِ اعْتَصَمَ به لم يَنَلْه أذى أحدٍ، وتَخَلَّفَ عنه الضَّررُ ولو معَ وجودِ السببِ؛ قال ﷺ: «مَنْ نَزَلَ مَنْزِلاً، ثُمَّ قَالَ: أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللَّهِ التَّامَّاتِ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ؛ لَمْ يَضُرَّهُ شَيْءٌ حَتَّى يَرْتَحِلَ مِنْ مَنْزِلِهِ ذَلِكَ» (رواه مسلم)، قال القُرطبيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «مُنْذُ سَمِعْتُ هَذَا الخَبَرَ عَمِلْتُ عَلَيْهِ؛ فَلَمْ يَضُرَّنِي شَيْءٌ إِلَى أَنْ تَرَكْتُهُ، فَلَدَغَتْنِي عَقْرَبٌ بِالمَهْدِيَّةِ لَيْلاً، فَتَفَكَّرْتُ فِي نَفْسِي فَإِذَا بِي قَدْ نَسِيتُ أَنْ أَتَعَوَّذَ بِتِلْكَ الكَلِمَاتِ».

والمخلوقُ يتعرَّضُ للأذى، ولَنْ تَهْنَأَ حياتُه إلَّا بالاعتصام باللَّه واللِّياذة به، فالضَّررُ والنَّفعُ كلُّه بيد اللَّه، ومَنْ سعى للإضرار بك لم يتحقَّقْ له مُنَاه ما لم يشأِ اللَّه ذلك؛ قال النَّبيُّ ﷺ: «وَاعْلَمْ أَنَّ الأُمَّةَ لَوِ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَضُرُّوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ عَلَيْكَ» (رواه الترمذي)، وقد أَمرَ اللَّه نبيَّه ﷺ أن يَستعيذَ بخالقِ الإصباحِ من شرِّ جميع المخلوقات، ومن شرِّ الغاسقِ والحاسد، والقادرُ على إزالة هذه الظُّلمة عن الكون؛ قادرٌ أن يَرفعَ عن المُستعيذِ ما يَخافُه ويَخشاه، والمُعتصمُ باللَّه المستعيذُ به في كلِّ شأنٍ في حصنٍ مكينٍ من أهل الشُّرورِ والماكرين.

وربُّنا لا مَفْزَعَ لنا في الشَّدائدِ سواه، ولا ملجأَ لنا مِنْهُ إلَّا إليه، والمستغيثُ باللَّه المُستجيرُ به يَطْرقُ أخصَّ أنواع الدُّعاء، والاستغاثة بالرَّبِّ العظيمِ مَفْزَعُ الأنبياء والصَّالحين في الشَّدائدِ والمكائد؛ قال

سبحانه: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ﴾، وقال سبحانه: ﴿أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ﴾.

ومَنْ دَعَا الأمواتَ فنِداؤُه لا يُسمع، وحاجاته لا تُرفع؛ قال سبحانه: ﴿وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ * إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ﴾، فإذا حلَّتْ بك الخُطوب، واشْتدَّتْ بك الكُروب، فاسْتَغِثْ بعلَّامِ الغُيوب: ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَن يَقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ﴾.

وإفرادُ اللَّه بأفعال العباد نقاءٌ في المُعتقد، وسعادةٌ تَعُمُّ المجتمع، وطُمأْنِينَةٌ في النُّفُوس.

أعوذ باللَّه من الشَّيطان الرَّجيم

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ * الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَّكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾.

بارك اللَّه لي ولكم في القرآن العظيم ...

الخطبة الثَّانية

الحمدُ للَّه على إحسانِه، والشُّكرُ له على توفيقِه وامتنانِه، وأشهد أن لا إله إلَّا اللَّه وحده لا شريك له تعظيماً لشأنه، وأشهد أنَّ مُحَمَّداً عبدُه ورسولُه، صلَّى اللَّه عليه وعلى آله وأصحابه وسلَّم تسليماً كثيراً.

أمَّا بعدُ، أيُّها المسلمون:

أبوابُ السَّعادةِ والخيرِ تُفْتَحُ بِتَعَلُّقِ القلبِ باللَّه، وتُغْلَق أبوابُ الشُّرورِ بالتَّوبة والاستغفار، وعافيةُ القلبِ في ترك الآثام، ونعيمُ الدُّنيا في انجذابِ القلبِ إلى اللَّه حُبّاً له وخوفاً منه ورجاءَ فضلِه، فالخوف يُبْعِدُكَ عن معصيةِ اللَّه، والرَّجاءُ يَدْفعُك إلى طاعته، ومَحبتُه تَسوقُك إليه سوقاً؛ فاجعلْ أعمالَك كلَّها خالصةً للَّه، قائمةً على أكْملِ الوجوه في الظَّاهرِ والباطنِ، مع اليقينِ بأنَّ اللَّهَ مُطَّلعٌ على السَّرائر والنِّيَّات، بصيرٌ عليمٌ بالخفيَّات.

ثمَّ اعلموا أنَّ اللَّهَ أمركم بالصَّلاة والسَّلام على نبيِّه ...

الخَشْيَةُ مِنَ اللَّهِ(١)

إنَّ الحمد للَّه، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ باللَّه من شرور أنفسنا، ومن سيِّئات أعمالنا، مَنْ يَهده اللَّهُ فلا مُضلَّ له، ومَنْ يُضْلِلْ فلا هَاديَ له، وأشهد أن لا إله إلَّا اللَّه وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ نبيَّنا مُحمَّداً عبدُه ورسولُه، صلَّى اللَّه عليه وعلى آله وأصحابه وسلَّم تسليماً كثيراً.

أمَّا بعدُ:

فاتَّقوا اللَّه - عبادَ اللَّه - حقَّ التَّقوى، واسْتَمْسِكُوا من الإسلام بالعُرْوَة الوُثْقَى.

أيُّها المسلمون:

الهوى يحملُ على التَّفريطِ والعصيان، والشيطانُ يَؤُزُّ الإنسانَ إلى اقتراف الخطايا والأوثان، والنَّفس تهوى التَّوانِي والملاذ، ولا يُمسِك زمامَها سوى الخوفِ من اللَّه ﷻ والوجلِ من عقوبته.

والخوفُ منه سبحانه هو ركن العبادةِ الأعظمُ الذي لا يستقيمُ إخلاصُ الدِّينِ للَّه إلَّا به، وهو فرضٌ على كلِّ مُكلَّف، ومن أَجَلِّ العباداتِ القَلْبِيَّة؛ قال اللَّه لنبيِّه مُحَمَّدٍ ﷺ: ﴿قُلْ إِنِّيٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي

---

(١) أُلقيت يوم الجمعة، الحادي والعشرين من شهر ربيع الآخر، سنة سبع وعشرين وأربع مئة وألف من الهجرة، في المسجد النَّبويِّ.

عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾، والملائكةُ تخافُ ربَّها وتخشاه ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ مِن دَآبَّةٍ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ۞ يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾.

وخاف الأنبياءُ على قومهم من عذاب اللَّه؛ قال نوح عليه السلام: ﴿إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾، وقال شعيب عليه السلام: ﴿إِنِّيٓ أَرَىٰكُم بِخَيْرٍ وَإِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُّحِيطٍ﴾، وقال هود عليه السلام: ﴿إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾، وقال إبراهيم عليه السلام: ﴿يَٰٓأَبَتِ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَٰنِ وَلِيًّا﴾، والصَّالحون يخشون حلول العذاب على أقوامهم في الدُّنيا ﴿وَقَالَ ٱلَّذِيٓ ءَامَنَ يَٰقَوْمِ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيْكُم مِّثْلَ يَوْمِ ٱلْأَحْزَابِ﴾، ويخافون عليهم من عذاب الآخرة ﴿وَيَا قَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ التَّنَادِ﴾، ولا يَعتبرُ بالنُّذُر إلَّا مَنْ أحيا اللَّه قلبه بالخوف منه ﴿وَتَرَكْنَا فِيهَآ ءَايَةً لِّلَّذِينَ يَخَافُونَ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ﴾.

والخائفُ من ربِّه يُمنَح التَّبصُّرَ في الآيات والاعتبار ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأَيَةً لِّمَنْ خَافَ عَذَابَ ٱلْأَخِرَةِ﴾، وينتفعُ بمواعظ القرآن وذكراه ﴿فَذَكِّرْ بِٱلْقُرْءَانِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ﴾.

والنُّذُرُ والآياتُ يسوقُها اللَّه ليفزَعَ القلبُ إليه ﴿وَمَا نُرْسِلُ بِٱلْأَيَٰتِ إِلَّا تَخْوِيفًا﴾، والابتلاءاتُ في التَّكليف لإظهار منزلةِ الخوف ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَيَبْلُوَنَّكُمُ ٱللَّهُ بِشَيْءٍ مِّنَ ٱلصَّيْدِ تَنَالُهُۥٓ أَيْدِيكُمْ وَرِمَاحُكُمْ لِيَعْلَمَ ٱللَّهُ مَن يَخَافُهُۥ بِٱلْغَيْبِ﴾.

وهو من أَجَلِّ صفاتِ العبادِ ومن أسبابِ السَّدادِ في القولِ والعمل

﴿قَالَ رَجُلَانِ مِنَ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمَا ٱدْخُلُواْ عَلَيْهِمُ ٱلْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَٰلِبُونَ﴾، وذُمَّ الكفَّارُ لفقدِ تلكَ الصِّفةِ فيهم ﴿كَلَّا بَل لَّا يَخَافُونَ ٱلْأَخِرَةَ﴾.

ومَنْ خافَ ربَّه أَمِن عند الموت ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ﴾، ووُقِيَ كَرْبَ المحشر ﴿إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا ۞ فَوَقَىٰهُمُ ٱللَّهُ شَرَّ ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمِ وَلَقَّىٰهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا﴾، وكانتِ الجنَّةُ له نزلاً ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ﴾.

وعلى قدر العلم باللَّه يكون الخوف منه والخشية له، قال عليه الصلاة والسلام: «**إِنِّي لَأَعْلَمُهُمْ بِاللَّهِ وَأَشَدُّهُمْ لَهُ خَشْيَةً**» (متفق عليه)، وكان عليه الصلاة والسلام إذا رأى غيماً أو ريحاً تغيَّر لَوْنُه، وخَرَجَ ودَخَل، وأَقْبَل وأَدْبَر؛ يخشى أن تكون عذاباً، وإذا غَمَرَ الخوفُ القلبَ حَجَبَه عن المعاصي ﴿لَئِنۢ بَسَطتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَآ أَنَا۠ بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾.

الخوفُ منزلةٌ عاليةٌ رفيعة، وهو من قواعدِ الدِّينِ المتينة، تجعلُ المسلمَ ثابتَ الأُسس، لا تقلِّبُه الأهواء ولا تبدِّلُه الأطماع، يسيرُ على صراط اللَّه مُمْتَثِلاً أَمْرَ النَّبيِّ ﷺ: «**اتَّقِ اللَّهَ حَيْثُمَا كُنْتَ**» (رواه الترمذي)، ومِنَ النَّاس مَنْ فقدوا تلك المرتبة؛ فحُرِمُوا لذَّة العبادةِ وتَزَعْزَعَ مَنْهَجُهم في الحياة، قال سبحانه عنهم: ﴿مُّذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَٰلِكَ لَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ وَلَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ﴾.

وزوالُ الخوفِ من اللَّه فسادٌ للحال، وشقاءٌ في الحياة، وظلمةٌ للقلب تحيطُ الشُّبهاتُ والشَّهواتُ حوله، قال أبو سليمانَ الدَّارَانِيُّ رحمه الله:

«مَا فَارَقَ الخَوْفُ قَلْباً إِلَّا خَرِبَ»، وما إعراضُ أهلِ الكفر إلَّا بسبب نزع خوف اللَّه من صدورهم، قال تعالى: ﴿كَلَّا بَل لَّا يَخَافُونَ ٱلْآخِرَةَ﴾، واستهزاءُ المنافقين بدين اللَّه وسخريتُهم بأحكامه مِنْ فَقْدِ قلوبهم لمراقبة اللَّـه: ﴿وَإِذَا لَقُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا۟ إِلَىٰ شَيَـٰطِينِهِمْ قَالُوٓا۟ إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ﴾.

وما جَنَحَ مَنْ جَنَحَ مِنْ أهل العصيان إلَّا من تفريطهم في تلك المنزلة، وما نهى الصالحون نفوسهم عمَّا تهوى من الحرام إلَّا من إحاطة الخشية بقلوبهم: ﴿ٱلَّذِى يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ ۞ وَتَقَلُّبَكَ فِى ٱلسَّـٰجِدِينَ﴾، ومَنْ خافَ مِن اللَّه في الخلوة جازاه ربُّه بظلٍّ تحتَ عرشِه؛ «**وَرَجُلٌ دَعَتْهُ امْرَأَةٌ ذَاتُ مَنْصِبٍ وَجَمَالٍ؛ فَقَالَ: إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ**» (متفق عليه).

والعابدُ الوجِلُ في الخلوة، الذَّارفُ دمعُه بصدقٍ؛ موعودٌ بمثلِ ذلك، والمتهجِّد في ظُلَم الليل أيقظه الخوفُ من اللَّه؛ فعوضه اللَّه ما طلب: ﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَـٰهُمْ يُنفِقُونَ ۞ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾، والمؤمنُ يجمعُ إحساناً وخشية، والمنافقُ يجمعُ إساءةً وأمناً.

أيُّها المسلمون:

بطشُ اللَّه شديد، ووعيدُه أكيد، والأمن مِنْ عقوبة اللَّه وعدمُ مراقبتِه سببُ شقاء أهل القرى والأفراد، أعرضت أممٌ عن الخوف من اللَّه فتمادَتْ في العصيان؛ فأنزل اللَّهُ عليهم بأسَه ورِجزَه، أهلك قومَ نوحٍ بالغرق، وثمودَ بالصَّاعقة، وعاداً بريحٍ عاتية، وقومَ شعيبٍ برجفة

وصيحة وظُلَّة، ورفَعَ قُرى قومِ لوطٍ بمن فيها بطرفِ جناحِ مَلَكٍ ثمَّ أهوى بهم إلى الأرض، ورفَع جبلاً عظيماً فوق رؤوس بني إسرائيل، وعذَّبهم بالطُّوفان، وأرسل عليهم جراداً ودَماً وقُمَّلاً، ومسخ منهم أشخاصاً بسبب ذنوبهم قِرَدةً وخنازيرَ، وأحرق بستاناً عظيماً بثماره - كما في سورة القلم - بأوزارِ أصحابِه: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِىَ ظَٰلِمَةٌ ۚ إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾.

وتوعَّدَ سبحانه على مرِّ الأزمان مَنْ أمِنَ خوفَه من أهل الأمصار بالعذاب المهين: ﴿أَفَأَمِنَ أَهْلُ ٱلْقُرَىٰٓ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا بَيَٰتًا وَهُمْ نَآئِمُونَ * أَوَأَمِنَ أَهْلُ ٱلْقُرَىٰٓ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا ضُحًى وَهُمْ يَلْعَبُونَ﴾، وأنزل رِجزَه على أفراد لم يخافوه؛ فجعل الطَّاغيةَ المتكبِّرَ - فرعونَ - جثةً هامدةً بين الأمواج، وخَسَفَ بقارونَ - ذي المالِ الوافرِ والبَغْيِ - بجسده وداره، وخسَفَ برجلٍ يَجُرُّ إزارَه من الخيلاء، وعمرُو بن لُحي يَجُرُّ قُصْبَه في النَّار.

واللَّهُ يمهل للعاصي ولا يهملُه حتى إذا أخذه لم يُفْلِتْه: ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ﴾.

ودعا عبادَه إلى طاعتِه وحذَّرهم من معصيتِه ونِقْمتِه؛ فهو شديد العقاب، ولا يرضى لعباده الكفر: ﴿إِن تَكْفُرُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ عَنكُمْ ۖ وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلْكُفْرَ ۖ﴾، وتوعَّد مَنْ ترك الصلاةَ بجهنَّم: ﴿مَا سَلَكَكُمْ فِى سَقَرَ * قَالُوا۟ لَمْ نَكُ مِنَ ٱلْمُصَلِّينَ﴾، وأحاط بالبُؤس والشَّقاء من عَقَّ والدَيْه: ﴿وَبَرًّۢا بِوَٰلِدَتِى وَلَمْ يَجْعَلْنِى جَبَّارًا شَقِيًّا﴾، ويوشِك أن يَعُمَّ الجميع بالعذاب

إذا تركوا الأمرَ بالمعروف والنَّهيَ عن المنكر، ويَغَارُ سبحانه على انتهاك الحرمات والأعراض؛ «مَا مِنْ أَحَدٍ أَغْيَرُ مِنَ اللَّهِ أَنْ يَزْنِيَ عَبْدُهُ أَوْ تَزْنِيَ أَمَتُهُ» (متفق عليه).

وبأكلِ المالِ الحرامِ يُرَدُّ العمل؛ «إِنَّ اللَّهَ طَيِّبٌ لَا يَقْبَلُ إِلَّا طَيِّباً»، ويعاقبُ العبدَ على إطلاقِ البصرِ في المحرَّمات بسلبِ زكاءِ نفسِه وطهرها ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا۟ مِنْ أَبْصَـٰرِهِمْ وَيَحْفَظُوا۟ فُرُوجَهُمْ ۚ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ﴾، وحذَّر من صغائر الذُّنوب؛ قال ﷺ: «يَا عَائِشَةُ! إِيَّاكِ وَمُحَقَّرَاتِ الذُّنُوبِ؛ فَإِنَّ لَهَا مِنَ اللَّهِ ﷻ طَالِباً» (رواه أحمد).

ومِنْ علامةِ صدقِ خوفِ العبد من اللَّه: أن تكون خَلْوتُه وجَلْوتُه سواءً، فلا يخلو بسيئة إذا توارى عن الأبصار: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾، واحذر خَفَايَا الخطايا فإنَّها مُهْلِكَات؛ قال أنسٌ رضي الله عنه: «إِنَّكُمْ لَتَعْمَلُونَ أَعْمَالاً هِيَ أَدَقُّ فِي أَعْيُنِكُمْ مِنَ الشَّعَرِ، إِنْ كُنَّا نَعُدُّهَا عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مِنَ المُوبِقَاتِ» (رواه البخاري).

والآمنُ من عقوبة اللَّه هو الخاسر: ﴿أَفَأَمِنُوا۟ مَكْرَ ٱللَّهِ ۚ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْخَـٰسِرُونَ﴾، وتوالي النِّعم على العبد مع إصرارِه على الخطايا إنَّما هو استدراجٌ من اللَّه له؛ فَلْيَخشَ عقوبتَه وعذابَه.

ولا يُعَدُّ خائفاً من لم يكن للذُّنوب تاركاً، وكلُّ عاصٍ للَّه فهو جاهل به، وكلُّ خائفٍ منه فهو عالم، وكلَّما كان العبدُ باللَّه أعلمَ كان له أخوف؛ قال ابن مسعودٍ رضي الله عنه: «كَفَى بِخَشْيَةِ اللَّهِ عِلْماً، وَكَفَى

بِالِاغْتِرَارِ باللَّه جَهْلاً»، ونقصانُ الخوف إنما هو لنقصانِ معرفةِ العبدِ بربِّه، وفي مراقبةِ العاقبةِ زيادةُ استحضار المخوف.

ومِنْ رحمة اللَّه أنَّه لا يجمع على عبدِه خوفين؛ فمَنْ خافه في الدُّنيا أمِنَ في الآخرة، ومَنْ أمِنَ مِنْ مَكْرِه في الدُّنيا أفزَعَه في الآخرة، ومَنْ خافَ ربَّه عاش بين الخلق عظيماً، وفي حياته عزيزاً، وخوفُ المخلوقِ من المخلوق ذلٌّ وخُنوع؛ قال تعالى: ﴿إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُۥ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾.

أعوذ باللَّه من الشَّيطان الرَّجيم

﴿وَأَنِيبُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُواْ لَهُۥ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ۞ وَٱتَّبِعُوٓاْ أَحْسَنَ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ﴾.

بارك اللَّه لي ولكم في القرآن العظيم ...

الخطبة الثَّانية

الحمد للَّه على إحسانه، والشُّكرُ له على توفيقِه وامتنانِه، وأشهد أن لا إله إلَّا اللَّه وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ مُحَمَّداً عبدُه ورسولُه، صلَّى اللَّه عليه وعلى آله وأصحابه.

أمَّا بعدُ، أيُّها المسلمون:

ما حُفِظَت حدودُ اللَّه ومحارمُه، وما وصل الواصلون إليه بمثل خوفِه ورجائِه ومحبتِه، ومتى خلا القلبُ من هذه الثَّلاث؛ فسد، ومتى ضَعُف فيه شيءٌ من هذه؛ ضعُفَ إيمانُه بحسبه، والقلب في سَيْرِه إلى اللَّه بمنزلة الطَّائرِ- فالمَحبَّةُ رأسُه، والخوفُ والرَّجاءُ جناحاه -.

والخوفُ يستلزمُ الخشية، والخشيةُ تستلزمُ الطَّاعة، والرَّجاءُ يَحْدُو العبدَ في سَيْرِه إلى اللَّه، ويُطَيِّبُ له المسير، ويحثُّه عليه، ويحبِّبُ له ملازمته، ومن عظَّمَ اللَّهَ في قلبه وقَّرَه اللَّه في قلوب الخلق فلم يُذِلُّوه، قال الفضيل ﵀: «مَنْ خافَ اللَّهَ لم يضرَّه أحد، ومَنْ خافَ غير اللَّه لم ينفعه أحد».

والاستسلامُ للَّه وتفويضُ الأمور إليه تنزع من القلبِ الخوفَ من البشر، ومَنْ خافَ ربَّه لم يفزعه أحد؛ بل هو مطمئنُّ القلبِ ساكنُ الجوارح، فالزموا الخوفَ من اللَّه واقدُرُوا ربَّكم حقَّ قدرِه؛ تَسْعَدُوا في الدُّنيا والآخرة.

ثمَّ اعلموا أنَّ اللَّه أمركم بالصَّلاة والسَّلام على نبيِّه ...

الإِيمَانُ بِالمَلَائِكَةِ

الإِيمَانُ بِالمَلائِكَةِ[١]

الحمد للَّه بارئِ البريَّات، عَالِمِ الخَفيَّات، المُطَّلعِ على الضَّمائرِ والنِّيَّات، أَحْمَدُه تعالى على نِعَمِه المُتَتَابِعَات.

وأشهد أن لا إله إلَّا اللَّه وحدَه لا شريك له، ربُّ الأرض والسَّموات.

وأشهد أنَّ نبيَّنا مُحَمَّداً عبدُه ورسولُه، الهادي إلى صراطٍ مستقيم، والدَّاعي إلى دِينٍ قويم، صلَّى اللَّه عليه وعلى آله وأصحابه ومَنِ اسْتَمْسَك بِسُنَّتِه إلى يوم الدِّين.

أمَّا بعدُ:

فاتَّقُوا اللَّه - عبادَ اللَّه - حقَّ التَّقوى؛ فالتَّقوى مِلاكُ كلِّ خيرٍ ورأسُ كلِّ فضيلة، فالْزَمُوهَا في العَلَانِيَة والخَفَاء؛ تَفُوزُوا يوم العَرْضِ والجزاء.

أيُّها المسلمون:

الإيمانُ بالملائكةِ أصلٌ من أُصولِ الاعتقاد، لا يتمُّ الإيمانُ إلَّا به، وهم عالَمٌ من عَوالِم الغيب الَّتي يَجبُ الإيمانُ بها، والتَّصديقُ بهم

(١) أُلقيت يوم الجمعة، الثالث عشَر من شهر صَفَر، سنة عشرين وأربع مئة وألف من الهجرة، في المسجد النَّبويِّ.

يَقْتَضِي الإيمانَ بهم إجمالاً في الإجمال، وتفصيلاً في التَّفصيل، وتَعْيِيناً في التَّعْيِين، حَسْبَمَا ورد في الكتابِ العزيز والسُّنَّةِ المُطَهَّرة.

خَلَقَهُم ﷻ من نُورٍ، على خَلْقٍ حَسَنٍ كَرِيمٍ وعَظَمةٍ في الأَشْكَالِ وقُدْرَةٍ على التَّشَكُّل في الصُّوَرِ المُتَعدِّدَة، لا يَأْكُلُون ولا يَشْرَبُون، أَخْلاقُهُم وأَفْعَالُهُم طاهرةٌ كاملة، جَبَلَهُم اللَّهُ على الحياء؛ يقول النَّبيُّ ﷺ: «أَلَا أَسْتَحِي مِنْ رَجُلٍ تَسْتَحِي مِنْهُ المَلَائِكَةُ؟ - يَعْنِي: عُثْمَانَ رضي الله عنه -» (رواه مسلم).

صُفُوفُهُم عند ربِّهِم مُنْتَظِمَة، إِنَّهم خَلْقٌ من خَلْقِ اللَّه عظيمٌ؛ يقول النَّبيُّ ﷺ: «أُذِنَ لِي أَنْ أُحَدِّثَ عَنْ مَلَكٍ مِنْ مَلَائِكَةِ اللَّهِ تَعَالَى مِنْ حَمَلَةِ العَرْشِ، إِنَّ مَا بَيْنَ شَحْمَةِ أُذُنِهِ إِلَى عَاتِقِهِ مَسِيرَةُ سَبْعِ مِئَةِ عَامٍ» (رواه أبو داود).

وأفضلُهُم جبريل عليه السلام، له سِتُّ مئة جَناح، ما بين كلِّ جَنَاحَيْنِ كما بين المَشْرِقِ والمَغْرِب، كلُّ جَناحٍ منها قد سدَّ الأُفُق، يقول النَّبيُّ ﷺ: «رَأَيْتُ جِبْرِيلَ عِنْدَ سِدْرَةِ المُنْتَهَى، عَلَيْهِ سِتُّ مِئَةِ جَنَاحٍ، يَنْتَثِرُ مِنْ رِيشِهِ التَّهَاوِيلُ الدُّرُّ وَاليَاقُوتُ» (رواه أحمد)، قال اللَّه عنه: ﴿شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ﴾، ذو خَلْقٍ حَسَنٍ وَبَهاء وَسَنَاء، له قُوَّةٌ وبَأْسٌ شديد، ومَكَانَةٌ ومَنْزِلةٌ عند اللَّه رَفِيعة، يَنْزِل على الرُّسُلِ بالأَخْبَارِ الصَّادقةِ والشَّرائعِ العَادِلَة، قاتلَ مع النَّبيِّ عليه الصلاة والسلام في بَدْرٍ والخَنْدَق، وصَحِبَهُ في الإِسْرَاء، وإذا أحبَّ اللَّهُ عبداً نَادَى جِبْرِيلَ: «إِنِّي أُحِبُّ فُلَاناً؛ فَأَحِبَّهُ، فَيُحِبُّهُ جِبْرِيلُ، ثُمَّ يُنَادِي فِي السَّمَاءِ: إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ فُلَاناً؛ فَأَحِبُّوهُ،

فَيُحِبُّهُ أَهْلُ السَّمَاءِ، ثُمَّ يُوضَعُ لَهُ القَبُولُ فِي الأَرْضِ» (متفق عليه).

وهُمْ في صُنُوفٍ من العبادات؛ منهم مَنْ هو قَائِمٌ للَّه أبداً، ومنهم مَنْ هو رَاكِعٌ له أبداً، ومنهم مَنْ هو سَاجِدٌ أبداً، ومنهم مَنْ هو في أَلْوَانٍ من الطَّاعاتِ أُخَر، ربُّك عليمٌ بها: ﴿وَمَا مِنَّآ إِلَّا لَهُۥ مَقَامٌ مَّعۡلُومٌ﴾، يقول عليه الصلاة والسلام: «أَطَّتِ السَّمَاءُ وَحُقَّ لَهَا أَنْ تَئِطَّ، مَا فِيهَا مَوْضِعُ أَرْبَعِ أَصَابِعَ إِلَّا عَلَيْهِ مَلَكٌ سَاجِدٌ» (رواه أحمد).

أيُّها المسلمون:

لقد حَمَى اللَّهُ الإنسانَ وشرَّفَه وصَانَه، وأَوْكَل ذلك إلى خيارِ خَلْقِه؛ ملائكةٌ يَتَعَاقَبُونَ عليه، حَرَسٌ له باللَّيل وحَرَسٌ بالنَّهار، يَحْفَظُونَهُ من أَمْرِ اللَّه بِأَمْرِ اللَّه، ويَتَعَاقَبُ عليه ملائكةٌ آخَرُونَ لحفظِ الأعمال، ما يَلْفِظُ بِكَلِمةٍ إِلَّا وَلَهَا مَنْ يَرْقُبُها، مُعَدٌّ لذلك - يَكْتُبُهَا -، لا يَدَعُ كلمةً ولا حَرَكَةً إِلَّا سطَّرها، فهو بين أربعةِ أَمْلَاك بالنَّهار، وأربعةٍ آخَرين باللَّيل، ومَلَكٌ موكَّلٌ بالنُّطفة، وقرينٌ لهدايتِه وإرشادِه، ومَلَكُ الموت يَنْزِعُ رُوحَه، وهم في ذلك أقرب إلى الإنسان من حَبْلِ وَرِيدِه إليه، بإقدار اللَّه لهم على ذلك.

عددُهُم: خَلْقٌ كثيرٌ لا يُحْصِيهم إِلَّا مَنْ خَلَقَهُم؛ قال عز وجل: ﴿وَمَا يَعۡلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَۚ﴾، ويقول النَّبيُّ صلى الله عليه وسلم عن البيتِ المَعْمُورِ الَّذي في السَّماءِ السَّابعة: «فَإِذَا هُوَ يَدْخُلُهُ فِي كُلِّ يَوْمٍ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ، لَا يَعُودُونَ إِلَيْهِ آخِرَ مَا عَلَيْهِمْ» (متفق عليه).

اصطفى اللَّهُ منهم مَنْ يَحْمِلُ عَرْشَه، ومنهمُ الملائكةُ المُقرَّبُون عنده، ومنهم مَنْ هو في السَّمواتِ السَّبعِ يَعْمُرونها عبادة دائبة، خِيَارُهم مَنْ شَهِدَ منهم معركة بَدْرٍ.

أيُّها المسلمون:

الملائكةُ يُحِبُّون الصَّالحين وأعمالَ الصَّالحين؛ يُصلُّون على مُعَلِّم النَّاس الخير، وعلى الصفِّ الأول، ويَحَثُّونَ العِبَادَ على فِعْلِ الخير؛ فـ«مَا مِنْ يَوْمٍ يُصْبِحُ العِبَادُ فِيهِ إِلَّا مَلَكَانِ يَنْزِلَانِ، فَيَقُولُ أَحَدُهُمَا: اللَّهُمَّ أَعْطِ مُنْفِقاً خَلَفاً، وَيَقُولُ الآخَرُ: اللَّهُمَّ أَعْطِ مُمْسِكاً تَلَفاً»، ويَدْعُونَ ويَسْتَغْفِرُونَ للمؤمنين، بل إنَّ حَمَلَةَ العَرْشِ ومَنْ حَوْلَ العَرْشِ يَخُصُّون المؤمنَ التَّائِبَ بالاسْتِغْفَار، ويَدْعُونَ له بالخَلَاصِ من النَّار ودُخولِ الجِنَانِ وحِفْظِه من الذُّنوبِ والآثام، ويُؤَمِّنونَ على دُعاءِ المُؤْمِنِ لِأَخِيهِ بِظَهْرِ الغَيْبِ ويَقُولُونَ له: «وَلَكَ بِمِثْلِهِ».

ويتنزَّلون مع تَنَزُّلِ البركة والرَّحمة، يتنزَّلون في ليلةِ القدر، ويَنْزِلُون عند تلاوة القرآن، وَيُحِيطُون بِحِلَق الذِّكْر، ويَحُفُّونَهُم بأجنحتهم إلى السَّماء الدُّنيا، وتَضَعُ أَجْنِحَتَها تواضعاً لِطَالِبِ العلم رِضاً بما يَصْنَع.

في قُرْبِهم مِنَّا الخيرُ والسُّؤْدَد، لقد كان رسول اللَّه ﷺ أجودَ النَّاس، وكان أجودَ ما يكونُ في رمضان حين يلقاه جبريل، وعند احتضار الصَّالحين يُثبِّتونَهُم ويُبَشِّرونَهُم بالجِنَان، وتَنْزِعُ أرواحَهم نزعاً رفيقاً، وتدخلُ عليهم الملائكة من كلِّ بابٍ تَهْنِئَة بدخول الجِنَان، وتَفِدُ

عليهم الملائكة مُسَلِّمِين مُبَشِّرِين بِمَا حصل لهم من اللَّه من التَّقريب والإنعامِ والإقامة في دار السَّلام في جوار الأنبياء والرُّسُلِ الكِرَام.

ومع مَحَبَّتِهِم للصَّالحين فهم يُبْغِضون العاصي ويأْنَفُون من المعصية؛ فلا يدخلون بيتاً فيه صورة ولا كلب ولا تِمْثَال، ويَتأَذَّوْن ممَّا يَتأَذَّى منه بنو آدم - من الرَّائحة الكريهة -، ويلعنون الكافرين؛ قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَمَاتُواْ وَهُمْ كُفَّارٌ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ ٱللَّهِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾، وإذا دنا أَجَلُهم بَشَّرَتْهم بالعذابِ والنَّكالِ والجَحِيمِ والحَمِيم، فَتَتَفَرَّقُ أرواحُهم في أجسادهم وتَأْبَى الخروج، فتَضْرِبُهُم الملائكة على وُجوهِهِم وأَدْبَارِهِم وتقولُ لهم: ﴿أَخْرِجُوٓاْ أَنفُسَكُمُۖ ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ ءَايَٰتِهِۦ تَسْتَكْبِرُونَ﴾.

أيُّها المسلمون:

الملائكةُ عبادٌ مُكْرَمُون، في منازلَ عاليةٍ ومقاماتٍ سامية، وهم لِربِّهم في غاية الطَّاعة قولاً وفِعلاً: ﴿لَا يَسْبِقُونَهُۥ بِٱلْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِۦ يَعْمَلُونَ﴾، لا يتقدَّمون بين يديه بأمر، ولا يخالفونه فيما أمر، ولا يَسْتَنْكِفُون عن عبادتِه ولا يَسْتَحْسِرُون: ﴿يُسَبِّحُونَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ﴾، دَائِبُونَ في العمل ليلاً ونهاراً، مُطِيعُونَ قصداً وعملاً، و«**إِذَا قَضَى اللَّهُ الأَمْرَ فِي السَّمَاءِ، ضَرَبَتِ المَلَائِكَةُ بِأَجْنِحَتِهَا خُضْعَاناً لِقَوْلِهِ، كَأَنَّهُ سِلْسِلَةٌ عَلَى صَفْوَانٍ، يَنْفُذُهُمْ ذَلِكَ**»، و«**إِذَا أَرَادَ اللَّهُ ﷻ أَنْ يُوحِيَ**

بِالأَمْرِ تَكَلَّمَ بِالْوَحْيِ أَخَذَتِ السَّمَوَاتُ مِنْهُ رَجْفَةً - أَوْ قَالَ: **رِعْدَةً - شَدِيدَةً، خَوْفاً مِنَ اللَّهِ، فَإِذَا سَمِعَ بِذَلِكَ أَهْلُ السَّمَوَاتِ صَعِقُوا، وَخَرُّوا لِلَّهِ سُجَّداً، فَيَكُونُ أَوَّلَ مَنْ يَرْفَعُ رَأْسَهُ جِبْرِيلُ، فَيُكَلِّمُهُ اللَّهُ مِنْ وَحْيِهِ بِمَا أَرَادَ**»، قال اللَّه عنهم: ﴿وَمَا مِنَّآ إِلَّا لَهُۥ مَقَامٌ مَّعۡلُومٌ ۞ وَإِنَّا لَنَحۡنُ ٱلصَّآفُّونَ ۞ وَإِنَّا لَنَحۡنُ ٱلۡمُسَبِّحُونَ﴾.

بارك اللَّه لي ولكم في القرآن العظيم ...

الخطبة الثَّانية

الحمد للَّه على إحسانه، والشُّكرُ له على توفيقِه وامتنانِه، وأشهد أن لا إله إلَّا اللَّه وحدَه لا شريك له تعظيماً لشأنِه، وأشهد أنَّ نبيَّنا مُحمَّداً عبدُه ورسولُه، صلَّى اللَّه عليه وعلى آله وأصحابه وسلَّم تسليماً مزيداً.

أمَّا بعدُ، أيُّها المسلمون:

فإنَّه ومع هذا الخَلْقِ العظيمِ مِنْ خَلْقِ اللَّه فإنَّ قَدْرَهم لا يَعْدُو أن يكونوا عَبِيداً مُتذلِّلِين بين يدي اللَّه، لَيْسُوا شُرَكاءَ في المُلْك، ولا تَصرُّفَ لهم في الكون، وقد تَوَعَّد اللَّه بِجَهَنَّم مَنِ ادَّعى منهم الأُلوهيَّةَ مِنْ دُونِه؛ فقال ﷻ: ﴿وَمَن يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّىٓ إِلَٰهٌ مِّن دُونِهِۦ فَذَٰلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾.

ولئن كانت الملائكةُ - وفيهم تلك القوَّة - تَرْجُفُ وتَصْعَقُ عند سماع كلام اللَّه خوفاً منه وفَرَقاً ومهابة، فكيف يُدْعَى أَحَدٌ منهم مِنْ دون اللَّه؟! بل إنَّ غيرَهم ممَّن لا يَقْدِر على شيءٍ من الأموات والأصنام أَوْلَى أن لا يُدْعَى ولا يُعْبَد، فالأمورُ كلُّها بيدِ الواحدِ القَهَّارِ وكُلُّ مَنْ سِوَاه مخلوقٌ مَرْبُوب؛ لا يَمْلِكُ نفعاً ولا ضرّاً.

هذا، وإنَّ بعضَ النَّاس لم يُدركِ الحكمةَ التي من أَجْلِها خُلِق، ولم يَقْدُر نَفْسَه حقَّ قَدْرِها، ولم يَلْحَظ تكريمَ وتشريف اللَّه له باصطفاء

خِيَار خَلْقه لِحِفظه وَكَلَاءته وَتَأْيِيده، فقابَلَ ذلك بالكُفر والفسوق والنُّكران، ومَنِ اسْتَكْبَرَ عن عبادةِ ربِّه وأَبَى إلَّا الشِّركَ والعِصْيَان، فمَنْ عِنْدَ ربِّك يُسبِّحون له باللَّيل والنَّهار وهم لا يَسْأَمُون، واللَّهُ غَنيٌّ عن العَالَمِين لا تَنْفَعُه طاعة المُطِيع ولا تَضُرُّه معصية العاصي.

فاجتهدوا - عبادَ اللَّه - في طاعة ربِّكم وآمِنُوا بملائكته، وتَذَكَّروا أنَّ منهم عباداً يحفظونكم، ويحفظون عليكم أفعالَكُم وأقوالَكُم ويَكْتُبونَهَا في صحائفِ أعمالِكم التي ستُعْطَوْنَها يوم القيامة، قال تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ۞ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ۞ وَيَنقَلِبُ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ مَسْرُورًا ۞ وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ وَرَآءَ ظَهْرِهِۦ ۞ فَسَوْفَ يَدْعُواْ ثُبُورًا ۞ وَيَصْلَىٰ سَعِيرًا﴾.

ثمَّ اعلموا أنَّ اللَّه أمركم بالصَّلاة والسَّلام على نبيِّه ...

الإِيمَانُ بِالكُتُبِ

القُرْآنُ العَظِيمُ(١)

الحمد للَّه مُعِزِّ مَنْ أَطَاعَه واتَّقَاه، ومُذِلِّ مَنْ أَضَاعَ أَمْرَه وعَصَاه، أَحْمَدُهُ حَمْداً كثيراً طيِّباً مباركاً كما يُحِبُّ ربُّنا ويرضى.

وأشهد أن لا إله إلَّا اللَّه وحدَه لا شريك له، لا ربَّ لنا سواه، ولا نعبد إلَّا إياه.

وأشهد أنَّ نبيَّنا مُحَمَّداً عبدُه ورسولُه، أصدقُ داعٍ إلى اللَّه، وأَنْصَحُ خلقَ اللَّه لعِبَادِ اللَّه، اللَّهمَّ صلِّ وسلِّم عليه وعلى آله وأصحابه ومَنْ سَلَكَ سبيلَه واتَّبع هداه.

أمَّا بعدُ:

فاتَّقوا اللَّه - عبادَ اللَّه - حقَّ التَّقوى، وأَخْلِصُوا له سِرَّكُم وجَهرَكُم، وسَارِعُوا إلى مَرْضَاةِ ربِّكم، واغْتَنِمُوا فاضلَ شهركم.

أيُّها المسلمون:

بعثَ اللَّهُ نَبيَّه مُحمَّداً ﷺ بقُرآنٍ عربيٍّ مُبينٍ، بَهَرَ عُقولَ فصحاء العرب، وأقام عليهم الحجَّة؛ فاعترفوا بِفَضْلِ بيانه وَحُسْنِ كَلَامه، قال الوليدُ بن المغيرة: «وَاللَّهِ إِنَّ لَهُ لَحَلَاوَةً، وَإِنَّ عَلَيْهِ لَطَلَاوَةً، وَإِنَّهُ لَمُثْمِرٌ أَعْلَاهُ، مُغْدِقٌ أَسْفَلُهُ، وَمَا يَقُولُ هَذَا بَشَرٌ».

---

(١) أُلقيت يوم الجمعة، السادس عشَر من شهر رمضان، سنة عشرين وأربع مئة وألف من الهجرة، في المسجد النَّبويِّ.

جعلهُ اللَّه في دُجَى الظُّلَمِ نوراً ساطعاً، آياتٌ في إِثْرِ آيَات: ﴿يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ﴾، جَمَعَ فأَوْعَى في علاجِ النُّفوسِ وتقويمِ الأوضاع وإيقاظِ القلوب، إنَّه حَبْلُ اللَّه المتين، والنُّورُ المُبين، عِصْمةٌ لِمَن تَمَسَّك به، ونجاةٌ لمن اتَّبعه، مَنْ قال به صَدَق، ومَنْ حَكَم به عَدَلَ، ومَنْ عَمِل به أُجِر، عَجِبَتِ الجِنُّ من عجائبه: ﴿قُلْ أُوحِىَ إِلَىَّ أَنَّهُ ٱسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَقَالُوٓا۟ إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا ۞ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلرُّشْدِ فَـَٔامَنَّا بِهِۦ ۖ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَآ أَحَدًا﴾.

أيُّها المسلمون:

بتلاوةِ القرآن والعملِ به يعلو الشَّأنُ وَيَزْهُو القَدْر، يقول أبو ذرٍّ رضي الله عنه: «قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! أَوْصِنِي، قَالَ: **عَلَيْكَ بِتِلَاوَةِ القُرْآنِ، وَذِكْرِ اللَّهِ؛ فَإِنَّهُ نُورٌ لَكَ فِي الأَرْضِ، وَذُخْرٌ لَكَ فِي السَّمَاءِ**» (رواه ابن حِبَّان)، وخيرُ النَّاسِ مَنْ تعلَّمَه وعلَّمَه، مكث أبو عبد الرَّحمن السُّلميُّ رحمه الله أربعين سنة يُعَلِّم كتاب اللَّه طَلباً للخَيْريَّة.

تَتَنَزَّل السَّكينةُ وتَغشى الرَّحْمَةُ وتَحفُّ الملائكة بمُدَارَسَتِه وتلاوتِه، المَاهِرُ به مع السَّفَرَةِ الكرامِ البَرَرَة، تلاوتُه من خيرِ القُرَب، بكلِّ حَرْفٍ منه حسنة مضاعفة، ومنزلةُ قارئِه في الآخرة عند آخر آيةٍ رَتَّلَها في دنياه، تَعلُّمُه خيرٌ مِنْ جَمْعِ المالِ والحُطام؛ يقول النَّبيُّ ﷺ: «**أَيُّكُمْ يُحِبُّ أَنْ يَغْدُوَ كُلَّ يومٍ إِلَى بُطْحَانَ** - أَوْ: **إِلَى العَقِيقِ** -، **فَيَأْتِيَ مِنْهُ بِنَاقَتَيْنِ كَوْمَاوَيْنِ فِي غَيْرِ إِثْمٍ، وَلَا قَطْعِ رَحِمٍ؟** فَقُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ! نُحِبُّ ذَلِكَ، قَالَ: **أَفَلَا يَغْدُو أَحَدُكُمْ إِلَى المَسْجِدِ فَيَعْلَمُ أَوْ يَقْرَأُ آيَتَيْنِ**

مِن كِتَابِ اللَّهِ ﷻ، خَيْرٌ لَهُ مِن نَاقَتَيْنِ، وَثَلَاثٌ خَيْرٌ لَهُ مِنْ ثَلَاثٍ، وَأَرْبَعٌ خَيْرٌ لَهُ مِن أَرْبَعٍ، وَمِنْ أَعْدَادِهِنَّ مِنَ الإِبِلِ» (رواه مسلم).

أيُّها المسلمون:

لقد بَلَغَ القرآنُ الغايةَ في البلاغةِ والفصاحة، يَعْجَبُ منه البُلَغَاء، وَيَفْهَمُه العَامَّة والبُسَطاء، فأيُّ كتابٍ يُمكنُ أن يَستوعبَ أفهامَ البشرية جميعاً في عصورٍ متتابعة، على اختلاف مداركِهم وأماكنِهم ولغاتهم وتَنوُّعِ معارفهم؟! لمَّا سمعه عقبة بن ربيعة قال: «وَاللَّهِ مَا سَمِعْتُ مِثْلَهُ قَطُّ، وَاللَّهِ مَا هُوَ بِالشِّعْرِ وَلَا بِالكِهَانِةِ»، وحين طَلَبَ المشركون من رسول اللَّه ﷺ معجزاتٍ حِسَّيَةٍ - من تفجيرِ الأنهارِ وإسقاطِ السَّماء -؛ جاءهم الخبر: ﴿أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ﴾، إنَّه كتاب ميسر: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾، ومع هذا لو نَزَل على الجبال لَصَدَّعها، أو على الأرض لَقَطَّعها.

تلاوتُه شفاءٌ للنُّفُوسِ من الشَّهَوات، ودواءٌ للقلوب من الأهواء والشُّبُهات، وعلاجٌ للأَبْدَان من الأَمْرَاض والآفات: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾.

أيُّها المسلمون:

إنَّ أحسنَ الحديث كتاب اللَّه، وقد أَفْلَحَ مَنْ زَيَّنَه اللَّهُ في قلبه، يقول الفضيلُ بنُ عياض رَحِمَهُ اللَّهُ: «حَامِلُ القُرْآنِ حَامِلُ رَايَةِ الإِسْلَامِ، لَا يَنْبَغِي أَنْ يَلْهُوَ مَعَ مَنْ يَلْهُو، وَلَا يَلْغُوَ مَعْ مَنْ يَلْغُو، وَلَا يَسْهُوَ مَعَ مَنْ

يَسْهُو»، وعلى قارئِه الاتِّصافُ بالصِّدقِ والإخلاص وقيام اللَّيل ديانةً وأمانة لِمَا في جَنْبَيْه.

ولن تَجِدَ طَعْمَ السَّعَادةِ حتى تكونَ على طاعة ربِّك، مديماً لتلاوة كتاب ربِّك، فداوِ مرضَ المخالفةِ بالتوبة، والغفلةِ بالإنابة، وتَمسَّكْ بحبل القرآن في الشَّدائد؛ فكلُّ حبل سواه مَهِين، واجعلْ في دارك نصيباً من القرآن، يقول النَّبيُّ ﷺ: «**مَثَلُ البَيْتِ الَّذِي يُذْكَرُ اللَّهُ فِيهِ وَالبَيْتِ الَّذِي لَا يُذْكَرُ اللَّهُ فِيهِ مَثَلُ الحَيِّ وَالمَيِّتِ**» (رواه مسلم).

فعطِّرْ لسانَك بتلاوته وتدبَّر معانيه، واستَمْسِكْ بِهَدْيه وأحكامه؛ تَظْفَرْ بِبُشرى الدُّنيا والآخرة.

أعوذ باللَّه من الشَّيطان الرَّجيم

﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾.

بارك اللَّه لي ولكم في القرآن العظيم ...

الخطبة الثَّانية

الحمد للَّه على إحسانه، والشُّكرُ له على توفيقِه وامتنانِه، وأشهد أن لا إله إلَّا اللَّه وحدَه لا شريك له تعظيماً لشأنِه، وأشهد أنَّ نبيَّنا مُحمَّداً عبدُه ورسولُه، صلَّى اللَّه وسلَّم عليه وعلى آله وأصحابه.

أمَّا بعدُ، أيُّها المسلمون:

إنَّ كتابَ اللَّه يُوحِّدُ الأُمَمَ المُخْتَلِفَة والشُّعوبَ المتباينة تحت راية الإسلام وصحَّة المعتقد، يَرْبِطُ بينها بِرِباط الإيمان وعُرى الدِّين، ويَجْعَلُ منها أُمَّةً واحدةً متماسكةَ القُوى، مجتمعةَ الأطراف، مُتوحِّدةَ الصُّفوف: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾.

وإذا فرَّط المسلمون في العملِ بكتابِ ربِّهم؛ حَلَّ بِهِم الضَّعف، وخَنَعُوا للذِّلَّة، وأحاطت بهم الفِتْنَة، وساروا في سَرَاب أعدائهم، وأَخَلُّوا بجانب الوَلَاء والبَرَاء، وصدَّقوا الأَوْهَام والكُهَّان، واسْتَمَعُوا لِمَنْ يدَّعي علم الغيب، ومعرفة حلول الكوارث والمصائب بِمُضِيِّ القرون، وتعلَّقوا بالأسباب، وغَفَلوا عن الإيمان بأنَّ اللَّهَ هو المُهَيْمِنُ لا يقعُ في مُلْكِه إلَّا ما يريد، فحقٌّ على المسلم أن يَعْتَزَّ بدينه، ويَسْتَمْسِكَ بكتاب ربِّه، وأن لا يُدَاهِنَ في دين اللَّه، ولا يلتفتَ إلى أعيادِ الكفار ومواسِمهم؛ فإنَّهم أهل دين باطل، وإنَّهم في ضلالٍ مبين، وما يعتبرونه أعياداً لهم يجبُ على المسلم أن ينكرَه بقلبِه ولسانِه.

واحذر الرِّضا أو التَّطلُّع إلى أفعال أعيادهم، ففي رؤية منكرات مِلَلِهم: خَلَلٌ في المعتقد وَزَيْغٌ للنُّفوس، وإلقاءٌ للشُّبَهِ على القلوب، واللَّه يقول: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْحَقُّ ۖ﴾.

فاحْمَدِ اللَّه - أيُّها المُسلِم - على نعمة الإسلام؛ فهي أعظمُ النِّعَم قَدْراً، وأَبْلَغُها أثراً، واجعلْ إيمانَك ناصعاً يضيءُ لك دروبَ حياتك، ولا تفرِّطْ في دينك، ولا تُقَلِّدْ عدوَّك؛ يقول الرسول ﷺ: «تَرَكْتُ فِيكُمْ أَمْرَيْنِ لَنْ تَضِلُّوا مَا تَمَسَّكْتُمْ بِهِمَا : كِتَابَ اللَّهِ وَسُنَّةَ نَبِيِّهِ» (رواه مالك).

ولدى المسلمين كتابُ ربِّهم، المحفوظُ من كل تحريف، الجامعُ لِخَيْرَي الدنيا والآخرة، فيه النُّورُ والهُدى، وهو المُخْرِجُ من المِحَن والفِتَن؛ يقول ﷻ: ﴿أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَىٰ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾.

ثمَّ اعلموا أنَّ اللَّه أمركم بالصَّلاة والسَّلام على الرَّحْمَةِ المُهْدَاة، والنِّعمةِ المُسْدَاة، مُحمَّد بن عبد اللَّه ...

عَظَمَةُ القُرْآنِ(١)

إنَّ الحمدَ للَّه، نَحمدُه ونَستعينُه ونَستغفرُه، ونَعوذُ باللَّهِ من شرورِ أنفسِنا ومن سيِّئاتِ أعمالِنا، مَنْ يَهده اللَّهُ فلا مُضلَّ له، ومَنْ يُضْلِلْ فلا هَاديَ له، وأشهد أن لا إله إلَّا اللَّهُ وحدَه لا شريك له، وأشهد أنَّ مُحَمَّداً عبدُه ورسولُه، صلَّى اللَّهُ عليه وعلى آله وأصحابه وسلَّم تسليماً كثيراً.

أمَّا بعدُ:

فاتَّقوا اللَّه - عبادَ اللَّه - حقَّ التَّقوى، وراقبوه في السِّرِّ والنَّجوى.

أيُّها المسلمون:

ربُّنا سبحانه كاملٌ في ذاته وأسمائِه وصفاتِه، لا كُفْءَ له ولا مَثِيل، وصفاتُه أكملُ الصِّفات وأحسنُها، وَمِن صفاته سبحانه: الكَلَامُ؛ يتكلَّم متى شاء، إذا شاء، بما شاء، ولا مُنتهى لكلماته: ﴿قُل لَّوۡ كَانَ ٱلۡبَحۡرُ مِدَادٗا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّي لَنَفِدَ ٱلۡبَحۡرُ قَبۡلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّي وَلَوۡ جِئۡنَا بِمِثۡلِهِۦ مَدَدٗا﴾، كلامُه أحسنُ الكلام، وفضلُ كلامه على كلام الخلق كفضلِ الخالقِ على المخلُوق، وآلاؤه سبحانه على العباد لا تُحصَى.

ومِن حكمة اللَّه ورحمته بهم: أَنْ بعثَ فيهم رُسُلَه، وأَنزلَ عليهم

(١) أُلقيت يوم الجمعة، الرابع عشَر من شهر ربيع الأول، سنة سبع وثلاثين وأربع مئة وألف من الهجرة، في المسجد النَّبويِّ.

كُتُبَه، فأنزلَ التَّوراةَ والإنجيلَ والزَّبُورَ وصُحَفَ إبراهيمَ وموسى، وختمَها بالقرآنِ العَظِيم، أعظمِها فضلاً وأشرفِها قدراً، حَمِدَ نفسَه سبحانه على إنزالِه للقرآن؛ فقال: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَـٰبَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَاۜ﴾، وعظَّم ذاتَه العليَّة بإنزاله؛ فقال: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَـٰلَمِينَ نَذِيرًا﴾، وأقسمَ به؛ فقال: ﴿يسٓ * وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْحَكِيمِ﴾، وهو ممَّا أَقْسَمَ عليه ﴿فَلَآ أُقْسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ * وَإِنَّهُۥ لَقَسَمٌ لَّوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ * إِنَّهُۥ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ﴾، مُصدِّقٌ لِمَا بين يديه من الكُتب، ومُهَيْمِنٌ عليها، ونَاسِخٌ لها، ومُؤْتمنٌ على ما كان فيها.

بَشَّرَت به الأنبياءُ قبل نزوله ﴿وَإِنَّهُۥ لَفِى زُبُرِ ٱلْأَوَّلِينَ﴾، قال ابنُ كثيرٍ رحمه الله: «ذِكْرُ هَذَا القُرْآنِ وَالتَّنْوِيهُ بِهِ مَوْجُودٌ فِي كُتُبِ الأَوَّلِينَ المَأْثُورَةِ عَنْ أَنْبِيَائِهِمْ»، ودعا إبراهيمُ وإسماعيلُ عليهما السلام أن يبعثَ اللَّه نبيّاً لتلاوته وتعليمه؛ فقالا: ﴿رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ﴾.

القرآنُ كلامُ ربِّ العالمين، تكلَّم به حقيقةً بحرفٍ وصوتٍ مسمُوعَين، منه بدأ، وإليه يعودُ في آخر الزَّمان، سمِعَه جبريلُ عليه السلام خيرُ الملائكة من اللَّه، ونَزَل به على خير الرُّسُلِ على أشرفِ ما في البدن - وهو القلب -؛ قال سبحانه: ﴿نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ * عَلَىٰ قَلْبِكَ﴾، في أشرف البِقاع، وفي خير الشُّهور، وفي خير اللَّيالِي - ليلة القدر -، لخيرِ أُمَّةٍ، بأفضلِ لغةٍ وأَجْمَعِها.

كتابٌ لا يَعْدِلُه كتاب: ﴿أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ يُتْلَىٰ

عَلَيْهِمْ﴾، امْتَنَّ به سبحانه على هذه الأُمَّة؛ فقال: ﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ﴾، هو شرفٌ للنَّبيِّ ﷺ ولأمَّته ﴿وَإِنَّهُۥ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ﴾، وهو روحُها؛ لِتوقُّفِ الحياة الحقيقية عليه، وإذا ابتعدَ المرءُ عنه كان حيّاً بلا حياة؛ قال سبحانه: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا﴾، لو أنزله اللَّهُ على جَبَلٍ لَخَشَعَ وتَصَدَّع ذُلّاً للَّهِ وطاعة.

لا يصحُّ إيمانُ عبدٍ حتى يُؤْمِنَ به جُمْلةً وتفصيلاً، قال سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِى نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ﴾، وهو في السَّماء: ﴿فِى صُحُفٍ مُّكَرَّمَةٍ ۝ مَّرْفُوعَةٍ مُّطَهَّرَةٍۭ ۝ بِأَيْدِى سَفَرَةٍ﴾ وهم الملائكة ﴿كِرَامٍۭ بَرَرَةٍ﴾، حفِظَه اللَّهُ قبل إنزاله؛ فقال: ﴿بَلْ هُوَ قُرْءَانٌ مَّجِيدٌ ۝ فِى لَوْحٍ مَّحْفُوظٍۭ﴾، وصانَه من الشَّياطينِ وقتَ نزولِه ﴿وَمَا تَنَزَّلَتْ بِهِ ٱلشَّيَٰطِينُ ۝ وَمَا يَنۢبَغِى لَهُمْ وَمَا يَسْتَطِيعُونَ﴾، وتكفَّل بحفظِه بعد نزولِه ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾.

قدَّمه اللَّه في الذِّكر على كثيرٍ من نِعَمِه؛ فقال: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ ۝ عَلَّمَ ٱلْقُرْءَانَ﴾، علَّم اللَّهُ عبادَه القرآن، ويسَّره لهم تلاوةً وعملاً وحفظاً، يحفظُه العربيُّ والعجميُّ، والصَّغيرُ والكبيرُ، والذَّكرُ والأنثى، والغنيُّ والفقيرُ.

كثُرَت أَسْمَاؤُه، وتعدَّدت أَوْصَافُه، جعله اللَّهُ هُدًى وذكرى للعالمين، عامٌّ للبشريَّة كلِّها كعُموم رسالة نبيِّنا ﷺ، فلا يَختصُّ بأُمَّةٍ دون أُمَّة، يُشبِهُ بعضُه بعضاً، وتُصدِّقُ آياتُه آياتِه: ﴿كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا مَّثَانِىَ﴾،

مُستقيمٌ لم يَجْعَلِ اللَّهُ له عِوجاً، لا اختلافَ فيه ولا تناقُض: ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا﴾، هو أحسنُ الحديث وأفضلُه: ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ﴾، قال النَّوَوِيُّ رحمه الله: «فَدَلَّ عَلَى أَنَّهُ أَحْسَنُ مِنْ سَائِرِ الأَحَادِيثِ المُنَزَّلَةِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَغَيْرِ المُنَزَّلَةِ».

وصفَه اللَّهُ بالعظمة؛ فقال: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِى وَٱلْقُرْءَانَ ٱلْعَظِيمَ﴾، وكتبَ اللَّهُ له العلُوَّ في ذاته وقَدْرِه؛ فقال: ﴿وَإِنَّهُۥ فِىٓ أُمِّ ٱلْكِتَٰبِ لَدَيْنَا لَعَلِىٌّ حَكِيمٌ﴾.

بيِّنٌ في لفظه ومعناه، وبيانٌ للأمور على جَلِيَّتها، قال سبحانه: ﴿هَٰذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ﴾، قال ابنُ مسعودٍ رضي الله عنه: «بَيَّنَ لَنَا فِي هَذَا القُرْآنِ كُلَّ عِلْمٍ وَكُلَّ شَيْءٍ».

حكيمٌ، فيه ومنه الحكمة: ﴿تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْحَكِيمِ﴾، كريمٌ عند اللَّه، فيه من المكارِم أعلاها، وبه يُكرَم العبدُ ويُعظَّم عند اللَّه وخلقِه، قال تعالى: ﴿إِنَّهُۥ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ﴾، فيه هدايةُ الخلق ومع الهداية فيه الرَّحمة: ﴿هُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾، عِصْمةٌ من الضَّلال لِمَنْ تَمسَّك به؛ قال النَّبيُّ ﷺ: «**تَرَكْتُ فِيكُمْ مَا لَنْ تَضِلُّوا بَعْدَهُ إِنِ اعْتَصَمْتُمْ بِهِ: كِتَابَ اللَّهِ**» (رواه مسلم).

مَجِيدٌ، بالغٌ في الشَّرَفِ أعلاه، قال تعالى: ﴿قٓ وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْمَجِيدِ﴾، عزيزٌ لا يُجاريه في عزِّه شيء، ومَنْ دَنَا منه نَالَه العزُّ: ﴿وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٌ﴾، عالٍ لا يُدانَى، كثيرُ الخير والمنافِع، ووُجوهُ البركة فيه كثيرة، قال سبحانه: ﴿وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ﴾، مَنْ تلاه وعملَ به

ونشرَه في الآفاق عزَّ، وناله الأمنُ والرَّخاء، قال ابنُ كثيرٍ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «لَمَّا كَانَتْ خِلَافَةُ عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ امْتَدَّتِ المَمَالِكُ الإِسْلَامِيَّةُ إِلَى أَقْصَى مَشَارِقِ الأَرْضِ وَمَغَارِبِهَا؛ وَذَلِكَ بِبَرَكَةِ تِلَاوَتِهِ، وَدِرَاسَتِهِ، وَجَمْعِهِ الأُمَّةَ عَلَى حِفْظِ القُرْآنِ».

كتابُ اللَّه نورٌ في الحياة لإبصارِ نور الدُّنيا والآخرة؛ قال سبحانه: ﴿قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ﴾، وبه تحيا الأرواحُ فهو الحياةُ لمَنِ استجابَ له: ﴿ٱسْتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾، ومع حياة الأرواح به فهو شفاءٌ لأمراض الأبدان، «لَدَغَتْ عَقْرَبٌ رَجُلاً فِي عَهْدِ النَّبِيِّ ﷺ، فَقُرِئَ عَلَيْهِ سُورَةُ الفَاتِحَةِ؛ فَبَرَأَ» (متفق عليه)، هو موعظةٌ وتثبيتٌ للقلب عند الفِتَنِ والمَصائِب والمَصاعِب: ﴿كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَ﴾.

بالقرآن تجتمعُ كلمةُ الأمَّة، وتزولُ خلافاتُهُم: ﴿وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ﴾، قال ابنُ كثيرٍ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فَهُوَ كَامِلٌ صُورَةً وَمَعْنًى»، آياتُه مُحْكَمةٌ في لفظها، مفصَّلةٌ في معناها: ﴿كِتَٰبٌ أُحْكِمَتْ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾.

تحدَّى به الأوَّلين والآخرين، إنسَهم وجنَّهم؛ فقال: ﴿قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُواْ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾، ما سمِعَه عاقلٌ إلَّا شهِدَ أنه حقٌّ، سمِعته الجنُّ فقال بعضُهم لبعضٍ: أَنْصِتُوا، وعَادُوا إلى قومِهم قائلين: ﴿إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا﴾.

خيرُ الذِّكر وأفضلُه، تلاوتُه تزيدُ في الإيمان: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا﴾، آياتُه أبكت العظماء؛ «قَرَأَ ابْنُ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مِنْ سُورَةِ النِّسَاءِ، فَلَمَّا بَلَغَ قَوْلَهُ: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍۭ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَـٰٓؤُلَآءِ شَهِيدًا﴾، قَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: **حَسْبُكَ**، قَالَ: فَالْتَفَتُّ، فَإِذَا عَيْنَاهُ تَذْرِفَانِ» (متفق عليه)، و«كَانَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إِذَا قَرَأَ الْقُرْآنَ لَا يَكَادُ يُسْمِعُ مَنْ خَلْفَهُ مِنَ الْبُكَاءِ»، و«قَرَأَ جَعْفَرٌ الطَّيَّارُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَلَى النَّجَاشِيِّ صَدْراً مِنْ سُورَةِ مَرْيَمَ؛ فَبَكَى حَتَّى أَخْضَلَ لِحْيَتَهُ، وَبَكَتْ أَسَاقِفَتُهُ حَتَّى أَخْضَلُوا مَصَاحِفَهُمْ»، وأَمَرَ اللَّهُ بإجارة المُسْتَجِيرِ من الكُفَّار حتى يسمعَ القرآن؛ قال سبحانه: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَـٰمَ ٱللَّهِ﴾.

حَوَى من العلومِ أَجْمعَها ومن المعارِف أَنفعَها، وأهلُه العارِفون بمعانيه هم العلماء حقّاً؛ قال سبحانه: ﴿بَلْ هُوَ ءَايَـٰتٌۢ بَيِّنَـٰتٌ فِى صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ﴾، ومُعلِّمُ القرآن ومُتعلِّمُه هم خيرُ النَّاس؛ قال النَّبيُّ ﷺ: «**خَيْرُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ وَعَلَّمَهُ**» (رواه البخاري).

فيه من الأَنْبَاء أصدقُها، ومن البراهين والدَّلائل أظهرُها، ومن القَصَص أحسنُها، ومن الحِكَم أبلغُها، ومن البلاغة والفصاحَة أجملُها، قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ: «نَفْسُ نَظْمِ القُرْآنِ وَأُسْلُوبِهِ عَجِيبٌ بَدِيعٌ، لَيْسَ مِنْ جِنْسِ أَسَالِيبِ الكَلَامِ المَعْرُوفَةِ، وَلَمْ يَأْتِ أَحَدٌ بِنَظِيرِ هَذَا الأُسْلُوبِ، فَإِنَّهُ لَيْسَ مِنْ جِنْسِ الشِّعْرِ وَلَا الرَّجَزِ وَلَا الخَطَابَةِ وَلَا

الرَّسَائِلِ، وَلَا نَظْمُهُ نَظْمُ شَيْءٍ مِنْ كَلَامِ النَّاسِ - عَرَبِهِمْ وَعَجَمِهِمْ -، وَالإِعْجَازُ فِي مَعْنَاهُ أَعْظَمُ وَأَكْثَرُ مِنَ الإِعْجَازِ فِي لَفْظِهِ».

كتابُ اللَّهِ شاملٌ في أحكامه، عدلٌ في قضائِه، حكيمٌ في أمره ونهيه، عليه هيبةٌ وجلالٌ، وله قوةٌ وتأثيرٌ وجمال، مُعجِزٌ بأقلِّ ألفاظه، هادٍ بأيسر دلائله، آيةٌ باهرةٌ، ومُعجزةٌ ظاهرة، مَنْ عمل به أُجِر، ومَنْ حَكَمَ به عدَل، ومَنْ تمسَّك به عُصِم، ومَنِ اتَّبَعَه رُحِم: ﴿فَٱتَّبِعُوهُ وَٱتَّقُواْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾.

هو أنفعُ الذِّكرَ وأجمعُه، امتدحَ اللَّهُ مَنْ تلاه، وأثنَى على العاملين به، ووعدَهم بالوفاء والزِّيادة؛ فقال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَٰرَةً لَّن تَبُورَ لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦٓ﴾.

هو التِّجارةُ الرَّابحةُ المُضاعفَة، مَنْ قرأَ حرفاً منه فله به حسنة، والحسنةُ بعشر أمثالها، وتعلُّمه خيرٌ من أموال الدنيا؛ قال النَّبيُّ ﷺ: «أَفَلَا يَغْدُو أَحَدُكُمْ إِلَى المَسْجِدِ فَيَعْلَمُ - أي: يتعلَّم - أَوْ يَقْرَأُ آيَتَيْنِ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ خَيْرٌ لَهُ مِنْ نَاقَتَيْنِ، وَثَلَاثٌ خَيْرٌ لَهُ مِنْ ثَلَاثٍ، وَأَرْبَعٌ خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَرْبَعٍ، وَمِنْ أَعْدَادِهِنَّ مِنَ الإِبِلِ» (رواه مسلم)، و«المَاهِرُ بِالقُرْآنِ مَعَ السَّفَرَةِ الكِرَامِ البَرَرَةِ» (متفق عليه).

مجالسُ القرآن ومواطِنُ تعلُّمِه مظانُّ تنزُّلِ السَّكينة والرَّحمةِ على مُعلِّميها والمُتعلِّمين؛ قال ﷺ: «مَا اجْتَمَعَ قَوْمٌ فِي بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ اللَّهِ،

يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ، وَيَتَدَارَسُونَهُ بَيْنَهُمْ؛ إِلَّا نَزَلَتْ عَلَيْهِمُ السَّكِينَةُ، وَغَشِيَتْهُمُ الرَّحْمَةُ، وَحَفَّتْهُمُ المَلَائِكَةُ، وَذَكَرَهُمُ اللَّهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ» (رواه مسلم)، وباستماعه نَيلُ الرَّحمَات؛ قال سبحانه: ﴿وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥ وَأَنصِتُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾.

التَّمسُّكُ به وتلاوتُه وصيَّةُ النَّبيِّ ﷺ للأُمَّة؛ سُئل عبدُ اللَّه بنُ أبي أوفَى رضي الله عنهما عن وصيَّةِ رسولِ اللَّهِ ﷺ، فقال: «أَوْصَى بِكِتَابِ اللَّهِ» (متفق عليه)، قال ابنُ حجرٍ رحمه الله: «وَالمُرَادُ بِالوَصِيَّةِ بِكِتَابِ اللَّهِ: حِفْظُهُ حِسّاً وَمَعْنًى؛ فَيُكْرَمُ، وَيُصَانُ، وَيُتَّبَعُ مَا فِيهِ، وَيُدَاوَمُ عَلَى تِلَاوَتِهِ، وَتَعَلُّمِهِ، وَتَعْلِيمِهِ».

حاملُ القرآن مُكرَمٌ في حياته وبعد مماته؛ ففي الحياة: «**يَؤُمُّ القَوْمَ أَقْرَؤُهُمْ لِكِتَابِ اللَّهِ**» (رواه مسلم)، وبعد الوفاة: «كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَجْمَعُ بَيْنَ الرَّجُلَيْنِ مِنْ قَتْلَى أُحُدٍ فِي ثَوْبٍ وَاحِدٍ، ثُمَّ يَقُولُ: **أَيُّهُمْ أَكْثَرُ أَخْذاً لِلْقُرْآنِ؟** فَإِذَا أُشِيرَ لَهُ إِلَى أَحَدِهِمَا؛ قَدَّمَهُ فِي اللَّحْدِ» (رواه البخاري)، وأهلُ القرآن خيرُ جليسٍ للمرء؛ «كَانَ القُرَّاءُ أَصْحَابَ مَجَالِسِ عُمَرَ وَمُشَاوَرَتِهِ» (رواه البخاري).

وهو حُجَّةٌ لأهلِه يومَ الدِّين، وشافعٌ مُشفَّعٌ عند ربِّ العالمين؛ قال النَّبيُّ ﷺ: «**اقْرَؤُوا القُرْآنَ؛ فَإِنَّهُ يَأْتِي يَوْمَ القِيَامَةِ شَفِيعاً لِأَصْحَابِهِ**» (رواه مسلم)، وصاحبُ القرآن في أعلى درجات النَّعيم، «**يُقَالُ لِصَاحِبِ القُرْآنِ: اقْرَأْ، وَارْتَقِ، وَرَتِّلْ كَمَا كُنْتَ تُرَتِّلُ فِي الدُّنْيَا، فَإِنَّ مَنْزِلَكَ عِنْدَ آخِرِ آيَةٍ تَقْرَؤُهَا**» (رواه أبو داود).

وبعدُ، أيُّها المسلمون:

فالفرحُ بالقرآنِ العظيمِ وتعليمِه من أرفعِ مقاماتِ الإيمان، ولا غِنَى لأحدٍ عن كتاب اللَّه، فنبيُّنا مُحمَّدٌ ﷺ أكملُ النَّاس عقلاً، وكمالُ عقله لم يهده إلى الصَّواب، وإنَّما هدايتُه بالقرآن؛ قال سبحانه: ﴿قُلْ إِن ضَلَلْتُ فَإِنَّمَا أَضِلُّ عَلَىٰ نَفْسِي ۖ وَإِنِ اهْتَدَيْتُ فَبِمَا يُوحِي إِلَيَّ رَبِّي ۚ﴾، وأسعدُ النَّاس أقربُهم من كتاب اللَّه، وهو شرفُ وسُؤدَدُ المُسلمين، ورُقيُّ وفَخْرُ الأجيال، وهو أمانٌ للمُجتمع، وبركةٌ عليه، وفيه الأُنسُ، والرِّفعةُ، ورِضا ربِّ العالمين.

أعوذ باللَّه من الشَّيطان الرَّجيم

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِّمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾.

بارك اللَّه لي ولكم في القرآن العظيم ...

الخطبة الثَّانية

الحمد للَّهِ على إحسانه، والشُّكرُ له على توفيقِه وامتنانِه، وأشهد أن لا إله إلَّا اللَّهُ وحدَه لا شريك له تعظيماً لشأنه، وأشهد أنَّ نبيَّنا مُحمَّداً عبدُه ورسولُه، صلَّى اللَّهُ عليه وعلى آله وأصحابه وسلَّم تسليماً مزيداً.

أيُّها المسلمون:

مَنِ اتَّبَعَ القرآنَ ناله الهُدى، ومَنْ أَعرضَ عنه ضلَّ في الرَّدَى؛ قال سبحانه: ﴿فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ﴾، ولا طريقَ لِلْهداية بدونه.

ومَنْ حُجِبَ قلبُه عن الانتفاع به فلن يَهْتدِيَ بغيره؛ قال سبحانه: ﴿فَبِأَيِّ حَدِيثٍۭ بَعْدَ ٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ يُؤْمِنُونَ﴾، وكما أَنَّ القرآنَ يَرْفَعُ صاحبَه فإنَّه يَضَعُ مَنْ عَادَاه؛ قال النَّبيُّ ﷺ: «**إِنَّ اللَّهَ يَرْفَعُ بِهَذَا الكِتَابِ أَقْوَاماً، وَيَضَعُ بِهِ آخَرِينَ**» (رواه مسلم).

وكلامُ اللَّه عزيزٌ عظيم، مَنْ أنكرَ حرفاً منه أو هَزَلَ به؛ كفر؛ قال سبحانه: ﴿قُلْ أَبِٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ۝ لَا تَعْتَذِرُوا۟ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ﴾، ولَمْ يَسْخَرْ أحدٌ بكتابِ اللَّه أو أهلِه أو تَعْليمِه إلَّا أذلَّه اللَّه؛ فحقيقٌ بالمُسلم أن يَنْصُرَ كتابَ ربِّه، ويَعتزَّ به؛ لينالَ أعلى الدَّرجات.

ثمَّ اعلموا أنَّ اللَّه أمركم بالصَّلاة والسَّلام على نبيِّه ...

الإِيمَانُ بِالرُّسُلِ

الأَنْبِيَاءُ وَالرُّسُلُ (١)

الحمد للَّه المتوَحِّدِ بالعَظَمَةِ والجَلَال، المُتَّصِفِ بصفاتِ الكمال، المُنزَّهِ عن الأَشْبَاهِ والأَمْثَال، أَحْمَدُه سبحانه وأَشْكُرُه شُكْراً يَزِيدُ النِّعَم ويَحْفَظُهَا من الزَّوال.

وأشهد أن لا إله إلَّا اللَّه وحده لا شريك له، الكبيرُ المُتَعال.

وأشهد أنَّ نبيَّنا مُحَمَّداً عبدُه ورسولُه كريمُ المزايا وشريفُ الخِصال، صلَّى اللَّه عليه وعلى آله وصَحْبِه خيرِ صَحْبٍ وآل، ومَنْ تَبِعَهُم بإحسانٍ إلى يومِ المآل.

أمَّا بعدُ:

فاتَّقوا اللَّه - عبادَ اللَّه - حقَّ التَّقوى؛ فمَنِ اتَّقى ربَّه وَقَاه، ومَنْ أَقْبَلَ إليه أعانه وهداه، ومَنْ شَكَرَه زاده وأرضاه.

أيُّها المسلمون:

لقد بعث اللَّه الرُّسُل حين استند كلُّ قومٍ إلى ظُلَم آرائِهم وأباطيل ضلالاتِهم، فهدى اللَّهُ بهم الخلائقَ، وأَوْضَحَ بهم الطَّرائق، ولا سبيلَ إلى السَّعادة والفلاح إلَّا على أيديهم، ولا يُنال رضا اللَّه إلَّا باتباعهم.

(١) أُلقِيَتْ يوم الجمعة، السَّابع عشَر من شهر ربيع الآخر، سنة عشرين وأربع مئة وألف من الهجرة، في المسجد النَّبويِّ.

والإيمانُ بهم أصلٌ من أُصولِ الإيمان، نُؤْمنُ بهم إِجْمَالاً على الإجمال، وتَفْصيلاً على التَّفصيل.

حَمَلُوا ميزانَ العَدْل والقِسْط، ذَكَرَ اللَّه في كتابِه منهم خمسةً وعشرين نبيّاً ورسولاً؛ قال أبو ذرٍّ رضي الله عنه: «قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! كَمِ المُرْسَلُونَ؟ قَالَ: **ثَلَاثُ مِئَةٍ وَبِضْعَةَ عَشَرَ جَمّاً غَفِيراً**» (رواه أحمد).

رَكْبٌ مُتَواصلٌ بالهدى والنُّور، يُبَشِّر المُتقدِّمُ منهم بالمُتأخِّر، ويُصدِّق المُتأخِّرُ المُتقدِّم، ازدانوا بِفَصَاحةِ لُغَتهم وعُلوِّ عبارتهم، وكمالِ شَفَقَتِهم على أُمَمِهم ولُطْفِهم ورَحْمَتِهم، أَنْسَابُهُم كَريمةٌ وأُصُولُهُم شَرِيفةٌ، خَلَقهم اللَّهُ على غايةٍ من الكمال والجمال: ﴿ٱللَّهُ أَعۡلَمُ حَيۡثُ يَجۡعَلُ رِسَالَتَهُۥۗ﴾.

أيُّها المسلمون:

إخلاصُ العملِ للَّه وخُلوصُ النِّيَّةِ له وصوابُه أصلٌ في قَبول الطَّاعات، والمُرْسَلُون أَشدُّ النَّاس سعياً إلى تحقيق الإخلاص للمعبود: ﴿رَبَّنَا تَقَبَّلۡ مِنَّآۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ﴾، وكَسْبُ المال الحلال للدَّاعِيَة وتَوَارِيه عن الشُّبُهات والمُحرَّمات أَرْجَى للقَبولِ وأَنْفَذُ إلى القُلوب، لِذَا سَعَى الأنبياءُ إلى طِيبِ مَكْسَبِهِم؛ فكان داودُ لا يأكلُ إلَّا مِنْ عَمَلِ يَدِه، وكان زَكَرِيَّا نجَّاراً، وما من نبيٍّ إلَّا ورَعَى الغنم: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُواْ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعۡمَلُواْ صَٰلِحًاۖ﴾.

أيُّها المسلمون:

الطَّيِّبُ من الأعمال والأقوال والأخلاق هَدْيُهم، وما شرعوه هو الميزان الذي توزن به الأخلاق والأعمال، هم أَبرُّ النَّاس قُلوباً

وأَعْمَقُهم عِلْماً وأَوْسَعُهُم حِلْماً، صِفَاتُهُم حَمِيدَة وأَخْلاقُهُم مجيدة؛ برٌّ بالوالدين؛ يقول اللّه تعالى عن يحيى عليه السلام: ﴿وَبَرًّا بِوَٰلِدَيْهِ وَلَمْ يَكُن جَبَّارًا عَصِيًّا﴾، وصِدْقٌ في الوعد: ﴿وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ إِسْمَٰعِيلَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ صَادِقَ ٱلْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا﴾، حِلْمٌ وأَنَاةٌ: ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّٰهٌ مُّنِيبٌ﴾، مَحْفُوفٌ ذلك بِكَرَمٍ وسَخَاء؛ رَاغَ إبراهيمُ إلى أهلِه فَجَاء بِعِجْلٍ سَمِينٍ حَنِيذٍ وقدَّمَه لثلاثة أضياف، وسأل رجلٌ رسول اللّه ﷺ مالاً فأعطاه قَطِيعاً من الغنم بين جبلين، عِفَّة ونزاهة: ﴿وَلَقَدْ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفْسِهِۦ فَٱسْتَعْصَمَ﴾، حِفْظٌ للجميل ووفاءٌ لمعروف الآخرين: ﴿مَعَاذَ ٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ رَبِّىٓ﴾ أي: سيدي ﴿أَحْسَنَ مَثْوَاىَ﴾، يَعْفُون عن المسيئين، ويصفحون عن المعتدين: ﴿لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ ۖ يَغْفِرُ ٱللَّهُ لَكُمْ ۖ وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾، وقال رسول اللّه ﷺ لِزُعَماء قريش لمَّا فتح مكَّة: «**اذْهَبُوا؛ فَأَنْتُمُ الطُّلَقَاءُ**»، مَيَّزهم اللّه بالعقول التَّامَّةِ والأفهامِ الكاملةِ والعلومِ الوافرة: ﴿فَفَهَّمْنَٰهَا سُلَيْمَٰنَ ۚ وَكُلًّا ءَاتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا﴾، تواضعُهم جمٌّ؛ كان أفضلهم ﷺ يَحْلِبُ شاته ويَخدمُ نفسَه ويَخْصِفُ نعلَه.

أيُّها المسلمون:

الجنَّةُ لا تُنالُ إلَّا بالصَّبر: ﴿وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟﴾، وعند تلاطمِ المِحَن واشتداد الحال يتميَّزُ الرِّجال وَيَنْصَعُ الإيمان، وقد لقي الأنبياء من مخالفيهم الأنكالَ والأهوال؛ تنقَّصوهم وتَوَعَّدوهم، ونالوا منهم وبالغوا في أذيتهم.

تطاولَ الزَّمانُ والمُجَادلةُ بين نوحٍ وقومه ألف سنة إلَّا خمسين

عاماً، وبُعِث لوطٌ إلى قومٍ يقطعون الطَّريقَ، ويخونون الرَّفيق، ويرتكبون المُنْكَرَات في مَجالِسِهم، ولا يَسْتَحْيُونَ من مُجَالِسِهِم، ومَضْرِب مَثَلِ الصَّبرِ أيوب؛ ابْتُلِيَ في جسده بأنواع من البلاء وطَالَ مَرَضُهُ حتَّى عَافَه الجَلِيس، وأَوْحَشَ منه الأَنِيس؛ فازداد صبراً وحَمْداً وشُكْراً واحْتِسَاباً، وأَدْمَوُا النَّبيَّ ﷺ في غزوة أُحُدٍ وكَسَرُوا رَبَاعِيته، وتُوفِّي للنَّبيِّ ﷺ في حياته ستةٌ من أولاده، وحَزِنَ قلبُه ورَقَّ فؤادُه ودَمَعَتْ عينه، وقُتِل منهم من قُتِل، قال اللَّه: ﴿وَيَقْتُلُونَ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيۡرِ حَقٍّۚ﴾.

الأنبياءُ أشدُّ الناسِ بلاءً وأعظمُهُم صبراً؛ يقول عليه الصلاة والسلام: «**أَشَدَّ النَّاسِ بَلَاءً: الأَنْبِيَاءُ، ثُمَّ الأَمْثَلُ فَالأَمْثَلُ**» (رواه النسائي).

أيُّها المسلمون:

إذا حقَّق العبدُ التَّوكُّلَ على اللَّه، وفوَّضَ الأمرَ إليه، ولم يُخِلَّ بالأسباب؛ أتاه الفَرَج من السَّماء؛ وُضِعَ الخليلُ عليه السلام في كِفَّة المَنْجَنِيقِ مُقيَّداً مَكْتُوفاً، ثمَّ أُلْقِيَ في النَّار؛ فلم يَزِد على قوله: ﴿حَسۡبُنَا ٱللَّهُ وَنِعۡمَ ٱلۡوَكِيلُ﴾، فجعلها اللَّهُ برداً وسلاماً، وخُوِّف رسولُ اللَّه ﷺ بكثرة الأعداء واجتماعهم، فقال: «**حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الوَكِيْلُ**»، ففرَّق اللَّهُ جَمْعَهم وأبطلَ مكرَهم.

وبالدُّعاء يَقْوَى الضَّعيفُ ويَفْرَحُ الحزين ويُستفتَحُ الفَرَجُ؛ نادى أيوبُ عليه السلام ربَّه: ﴿أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾، فاستجاب له ربُّه فكشف ضُرَّه وآتاه أهلَه ومثلَهُم معهم، وزكريَّا بعد وَهْنِ عَظْمٍ منه

وَقُـرْبِ أجـلِـه نـادى ربَّـه: ﴿رَبِّ لَا تَذَرْنِى فَرْدًا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْوَٰرِثِينَ﴾، فاستجاب له ربُّه وَوَهَبَ له يحيى وأَصْلَحَ له زوجَه.

أيُّها المسلمون:

تمامُ السَّعادة بصلاح الأبناء؛ فهُمُ النَّسَبُ الباقي والعمرُ الثاني، ومع ما لاقاه رسلُ اللَّه من المشاقِّ وسوء الطِّباع من أقوامهم، فإنَّ ذلك لم يَشْغَلْهم عن اهتمامهم بإصلاح أهليهم، دعا إبراهيمُ ابنَه إِسماعيلَ لِرَفعِ قواعدِ البيت معه، وكان إِسماعيلُ يأمرُ أهلَه بالصَّلاة والزَّكاة، وكان زكريَّا وأهلُ بيته يدعون ربَّهم رغَباً ورهَباً وكانوا له خاشعين.

عبادَ اللَّه:

كثرةُ العبادة دليلٌ على صِدْق التَّوجُّهِ إلى اللَّه، كان إبراهيمُ عليه السلام قَانِتاً للَّه، وكان داودُ عليه السلام يَصومُ يوماً ويُفْطِرُ يوماً، وكان رسولنا ﷺ يقومُ من اللَّيلِ حتى تَتَفَطَّرَ قَدَمَاه.

فعلى المسلم أَنْ يهتديَ بِهَدْيِهِم ويَتَأَسَّى بِصَبْرِهِم ويَتَّصِفَ بنَبِيلِ خِلالِهِم؛ لِيَلْحَقَ بِرَكْبِهِم ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْۗ﴾.

أعوذ باللَّه من الشَّيطان الرَّجيم

﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقًا﴾.

بارك اللَّه لي ولكم في القرآن العظيم ...

الخطبة الثَّانية

الحمد للَّه حَمْداً كما يُحِبُّ ربُّنا ويَرْضَى.

وأشهد أن لا إله إلَّا اللَّه وحدَه لا شريك له، له الحمدُ في الآخرة والأُولى.

وأشهد أنَّ نبيَّنا مُحمَّداً عبدُه ورسولُه، المبعوثُ بالرَّحْمةِ والهدى، صلَّى اللَّه عليه وعلى آله وصَحبه ومَنْ سار على هديهِم واقتفى.

أمَّا بعدُ، أيُّها المسلمون:

خُلاصةُ الرِّسالات السَّماويَّة: الدَّعوةُ إلى عبادة اللَّه وحده لا شريك له، وَنَبْذُ ما يُعْبَدُ من دونه؛ قال ﷻ: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ﴾.

والأنبياءُ لا يُرْفَعُونَ فوق قَدْرِهم، ولا يُنْزَلُونَ دون منزلتهم، فهُمْ رُسلُ اللَّه وعَبيدُه، لا يُكَذَّبون ولا يُصْرَفُ لهم شيءٌ من أنواع العبادة؛ فلا يُدعون من دون اللَّه، ولا يُستعانُ بهم، ولا يُنذرُ ولا يُذبحُ لهم، ولا يُحلفُ بهم، ولا يُطلبُ منهم الشِّفاء.

يَعْتَرِيهم ما يعتري البَشَرُ؛ فقد خاف إبراهيمُ من أضيافِه حين امتنعوا من أكلِ الطَّعام، و«**نَزَلَ نَبِيٌّ مِنَ الأَنْبِيَاءِ تَحْتَ شَجَرَةٍ فَلَدَغَتْهُ نَمْلَةٌ**» (متفق عليه)، ونَسِيَ النَّبيُّ ﷺ في صلاته، وقال: «**إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ؛ أَنْسَى كَمَا تَنْسَوْنَ، فَإِذَا نَسِيتُ فَذَكِّرُونِي**» (متفق عليه)، وهُمْ يَأْكُلُون

ويَشْرَبُون ويَجُوعُون، ويَحْزَنُون ويَبْكُون، ويَمْرَضُون ويَمُوتُون، يقول أبو الأنبياء عليه السلام: ﴿وَٱلَّذِى هُوَ يُطْعِمُنِى وَيَسْقِينِ ۝ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ۝ وَٱلَّذِى يُمِيتُنِى ثُمَّ يُحْيِينِ﴾، ويقول نبيُّنا مُحمَّدٌ ﷺ لابنته: «**يَا فَاطِمَةُ بِنْتَ مُحَمَّدٍ! سَلِيْنِي مِنْ مَالِي مَا شِئْتِ، لَا أُغْنِي عَنْكِ مِنَ اللَّهِ شَيْئاً**» (رواه البخاري).

فاللَّهُ سبحانه هو النَّافعُ الضَّارُّ، والأمرُ له وَحدَه؛ يُعطي ويَمنع، يُحيي ويُميت، يقول تعالى: ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَآدَّ لِفَضْلِهِۦ ۚ يُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾.

ثمَّ اعلموا أنَّ اللَّه أمركم بالصَّلاة والسَّلام على نبيِّه ...

حُقُوقُ النَّبِيِّ ﷺ (١)

إنَّ الحمدَ للَّه، نَحمدُه ونَستعينُه ونَستغفرُه، ونَعوذُ باللَّهِ من شرورِ أنفسِنا ومن سيِّئاتِ أعمالِنا، مَنْ يَهده اللَّهُ فلا مُضلَّ له، ومَنْ يُضْلِلْ فلا هَاديَ له، وأشهد أن لا إله إلَّا اللَّهُ وحدَه لا شريك له، وأشهد أنَّ مُحَمَّداً عبدُه ورسولُه، صلَّى اللَّهُ عليه وعلى آله وأصحابه وسلَّم تسليماً كثيراً.

أمَّا بعدُ:

فاتَّقوا اللَّه - عبادَ اللَّه - حقَّ التَّقوى؛ فالنَّعيمُ في اتِّباعِ الهُدى، والشَّقاءُ في مُوافقةِ الهَوَى.

أيُّها المسلمون:

مِنَنُ اللَّهِ على عباده جِسام، ونِعَمُهُ عليهم عِظام، ومِنْ أَجلِّ نِعَمِهِ أَنْ أَرْسلَ الرُّسُلَ به مُعرِّفين، ولِتَوْحِيدِه دَاعِين، وهمُ الوَسَائِطُ بين اللَّه وخلقِه في أمرِه ونهيِه، والسُّفراءُ بينَه وبين عبادِه، قال سبحانه: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ﴾.

ولا سَبيلَ إلى السَّعادةِ في الدُّنيا والآخرة إلَّا على أيديهم، ولا طريقَ إلى معرفةِ الطَّيِّبِ والخبيثِ على التَّفصيلِ إلَّا من جِهتِهم، ولا

(١) أُلقِيَتْ يوم الجمعة، الثَّالث من شهر ربيع الآخر، سنة ست وثلاثين وأربع مئة وألف من الهجرة، في المسجد النَّبويِّ.

يُنالُ رِضا اللَّهِ البتَّةَ إلَّا من طريقِهم، قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ: «الرِّسَالَةُ ضَرُورِيَّةٌ لِلْعِبَادِ لَا بُدَّ لَهُمْ مِنْهَا، وَحَاجَتُهُمْ إِلَيْهَا فَوْقَ حَاجَتِهِمْ إِلَى كُلِّ شَيْءٍ، وَالرِّسَالَةُ رُوحُ العَالَمِ، وَنُورُهُ، وَحَيَاتُهُ، وَلَا بَقَاءَ لِأَهْلِ الأَرْضِ إِلَّا مَا دَامَتْ آثَارُ الرُّسُلِ مَوْجُودَةً فِيهِمْ، فَإِذَا انْدَرَسَتْ آثَارُ الرُّسُلِ مِنَ الأَرْضِ، وَانْمَحَتْ بِالكُلِّيَّةِ؛ خَرَّبَ اللَّهُ العَالَمَ العُلْوِيَّ وَالسُّفْلِيَّ وَأَقَامَ القِيَامَةَ».

وخيرُ الرُّسُل نبيُّنا مُحمَّدٌ ﷺ، وشرفُ أمَّته، وعلُوُّ منزلتِها به، قال ابنُ كثيرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: «وَإِنَّمَا حَازَتْ هَذِهِ الأُمَّةُ قَصْبَ السَّبْقِ إِلَى الخَيْرَاتِ بِنَبِيِّهَا مُحَمَّدٍ ﷺ»، ولفَضْلِه كان صَحْبُهُ خيرَ صَحْبٍ لِنَبيٍّ، وقرْنُه خيرَ قَرْنٍ، وما فُضِّلَ إلَّا به، ولِفَضْلِ اللَّه عليه كان أكثرَ الرُّسُلِ تابِعاً يوم القيامة.

اختارَه اللَّه من بين النَّاسِ فكان سيِّدَ ولدِ آدم، واصطفَاهُ اللَّه على الخلقِ فكان خيرَهم، قال عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «**إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى كِنَانَةَ مِنْ وَلَدِ إِسْمَاعِيلَ، وَاصْطَفَى قُرَيْشاً مِنْ كِنَانَةَ، وَاصْطَفَى مِنْ قُرَيْشٍ بَنِي هَاشِمٍ، وَاصْطَفَانِي مِنْ بَنِي هَاشِمٍ**» (رواه مسلم).

عظَّمَه اللَّه فأقسَمَ بعُمره، ولم يُنادِه في كتابِه باسمٍ مُجرَّدٍ كسائرِ الأنبياء؛ بل ما ناداه إلَّا باسمِ النُّبُوَّةِ والرِّسالَة، شرحَ اللَّه صدرَه، وغفَرَ ذنبَه، ورَفَعَ ذِكرَه، وأَخَذَ اللَّهُ على النَّبيِّين الميثاقَ بالإيمانِ به؛ قال سبحانه: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّۦنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ ۚ قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِى ۖ قَالُوٓا۟ أَقْرَرْنَا ۚ﴾، قال ابنُ كثيرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: «وَهُوَ الإِمَامُ الأَعْظَمُ

الَّذِي لَوْ وُجِدَ فِي أَيِّ عَصْرٍ وُجِدَ، لَكَانَ هُوَ الوَاجِبَ الطَّاعَةَ، المُقَدَّمَ عَلَى الأَنْبِيَاءِ كُلِّهِمْ؛ وَلِهَذَا كَانَ إِمَامَهُمْ لَيْلَةَ الإِسْرَاءِ لَمَّا اجْتَمَعُوا بِبَيْتِ المَقْدِسِ».

ختَمَ اللَّهُ به النُّبُوَّةَ والرِّسالَة: ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾، وأتمَّ به الدِّين: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًاۚ﴾، أيَّده اللَّه بالآيات، وأَنْزَلَ عليه أفضلَ كتاب، وحفِظَ دينَه ووعَدَ بنصرِه.

الإيمانُ به ﷺ ومحبَّتُه وتصديقُه أصلٌ من أصول الدِّين، قُرِنَت الشَّهادةُ له بالرِّسالةِ بالشَّهادةِ للَّه بالوحدانيَّة، أرسله اللَّهُ إلى العرب والعجَم، والإنسِ والجنِّ؛ قال سبحانه: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾.

أرسله اللَّه رحمةً للعالَمين؛ فحصَلَ لهم النَّفعُ برسالتِه، ورحمتُه بالمؤمنين خاصَّة؛ قال سبحانه: ﴿وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْۚ﴾، ما تركَ خيراً إلَّا دلَّ الأمَّةَ عليه، ولا شرّاً إلَّا حذَّرَها منه؛ قال عليه الصلاة والسلام: «**مَا يَكُنْ عِنْدِي مِنْ خَيْرٍ فَلَنْ أَدَّخِرَهُ عَنْكُمْ**» (متفق عليه).

ومَنْ لَمْ يُؤمنْ بالنَّبيِّ ﷺ ويتَّبِعْه؛ توعَّدَهُ اللَّهُ بالنَّار، قال ﷻ: ﴿وَمَن لَّمْ يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ فَإِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ سَعِيرًا﴾.

وأهلُ الكتابِ واجبٌ عليهم الإيمانُ به واتِّباعُه؛ قال ﷺ: «**وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ! لَا يَسْمَعُ بِي أَحَدٌ مِنْ هَذِهِ الأُمَّةِ - يَهُودِيٌّ، وَلَا**

نَصْرَانِيٌّ -، ثُمَّ يَمُوتُ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ؛ إِلَّا كَانَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ» (رواه مسلم).

ولا غِنى للنَّاس عن الإيمانِ بالنَّبيِّ ﷺ وطاعتِه في كلِّ مكانٍ وزمانٍ، ليلاً ونهاراً، سفراً وحضراً، علانيةً وسِرّاً، جماعةً وفُرادَى، قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ: «وَهُمْ أَحْوَجُ إِلَى ذَلِكَ مِنَ الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ؛ بَلْ مِنَ النَّفَسِ؛ فَإِنَّهُمْ مَتَى فَقَدُوا ذَلِكَ فَالنَّارُ جَزَاءُ مَنْ كَذَّبَ بِالرَّسُولِ ﷺ وَتَوَلَّى عَنْ طَاعَتِهِ».

بالنَّبيِّ ﷺ زكَّانا اللَّه، وعلَّمَنا ما لَمْ نَكُنْ نَعْلَم؛ قال جَلَّ وَعَلَا: ﴿هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ﴾، قال الشَّافعيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «فَلَمْ تُمْسِ بِنَا نِعْمَةٌ ظَهَرَتْ وَلَا بَطَنَتْ نِلْنَا بِهَا حَظّاً فِي دِينٍ وَدُنْيَا، أَوْ دُفِعَ بِهَا عَنَّا مَكْرُوهٌ فِيهِمَا وَفِي وَاحِدٍ مِنْهُمَا، إِلَّا وَمُحَمَّدٌ ﷺ سَبَبُهَا، القَائِدُ إِلَى خَيْرِهَا، وَالهَادِي إِلَى رُشْدِهَا».

ولا يَتَحقَّقُ إيمانُ العبدِ بالنَّبيِّ ﷺ إلَّا بِطاعَتِه؛ قال تعالى: ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ﴾، وقد أمرَ اللَّهُ بِطاعَتِه في أكثرَ من ثلاثينَ مَوْضِعاً من القرآن، وقرَنَ طاعتَه بطاعتِه، وقَرَنَ بين مُخالَفتِه ومُخالَفَتِه، مَنْ أطاعَهُ فازَ: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾.

أعظمُ خِصال التَّقوى وآكَدُها وأصلُها: إفرادُ اللَّه بالعِبَادة، وإفرادُ الرَّسُولِ ﷺ بالمُتابعة؛ قال تعالى: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُواْ﴾، وفي ذلك حياةُ المرءِ وسعادتُه؛ قال تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ

ءَامَنُواْ ٱسۡتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمۡ لِمَا يُحۡيِيكُمۡۖ﴾، والفِتْنةُ في مُخالَفتِه؛ قال ﷻ: ﴿فَلۡيَحۡذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنۡ أَمۡرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمۡ فِتۡنَةٌ أَوۡ يُصِيبَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾.

ومَنْ حادَّ الرَّسُولَ أذلَّه اللَّه؛ قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحَآدُّونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ أُوْلَٰٓئِكَ فِي ٱلۡأَذَلِّينَ﴾، ومَنْ رَغِبَ عن سُنَّته تُوعِّدَ بِبَرَاءةِ النَّبيِّ ﷺ منه؛ قال ﷺ: «مَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِي؛ فَلَيْسَ مِنِّي» (متفق عليه).

ومِنْ حقِّه ﷺ: أن لا يُعبَدَ اللَّهُ إلَّا بما شَرَع، لا بالأَهْوَاءِ والبِدَع، ولا رأيَ لأحدٍ مع سُنَّةٍ سَنَّهَا رسولُ اللَّه ﷺ، قال ﷺ: «مَنْ عَمِلَ عَمَلاً لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا؛ فَهُوَ رَدٌّ» (رواه مسلم).

حبُّه من أعظمِ واجِباتِ الدِّين، ولا يكفِي فيها أصلُ المَحبَّة؛ بل واجبٌ أن تكونَ محبَّةً زائِدةً على محبَّة جميعِ الخلق حتى على النَّفسِ؛ قال ﷺ: «لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ وَالِدِهِ وَوَلَدِهِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ» (متفق عليه)، ولا يَنالُ العبدُ حلاوةَ الإيمان إلَّا بذلك؛ قال ﷺ: «ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ بِهِنَّ حَلَاوَةَ الإِيمَانِ: مَنْ كَانَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا، وَأَنْ يُحِبَّ المَرْءَ لَا يُحِبُّهُ إِلَّا لِلَّهِ، وَأَنْ يَكْرَهَ أَنْ يَعُودَ فِي الكُفْرِ بَعْدَ أَنْ أَنْقَذَهُ اللَّهُ مِنْهُ، كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُقْذَفَ فِي النَّارِ» (متفق عليه).

والمحبَّةُ الصَّادقةُ تظهرُ في المُتابَعَة؛ قال ﷻ: ﴿قُلۡ إِن كُنتُمۡ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحۡبِبۡكُمُ ٱللَّهُ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۚ﴾، والصَّادقُ في محبَّته يُحشَرُ

معه في الآخرة، جَاءَ رَجُلٌ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: «يَا رَسُولَ اللَّهِ! كَيْفَ تَقُولُ فِي رَجُلٍ أَحَبَّ قَوْماً وَلَمْ يَلْحَقْ بِهِمْ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: **الْمَرْءُ مَعَ مَنْ أَحَبَّ**» (متفق عليه).

ومِن محبَّته: النَّصيحةُ له بالإيمان به وبما جاءَ عنه، والتَّمسُّك بطاعتِه، واختِيارُ سُنَّته، ونشرُ علومِه، وتعظيمُ أمرِه، ومحبَّةُ أوليائِه، ومُعاداةُ أعدائِه؛ قال ﷺ: «**الدِّينُ النَّصِيحَةُ**، قُلْنَا: لِمَنْ؟ قَالَ: **لِلَّهِ، وَلِكِتَابِهِ، وَلِرَسُولِهِ، وَلِأَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ، وَعَامَّتِهِمْ**» (رواه مسلم).

تعظيمُه وتوقيرُه من أُسُس الدِّين، ومن حِكَم بعثتِه؛ قال تعالى: ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ۞ لِّتُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾، قال الحليميُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «حُقُوقُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَجَلُّ، وَأَعْظَمُ، وَأَكْرَمُ، وَأَلْزَمُ لَنَا، وَأَوْجَبُ عَلَيْنَا مِنْ حُقُوقِ السَّادَاتِ عَلَى مَمَالِيكِهِمْ، وَالآبَاءِ عَلَى أَوْلَادِهِمْ؛ لِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَنْقَذَنَا بِهِ مِنَ النَّارِ فِي الآخِرَةِ، وَعَصَمَ بِهِ لَنَا أَرْوَاحَنَا، وَأَبْدَانَنَا، وَأَعْرَاضَنَا، وَأَمْوَالَنَا، وَأَهْلِينَا، وَأَوْلَادَنَا فِي العَاجِلَةِ، فَهَدَانَا بِهِ لِمَا إِذَا أَطَعْنَاهُ فِيهِ أَدَّانَا إِلَى جَنَّاتِ النَّعِيمِ».

أعظمُ مَنْ عرَفَ قَدْرَه: أصحابُه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُم؛ قال عُروةُ بن مسعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «وَاللَّهِ! لَقَدْ وَفَدْتُ عَلَى الْمُلُوكِ، وَوَفَدْتُ عَلَى كِسْرَى وَقَيْصَرَ وَالنَّجَاشِيِّ، وَاللَّهِ مَا رَأَيْتُ مَلِكاً قَطُّ يُعَظِّمُهُ أَصْحَابُهُ مَا يُعَظِّمُ أَصْحَابُ مُحَمَّدٍ ﷺ مُحَمَّداً؛ إِذَا تَكَلَّمَ خَفَضُوا أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَهُ، وَمَا يُحِدُّونَ إِلَيْهِ النَّظَرَ تَعْظِيماً لَهُ» (رواه البخاري).

وأَشدُّ النَّاسِ حُبّاً له صَحَابَتُه؛ قال عمرو بن العاص رضي الله عنه: «مَا كَانَ أَحَدٌ أَحَبَّ إِلَيَّ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَلَا أَجَلَّ فِي عَيْنَيَّ مِنْهُ، وَمَا كُنْتُ أُطِيقُ أَنْ أَمْلَأَ عَيْنَيَّ مِنْهُ إِجْلَالاً لَهُ، وَلَوْ سُئِلْتُ أَنْ أَصِفَهُ مَا أَطَقْتُ؛ لِأَنِّي لَمْ أَكُنْ أَمْلَأُ عَيْنَيَّ مِنْهُ» (رواه مسلم).

مَنْ عَرَفَ سِيرَتَه وسُنَّتَه، أو سَمِعَ بها وهو عَادلٌ مع نفسِه لَمْ يَمْلِك إلَّا أن يُجِلَّه، سَمِع به ملوكُ النَّصارَى فَعَظَّمُوه، قال هِرَقْلُ: «لَوْ كُنْتُ عِنْدَهُ لَغَسَلْتُ قَدَمَيْهِ» (متفق عليه)، قال ابنُ حجرٍ رحمه الله: «وَفِي اقْتِصَارِهِ عَلَى ذِكْرِ غَسْلِ القَدَمَيْنِ إِشَارَةٌ مِنْهُ إِلَى أَنَّهُ لَا يَطْلُبُ مِنْهُ إِذَا وَصَلَ إِلَيْهِ سَالِماً، لَا وِلَايَةً، وَلَا مَنْصِباً، وَإِنَّما يَطْلُبُ مَا تَحْصُلُ بِهِ البَرَكَةُ».

رأسُ الأدبِ مع رسولِ اللَّه ﷺ: كَمالُ التَّسليمِ له، والانقِيادُ لأمرِه، وتلقِّي خبَره بالقَبُولِ والتَّصديق، ومن الأدبِ معه: أن لا يُسْتَشْكَلَ قولُه؛ بل تُسْتَشْكَلُ الآراءُ لقولِه، ولا يُعارَضُ قولُه بِقِيَاسٍ، ولا يُوقَفُ قَبولُ ما جاء به على مُوافَقَة أَحدٍ، قال ابن القيِّم رحمه الله: «العَقْلُ مَعَ الوَحْيِ، كَالعَامِّيِّ المُقَلِّدِ مَعَ المُفْتِي العَالِمِ؛ بَلْ وَدُونَ ذَلِكَ بِمَرَاتِبَ كَثِيرَةٍ لَا تُحْصَى».

ومِنْ أَعظمِ حقوقِه: إنزالُه المنزلةَ التي أنزله ربُّه عز وجل من العبوديَّة والرِّسالة؛ فلا يُرفَعُ إلى منزلةِ الرُّبوبيَّة فيُدعَى من دونِ اللَّه، ولا يُحطُّ من قدرِه فيُترَك اتِّباعُه.

وبعدُ، أيُّها المسلمون:

فنبيُّنا مُحمَّدٌ ﷺ رَسُولُ اللَّهِ حقّاً، أحبَّه اللَّهُ وأمرَنا بحبِّه، وبعثَه وأمرَنا بتصديقِه، وأيَّدَه وأمرَنا بالتَّمسُّكِ بِشَرِيعَتِه، وأَعزَّه وأَمرَنا بالذَّبِّ عنه، ولَنْ يَدْخُلَ أَحَدٌ الجَنَّةَ إلَّا بالإيمانِ به، واقتِفاءِ أثرِه.

أعوذ باللَّه من الشَّيطان الرَّجيم

﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾.

بارك اللَّه لي ولكم في القرآن العظيم ...

الخطبة الثَّانية

الحمد للَّهِ على إحسانه، والشُّكرُ له على توفيقِهِ وامتنانِه، وأشهد أن لا إله إلَّا اللَّهُ وحدَه لا شريك له تعظيماً لشأنه، وأشهد أنَّ نبيَّنا مُحمَّداً عبدُه ورسولُه، صلَّى اللَّهُ عليه وعلى آله وأصحابه وسلَّم تسليماً مزيداً.

أيُّها المسلمون:

الرِّسالةُ ضروريَّةٌ في إصلاحِ العبدِ في مَعَاشِهِ ومَعَادِه؛ فكَمَا أنَّه لا صَلاحَ له في آخرتِه إلَّا باتِّباعِ الرِّسالة، فكذلك لا صلاحَ له في مَعَاشِهِ ودُنْيَاهُ إلَّا باتِّباعِ الرِّسالة، فالعِزُّ في طاعة اللَّه ورسولِه ﷺ، وكلَّما كان المرءُ مُقْتدِياً بالنَّبيِّ ﷺ علَت درجتُه.

ومَنْ أبغضَ النَّبيَّ ﷺ أو هَدْيَه؛ خَذَلَهُ اللَّه، وأَذلَّه، وأَهانَه؛ قال سبحانه: ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ﴾، وكلُّ أُمَّةٍ تُعظِّمُ نبيَّها وصحابتَه، وأعظمُ شرفٍ لهذه الأُمَّةِ تعظيمُ نبيِّها وحبُّ صحابتِه؛ فبِه رِفعتُها، وسعادتُها، وتقدُّمُها على الأُمم.

ثمَّ اعلموا أنَّ اللَّه أمركم بالصَّلاة والسَّلام على نبيِّه ...

الاسْتِجَابَةُ لِلَّهِ وَلِرَسُولِهِ ﷺ(١)

إنَّ الحمدَ للَّه، نَحمدُه ونَستعينُه ونَستغفرُه، ونَعوذُ باللَّهِ من شرورِ أنفسِنا ومن سيِّئاتِ أعمالِنا، مَنْ يَهده اللَّهُ فلا مُضلَّ له، ومَنْ يُضْلِلْ فلا هَاديَ له، وأشهد أن لا إله إلَّا اللَّهُ وحدَه لا شريك له، وأشهد أنَّ نبيَّنا مُحمَّداً عبدُه ورسولُه، صلَّى اللَّهُ عليه وعلى آله وأصحابه وسلَّم تسليماً كثيراً.

أمَّا بعدُ:

فاتَّقوا اللَّه - عبادَ اللَّه - حقَّ التَّقوى؛ فخيرُ الزَّاد ما صحِبَه التَّقوى، وخيرُ العمل ما قَارَنَه الإخلاصُ للمولَى.

أيُّها المسلمون:

أوجدَ اللَّهُ الثَّقلَيْن لعبادتِه، وأمرَهم بامتِثالِ أوامره، وكتبَ السعادةَ لأهل طاعته، وعبادتُه سبحانه هي الحِصنُ الذي مَن دخله كان من الآمِنين، ومن أدَّاها كان من النَّاجِين، وهي خيرٌ محضٌ لا ضررَ فيها؛ قال جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَمَاذَا عَلَيْهِمْ لَوْ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَأَنفَقُوا۟ مِمَّا رَزَقَهُمُ ٱللَّهُ﴾.

وكلُّ خيرٍ في الأرض فإنَّه بسبب طاعةِ اللَّه ورسولِه، والشَّرُّ والألَمُ والغَمُّ الذي يُصيبُ العبدَ في نفسِه فإنَّما هو بسببِ مُخالفةِ الرَّسولِ عليه الصلاة والسلام؛

(١) أُلقِيَتْ يوم الجمعة، الثَّالث والعشرين من شهر ربيع الأول، سنة خمس وثلاثين وأربع مئة وألف من الهجرة، في المسجد النَّبويِّ.

قال ابن القيِّم رَحِمَهُ اللَّهُ: «وَمَنْ تَدَبَّرَ العَالَمَ وَالشُّرُورَ الوَاقِعَةَ فِيهِ: عَلِمَ أَنَّ كُلَّ شَرٍّ فِي العَالَمِ سَبَبُهُ مُخَالَفَةُ الرَّسُولِ ﷺ وَالخُرُوجُ عَنْ طَاعَتِهِ».

ومِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ بعبادِه: أَنْ أمرَهم بالاستِجَابةِ له؛ لِيَنَالَهُم الخير؛ فقال: ﴿ٱسۡتَجِيبُواْ لِرَبِّكُم مِّن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَ يَوۡمٞ لَّا مَرَدَّ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِۚ﴾؛ فاستجابَ المؤمنون لربِّهم وأفلحوا: ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوۡلَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ إِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحۡكُمَ بَيۡنَهُمۡ أَن يَقُولُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ﴾، وبذلك أَحْيَا اللَّهُ قلوبَهم وعلا قدرُهم؛ قال سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسۡتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمۡ لِمَا يُحۡيِيكُمۡۖ﴾.

ومَنْ بَادرَ إلى طاعة ربِّه زادَه هُدًى إلى هُداه؛ قال سبحانه: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱهۡتَدَوۡاْ زَادَهُمۡ هُدٗى وَءَاتَىٰهُمۡ تَقۡوَىٰهُمۡ﴾، قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ: «وَكُلَّمَا كَانَ الرَّجُلُ أَتْبَعَ لِنَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ ﷺ؛ كَانَ أَعْظَمَ تَوْحِيداً لِلَّهِ وَإِخْلَاصاً لَهُ فِي الدِّينِ، وَإِذَا بَعُدَ عَنْ مُتَابَعَتِهِ نَقَصَ مِنْ دِينِهِ بِحَسَبِ ذَلِكَ».

ومَنِ استَجابَ لربِّه أُجيبَ دُعاؤُه؛ قال تعالى: ﴿وَيَسۡتَجِيبُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ أي: يُجيبُ دُعاءَهم، ﴿وَيَزِيدُهُم مِّن فَضۡلِهِۦۚ﴾؛ بل وأَحبَّهُ اللَّه ورَحِمَه وأَدْخَلَه الجنَّة؛ قال جَلَّ: ﴿لِلَّذِينَ ٱسۡتَجَابُواْ لِرَبِّهِمُ ٱلۡحُسۡنَىٰۚ﴾ أي: الجَنَّة.

والرُّسُلُ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ بادَرُوا إلى الإِذْعَان والتَّسْلِيم؛ قال اللَّه لخليله إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿أَسۡلِمۡۖ قَالَ أَسۡلَمۡتُ لِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾، وأمرَه بذَبْحِ ابنِه الأَوْحَدِ بيدِه فَتلَّه للجَبِينِ لِذَبْحِه، وابنُه إسماعيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ قال له: ﴿يَٰٓأَبَتِ

﴿ٱفۡعَلۡ مَا تُؤۡمَرُۖ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾، وموسى عليه السلام سارع لإرضاءِ ربِّه وقال: ﴿وَعَجِلۡتُ إِلَيۡكَ رَبِّ لِتَرۡضَىٰ﴾.

وأخذَ اللَّهُ ميثاقَ النَّبيِّين إنْ بُعِثَ فيهم نبيُّنا مُحَمَّدٌ ﷺ أن يُؤمِنوا به وينصُرُوه، فقالوا: ﴿أَقۡرَرۡنَاۚ﴾.

وقال اللَّهُ لنبيِّنا مُحمَّدٍ ﷺ: ﴿قُمۡ فَأَنذِرۡ﴾، فخرجَ إلى النَّاسِ دَاعِياً إلى التَّوحيد، وقال له: ﴿قُمِ ٱلَّيۡلَ إِلَّا قَلِيلٗا﴾، فقام حتى تفطَّرَت قدَماه.

وحوارِيُّو عيسى عليه السلام استَجابُوا له، قال لهم عيسى: ﴿مَنۡ أَنصَارِيٓ إِلَى ٱللَّهِۖ قَالَ ٱلۡحَوَارِيُّونَ نَحۡنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ﴾.

وحَثَّ الجنُّ بعضُهم بعضاً إلى إجابةِ دُعاء اللَّه: ﴿يَٰقَوۡمَنَآ أَجِيبُواْ دَاعِيَ ٱللَّهِ وَءَامِنُواْ بِهِۦ يَغۡفِرۡ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمۡ وَيُجِرۡكُم مِّنۡ عَذَابٍ أَلِيمٖ﴾.

ونالَ الصَّحابةُ رضي الله عنهم الفضلَ؛ لصُحبتهم وإخلاصِهم وسَبْقِهم في الاستِجابة للَّه ولرسولِه، فزادَت رِفعتُهم عند اللَّه، أُمِرُوا باسْتِقبَالِ الكعبة فَحَوَّلُوا وِجهتَهم من بيت المَقْدِس إليها حِينَما سَمِعُوا بِتَغْيِيرِهَا وهم في الصَّلاة، ولم يُؤَخِّرُوا الامتِثالَ إلى الصَّلاة التي تَلِيهَا.

ونَدَبَ النَّبيُّ ﷺ إلى الصَّدقة، فبذَلُوا نفيسَ أموالهم؛ فأنفقَ عمرُ بن الخطَّاب رضي الله عنه نصفَ مالِه، وأنفقَ أبو بكر الصِّدِّيقُ رضي الله عنه مالَه كلَّه، وقال ﷺ: «**مَنْ جَهَّزَ جَيْشَ العُسْرَةِ؛ فَلَهُ الجَنَّةُ**، فَجَهَّزَهُ عُثْمَانُ رضي الله عنه» (رواه البخاري).

ونَزَلَ قولُ اللَّه: ﴿لَن تَنَالُواْ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَۚ﴾، فقام أبو طلحةَ رضي الله عنه إلى النَّبيِّ ﷺ، فقال: «يَا رَسُولَ اللَّهِ! إِنَّ أَحَبَّ أَمْوَالِي إِلَيَّ بَيْرُحَاءَ، وَإِنَّهَا صَدَقَةٌ لِلَّهِ» (رواه البخاري).

وبإشارةٍ من النَّبيِّ ﷺ لصِغار الصَّحابةِ إلى فَضْلِ قِيَامِ اللَّيلِ كَانُوا عُبَّاداً لِلَّه فيه؛ قال ﷺ لِعَبْدِ اللَّهِ بن عُمَر رضي الله عنهما وهو صَغيرٌ: «**نِعْمَ الرَّجُلُ عَبْدُ اللَّهِ، لَوْ كَانَ يُصَلِّي مِنَ اللَّيْلِ؛** فَكَانَ بَعْدُ لَا يَنَامُ مِنَ اللَّيْلِ إِلَّا قَلِيلاً» (متفق عليه).

وَفَدَوُا النَّبيَّ ﷺ بأرواحِهم طاعةً للَّه؛ أتى المِقدادُ بنُ الأسودِ رضي الله عنه إلى النَّبيِّ ﷺ وهو يَدْعُو على المُشركين، فقال: «لَا نَقُولُ كَمَا قَالَ قَوْمُ مُوسَى: ﴿فَٱذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَٰتِلَآ إِنَّا هَٰهُنَا قَٰعِدُونَ﴾، وَلَكِنَّا نُقَاتِلُ عَنْ يَمِينِكَ وَعَنْ شِمَالِكَ وَبَيْنَ يَدَيْكَ وَخَلْفَكَ، قَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ رضي الله عنه: فَرَأَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ أَشْرَقَ وَجْهُهُ وَسَرَّهُ - يَعْنِي: قَوْلَهُ -» (متفق عليه).

وكفَّ الصَّحابةُ عن أقوالٍ وأفعالٍ حين سَمِعُوا النَّبيَّ ﷺ يَنْهَى عنها ولم يُراجِعُوهُ فيها اسْتِجَابةً له؛ في الجاهليَّة كانوا يَحْلِفُونَ بآبائِهم واعْتَادَتْه أَلْسِنَتُهم، فقال النَّبيُّ ﷺ: «**إِنَّ اللَّهَ يَنْهَاكُمْ أَنْ تَحْلِفُوا بِآبَائِكُمْ،** قَالَ عُمَرُ رضي الله عنه: فَوَاللَّهِ مَا حَلَفْتُ بِهَا مُنْذُ سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ نَهَى عَنْهَا، ذَاكِراً وَلَا آثِراً - أَيْ: نَاقِلاً هَذِهِ اللَّفْظَةَ عَنْ غَيْرِي -» (متفق عليه).

وفي يوم مَجَاعةٍ طَبَخُوا طعاماً وتركُوهُ لِنَهْيِ النَّبيِّ ﷺ عنه، في يوم خيبَر كانت الحُمرُ الأَهليَّةُ مُباحةً فَطَبَخُوهَا، فنادَى مُنادِي رسولِ اللَّهِ ﷺ: «**إِنَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يَنْهَيَانِكُمْ عَنْ لُحُومِ الحُمُرِ؛ فَإِنَّهَا رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ**

الشَّيْطَانِ، قَالَ أَنَسٌ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: فَأُكْفِئَتِ القُدُورُ بِمَا فِيهَا وَإِنَّهَا لَتَفُورُ بِاللَّحْمِ» (متفق عليه).

والخَمْرُ كان مُباحاً إلى أوائِلِ الإسلام، وبِسَمَاعِهِم نَهْيَه مِنْ رجُلٍ يمشِي في الطُّرُقات أراقُوها، قال أبو النُّعمان رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «كُنْتُ سَاقِيَ القَوْمِ فِي مَنْزِلِ أَبِي طَلْحَةَ، فَنَزَلَ تَحْرِيمُ الخَمْرِ، فَأَمَرَ مُنَادِياً فَنَادَى، فَقَالَ أَبُو طَلْحَةَ: اخْرُجْ فَانْظُرْ مَا هَذَا الصَّوْتُ، قَالَ: فَخَرَجْتُ فَقُلْتُ: هَذَا مُنَادٍ يُنَادِي: أَلَا إِنَّ الخَمْرَ قَدْ حُرِّمَتْ، فَقَالَ لِي: اذْهَبْ فَأَهْرِقْهَا، قَالَ: فَجَرَتْ فِي سِكَكِ المَدِينَةِ» (متفق عليه)، وفي روايةٍ: «فَمَا رَاجَعُوهَا، وَلَا سَأَلُوا عَنْهَا بَعْدَ خَبَرِ الرَّجُلِ» (رواه مسلم).

ويَتَأَسَّوْن رَضِيَ اللهُ عَنْهُم بالنَّبيِّ ﷺ فيما يلبَسُونَه من غير أن يُكلِّمَهُم بشيءٍ؛ قال ابن عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا: «اصْطَنَعَ النَّبِيُّ ﷺ خَاتَماً مِنْ ذَهَبٍ، وَكَانَ يَلْبَسُهُ فَيَجْعَلُ فَصَّهُ فِي بَاطِنِ كَفِّهِ، فَصَنَعَ النَّاسُ خَوَاتِيمَ، ثُمَّ إِنَّهُ جَلَسَ عَلَى المِنْبَرِ فَنَزَعَهُ، فَقَالَ: **إِنِّي كُنْتُ أَلْبَسُ هَذَا الخَاتِمَ، وَأَجْعَلُ فَصَّهُ مِنْ دَاخِلٍ؛** فَرَمَى بِهِ، ثُمَّ قَالَ: **وَاللَّهِ لَا أَلْبَسُهُ أَبَداً؛** فَنَبَذَ النَّاسُ خَوَاتِيمَهُمْ» (متفق عليه).

وكتبَ عبدُ اللَّه بن عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا وصيَّتَه حين سمِع قولَ النَّبيِّ ﷺ: «**مَا حَقُّ امْرِئٍ مُسْلِمٍ لَهُ شَيْءٌ يُرِيدُ أَنْ يُوصِيَ فِيهِ يَبِيتُ لَيْلَتَيْنِ إِلَّا وَوَصِيَّتُهُ مَكْتُوبَةٌ عِنْدَهُ،** قَالَ ابْنُ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا: مَا مَرَّتْ عَلَيَّ لَيْلَةٌ مُنْذُ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ ذَلِكَ؛ إِلَّا وَعِنْدِي وَصِيَّتِي» (متفق عليه).

وبادَرُوا ﷺ إلى حِفظِ أَلْسِنَتِهِم عمَّا لا يليقُ؛ امْتِثَالاً لِوَصيَّة النَّبيِّ ﷺ؛ قال جابرُ بن سُلَيْم ﷺ: «أَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! إِنِّي مِنْ أَهْلِ البَادِيَةِ، وَفِيَّ جَفَاؤُهُمْ؛ فَأَوْصِنِي، قَالَ: **لَا تَسُبَّنَّ أَحداً**، قَالَ: فَمَا سَبَبْتُ بَعْدَ قَوْلِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَحداً، وَلَا شَاةً، وَلَا بَعِيراً» (رواه أحمد).

وانْقَادُوا لِأَوَامِرِ النَّبيِّ ﷺ في حَرَكَاتِهِم وسَكَنَاتِهِم، في يوم خيبرَ أعطى النَّبيُّ ﷺ الرَّايَةَ لِعَلِيٍّ ﷺ، وقال له: «**امْشِ، وَلَا تَلْتَفِتْ، حَتَّى يَفْتَحَ اللَّهُ عَلَيْكَ**، فَسَارَ عَلِيٌّ شَيْئاً، ثُمَّ وَقَفَ وَلَمْ يَلْتَفِتْ، فَصَرَخَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! - أَيْ: رَفَعَ صَوْتَهُ لِبُعْدِهِ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ وَلَمْ يَلْتَفِتِ؛ امْتِثَالاً لِقَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ -: عَلَى مَاذَا أُقَاتِلُ النَّاسَ؟» (رواه مسلم).

وابتَعَدُوا عمَّا نهاهم عنه - وإن كان في ارتِكاب النَّهي مصلحةٌ ظاهرةٌ لنُصرة المسلمين -، قال النَّبيُّ ﷺ لحُذيفة يوم الأحزابِ: «**قُمْ يَا حُذَيْفَةُ! فَأْتِنِي بِخَبَرِ القَوْمِ، وَلَا تَذْعَرْهُمْ عَلَيَّ** - أي: لا تفزعْهُم فيَعْرِفُوكَ ويُقبِلُوا عَلَيْنَا -، فَلَمَّا أَتَاهُمْ رَأَى أَبَا سُفْيَانَ - وَكَانَ حِينَئِذٍ قَائِدَ المُشْرِكِينَ - قَرِيباً مِنْهُ، يَصْلِي ظَهْرَهُ بِالنَّارِ - أَيْ: يُدْفِئُهُ مِنَ البَرْدِ -، قَالَ: فَوَضَعْتُ سَهْماً فِي كَبِدِ القَوْسِ فَأَرَدْتُ أَنْ أَرْمِيَهُ، فَذَكَرْتُ قَوْلَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ: **وَلَا تَذْعَرْهُمْ عَلَيَّ**، وَلَوْ رَمَيْتُهُ لَأَصَبْتُهُ» (رواه مسلم).

واتِّباعُهم للنَّبيِّ ﷺ في الأوامر والنَّواهي عن إيمانٍ ويقينٍ راسِخ، قال رافعُ بن خُديج ﷺ: «نَهَانَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَنْ أَمْرٍ كَانَ لَنَا نَافِعاً، وَطَوَاعِيَةُ اللَّهِ وَرَسُولِهِ أَنْفَعُ لَنَا» (رواه مسلم).

ونساءٌ مُؤمناتٌ بادَرْنَ للاستِجابة طاعةً للَّه؛ هاجرُ عليها السلام توكَّلَتْ على ربِّها، وأطاعَت زوجَها، وسكَنَت وادياً لا زرعَ فيه ولا ماء، وليس بمكَّة يومئذٍ أحَد، وفي ظاهر الحال هلاكٌ لها ولولدِها، فقالت لزوجِها إبراهيمَ عليه السلام: «آللَّهُ الَّذِي أَمَرَكَ بِهَذَا؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَتْ: إِذَنْ لَا يُضَيِّعُنَا» (رواه البخاري).

ولمَّا نَزَلَ فَرْضُ الحِجَابِ على الصَّحَابيَّات لَمْ يَكُنْ إذْ ذَاكَ عندهم قُماشٌ للحجاب، فبادَرنَ إلى شقِّ ثِيابٍ لَهُنَّ امْتِثَالاً لِأَمْرِ اللَّه، وحَجَبْنَ به وُجُوهَهنَّ؛ قالت عائشةُ رضي الله عنها: «يَرْحَمُ اللَّهُ نِسَاءَ المُهَاجِرَاتِ الأُوَلَ، لَمَّا أَنْزَلَ اللَّهُ: ﴿وَلۡيَضۡرِبۡنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّۖ﴾؛ شَقَقْنَ مُرُوطَهُنَّ - وَهُوَ الزَّائِدُ مِنْ أُزُرِهِنَّ -، فَاخْتَمَرْنَ بِهَا» (رواه البخاري).

وبعدُ، أيُّها المسلمون:

فطاعةُ اللَّهِ ورسولِه تحقيقٌ للشَّهَادَتَيْن وكمالٌ في العُبوديَّة؛ فإِنْ طَرَقَ سَمْعَك أمرٌ فسارِع لامتِثالِه وأَنْتَ فَرِحٌ مَسْرُورٌ بِعِبَادةِ ربِّك، وإِنْ كَانَ نَهْياً فَاجْتَنِبْه وَانْأَ عنه مُوقِناً بِضَرَرِه، طالِباً مرضاةَ خالقِك.

أعوذ باللَّه من الشَّيطان الرَّجيم

﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَخۡشَ ٱللَّهَ وَيَتَّقۡهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَآئِزُونَ﴾.

بارك اللَّه لي ولكم في القرآن العظيم ...

الخطبة الثَّانية

الحمد للَّهِ على إحسانه، والشُّكرُ له على توفيقِه وامتنانِه، وأشهد أن لا إله إلَّا اللَّهُ وحدَه لا شريك له تعظيماً لشأنه، وأشهد أنَّ نبيَّنا مُحمَّداً عبدُه ورسولُه، صلَّى اللَّهُ عليه وعلى آله وأصحابه وسلَّم تسليماً مزيداً.

أيُّها المسلمون:

أكملُ النَّاس حياةً أَكْمَلُهم استِجابةً، ومَنْ فاتَه جُزءٌ منها فاتَه جزءٌ من الحياة، ومَنْ لَمْ يَسْتَجِبْ للَّه اسْتَجَابَ لغيره من المخلوقين وأذلَّه.

واللَّهُ حذَّر من عِصيانِه فقال: ﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾، قال أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «لَسْتُ تَارِكاً شَيْئاً كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَعْمَلُ بِهِ إِلَّا عَمِلْتُ بِهِ، إِنِّي أَخْشَى إِنْ تَرَكْتُ شَيْئاً مِنْ أَمْرِهِ أَنْ أَزِيغَ» (متفق عليه).

والتَّردُّدُ في فِعل الطَّاعةِ أو الكسلُ في أدائِها يُنافِي كمالَ الامتِثال، ومن قدَّمَ قولاً على قولِ النَّبيِّ ﷺ لَمْ يَكُنْ من المُسْتَجِيبِينَ له، وفي الآخرة كلُّ أُمَّةِ مُحمَّدٍ ﷺ «**يَدْخُلُونَ الجَنَّةَ إِلَّا مَنْ أَبَى**، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ! وَمَنْ يَأْبَى؟ قَالَ: **مَنْ أَطَاعَنِي دَخَلَ الجَنَّةَ، وَمَنْ عَصَانِي فَقَدْ أَبَى**» (رواه البخاري).

والمُعرِضُ يَتَمَنَّى الرُّجوعَ إلى الدُّنيا لِطَاعةِ اللَّهِ ورَسُولِه، ويَوَدُّ الافْتِدَاء بمِلْءِ الأرضِ ومِثْلِه؛ للنَّجاة مِنَ العُقُوبَة: ﴿وَٱلَّذِينَ لَمۡ يَسۡتَجِيبُواْ لَهُۥ لَوۡ أَنَّ لَهُم مَّا فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا وَمِثۡلَهُۥ مَعَهُۥ لَٱفۡتَدَوۡاْ بِهِۦٓۚ﴾.

ثمَّ اعلموا أنَّ اللَّه أمركم بالصَّلاة والسَّلام على نبيِّه ...

الإِيمَانُ بِاليَوْمِ الآخِرِ

أَشْرَاطُ السَّاعَةِ(١)

الحمد للَّه مُعزِّ مَنْ أَطَاعَه واتَّقاه، ومُذِلِّ مَنْ أَضَاعَ أَمْرَه وعَصَاه، أَحْمَدُه على جزيلِ كَرَمِه وما أَوْلَاه، وأَشْكُرُه على آلائِهِ الجَسِيمَةِ وما أَسْدَاه.

وأشهد أن لا إله إلَّا اللَّه وحده لا شريك له، لا ربَّ لنا سواه ولا نعبد إلَّا إياه.

وأشهد أنَّ نبيَّنا مُحَمَّداً عبدُه ورسولُه خيرُ عبدٍ اجتباه، وأفضلُ رسولٍ اصطفاه، اللَّهمَّ صلِّ وسلِّم عليه وعلى آله وأصحابه ومَنْ كان هواه تبعاً لِهُداه.

أمَّا بعدُ:

فاتَّقوا اللَّه - عبادَ اللَّه - حقَّ التَّقوى، وتَمسَّكُوا من الإسلام بالعُرْوَة الوُثْقَى، واعْلَمُوا أنَّ أقدامَكم على النَّارِ لا تَقْوى.

أيُّها المسلمون:

إنَّ الإيمانَ باليومِ الآخِرِ وما فيه من ثوابٍ وعقابٍ أحدُ أركانِ الإسلام ومَبَانِيهِ العِظَام، وقد جعلَ اللَّهُ بين يَدَيِ السَّاعةِ أَشْرَاطاً تَدُلُّ

---

(١) أُلقِيَتْ يوم الجمعة، الثَّالث من شهر ذي القَعدة، سنة تسع عشْرة وأربع مئة وألف من الهجرة، في المسجد النَّبويِّ.

على قُرْبِها؛ قال تعالى: ﴿فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا ٱلسَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُم بَغْتَةً فَقَدْ جَآءَ أَشْرَاطُهَا فَأَنَّىٰ لَهُمْ إِذَا جَآءَتْهُمْ ذِكْرَىٰهُمْ﴾، ولقد كان ﷺ يُعظِّمُ أمْرَ السَّاعة؛ فكان إذا ذَكَرَهَا احْمَرَّت وَجْنَتَاه، وعَلَا صَوْتُه واشْتَدَّ غضَبُه، وقد أَبْدَى فيها وأَعَاد.

وقد كان الصَّحابةُ ﵃ يَتَذَاكَرُونَ أَمْرَ السَّاعة؛ قال حذيفة ﵁: «اطَّلَعَ النَّبِيُّ ﷺ عَلَيْنَا وَنَحْنُ نَتَذَاكَرُ، فَقَالَ: **مَا تَذَاكَرُونَ؟** قَالُوا: نَذْكُرُ السَّاعَةَ» (رواه مسلم)، ولمَّا أكثر النَّبيُّ ﷺ مِنْ ذِكْرِهَا وتعدَّدتِ الآياتُ بِقُرْبِهَا أَشْفَقَ الصَّحابةُ مِنْ قِيَامِهَا عَلَيْهِم.

هذا، وقد ظَهَرَ كثيرٌ مِنْ أَشْرَاطِهَا وتَحَقَّق مَا أَخْبَرَ به المصطفى ﷺ، وكلُّ يومٍ يزداد فيه المؤمنون إيماناً به وتصديقاً له؛ إذْ يَظْهَرُ من دلائلِ نُبوَّتِه وآياتِ صدقِه ما يوجب على المسلمين التَّمسُّكَ بهذا الدِّينِ الحنيفِ لِيَتَأَهَّبُوا للنُّقْلَة، فإنَّ السَّاعةَ قد قَرُبَتْ وبَدَتْ أَمَارَاتُها، قال تعالى: ﴿ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ﴾.

وإذا ظَهَرَتِ الأَشْرَاطُ الكُبْرَى؛ تَتَابَعَتْ كتَتَابُعِ الخَرَز في النِّظام الذي انْفَرَطَ عِقْدُه؛ قال ﷻ: ﴿وَلِلَّهِ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَآ أَمْرُ ٱلسَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ ٱلْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾، يقول النَّبيُّ ﷺ: «**أَيُّهُمَا مَا كَانَتْ قَبْلَ صَاحِبَتِهَا؛ فَالأُخْرَى عَلَى إِثْرِهَا قَرِيباً**» (رواه مسلم)، وفي المُسنَد: «**الآيَاتُ خَرَزَاتٌ مَنْظُومَاتٌ فِي سِلْكٍ، فَإِنْ يُقْطَعِ السِّلْكُ يَتْبَعْ بَعْضُهَا بَعْضاً**».

أيُّها المسلمون:

مِنْ أَمَارَاتِ السَّاعة: بعثةُ المصطفى ﷺ؛ فقد ثبت عنه ﷺ أنَّه قال: «بُعِثْتُ أَنَا وَالسَّاعَةُ جَمِيعاً، إِنْ كَادَتْ لَتَسْبِقُنِي» (رواه أحمد).

ومِنْهَا: موته ﷺ، وقد أَظْلَمَتِ الدُّنيا في عُيُونِ الصَّحابةِ رضي الله عنهم بوفاته.

ومِنْ أَشْرَاطِهَا: ظُهورُ فِتَنٍ عظيمةٍ يَلْتَبِسُ فيها الحقُّ بالباطل، ويتزلزلُ الإيمان، و«يَمُرَّ الرَّجُلُ عَلَى القَبْرِ فَيَتَمَرَّغَ عَلَيْهِ - لِتَغَيُّرِ الأَحْوَالِ وَتَبَدُّلِ الشَّرِيعَةِ - وَيَقُولُ: يَا لَيْتَنِي كُنْتُ مَكَانَ صَاحِبِ هَذَا القَبْرِ، وَلَيْسَ بِهِ الدِّينُ إِلَّا البَلَاءُ» (متفق عليه)، يقول ابنُ مسعُودٍ رضي الله عنه: «سَيَأْتِي عَلَيْكُمْ زَمَانٌ لَوْ وَجَدَ أَحَدُكُمُ المَوْتَ يُبَاعُ؛ لَاشْتَرَاهُ»، ويقول النَّبيُّ ﷺ: «إِنَّ بَيْنَ يَدَيِ السَّاعَةِ فِتَناً كَقِطَعِ اللَّيْلِ المُظْلِمِ؛ يُصْبِحُ الرَّجُلُ فِيهَا مُؤْمِناً وَيُمْسِي كَافِراً، وَيُمْسِي مُؤْمِناً وَيُصْبِحُ كَافِراً» (رواه أحمد).

وآخِرُ هذه الأُمَّة تُصابُ بالبلاء؛ يقول النَّبيُّ ﷺ: «إِنَّ أُمَّتَكُمْ هَذِهِ: جُعِلَ عَافِيَتُهَا فِي أَوَّلِهَا، وَسَيُصِيبُ آخِرَهَا بَلَاءٌ وَأُمُورٌ تُنْكِرُونَهَا، وَتَجِيءُ فِتْنَةٌ فَيُرَقِّقُ بَعْضُهَا بَعْضاً، وَتَجِيءُ الفِتْنَةُ فَيَقُولُ المُؤْمِنُ: هَذِهِ مُهْلِكَتِي، ثُمَّ تَنْكَشِفُ، وَتَجِيءُ الفِتْنَةُ فَيَقُولُ المُؤْمِنُ: هَذِهِ هَذِهِ؛ فَمَنْ أَحَبَّ أَنْ يُزَحْزَحَ عَنِ النَّارِ وَيَدْخُلَ الجَنَّةَ، فَلْتَأْتِهِ مَنِيَّتُهُ وَهُوَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَاليَوْمِ الآخِرِ» (رواه مسلم).

أيُّها المسلمون:

ومِنْ أَشْرَاطِ السَّاعة: كثرةُ الزَّلازل، ويَقَعُ خَسْفٌ بالمَشْرِقِ وخَسْفٌ بالمَغْرِبِ وخَسْفٌ بِجَزِيرَةِ العَرَب، ويُكَلِّمُ السِّباعُ الإِنْسَ، ويُكَلِّمُ الرَّجلَ عَذْبَةُ سَوْطِه وشِرَاكُ نَعْلِه، ويُخْبِره فخِذُه بما أحدث أهلُه بعدَه، وتَخْرُجُ دابَّةٌ على النَّاسِ ضُحًى تُكَلِّم النَّاسَ: أَنَّ النَّاسَ كانُوا بآياتِ ربِّهِم لا يُوقِنُون.

ويَقْرُبُ الزَّمان؛ فتَكُونُ السَّنَةُ كالشَّهر، والشَّهرُ كالجُمُعَة، والجُمُعةُ كاليوم، واليومُ كالسَّاعة، والسَّاعةُ كاحْتِرَاقِ السَّعفَة، وتَكْثُرُ النِّساءُ ويَقِلُّ الرِّجالُ حتَّى يكونَ لِخَمْسينَ امْرَأَةً قَيِّمٌ واحد، ويَخْرُجُ يَأْجُوج ومأجوج، في الصَّحيحَيْن عن زينبَ بنتِ جحشٍ رضي الله عنها أنَّ الرَّسول ﷺ دخل عليها يوماً فَزِعاً يقول: «**لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَيْلٌ لِلْعَرَبِ مِنْ شَرٍّ قَدِ اقْتَرَبَ! فُتِحَ اليَوْمَ مِنْ رَدْمِ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مِثْلُ هَذِهِ**، وَحَلَّقَ بِإِصْبَعَيْهِ الإِبْهَامِ وَالَّتِي تَلِيهَا» (متفق عليه).

ويَقِلُّ العلمُ ويَظْهَرُ الجَهْلُ حتَّى لا يَعْرِفُ النَّاسُ فَرَائِض الإسلام؛ يقول النَّبيُّ ﷺ: «**يَدْرُسُ الإِسْلَامُ كَمَا يَدْرُسُ وَشْيُ الثَّوْبِ، حَتَّى لَا يُدْرَى مَا صِيَامٌ وَلَا صَدَقَةٌ وَلَا نُسُكٌ، وَيُسَرَّى عَلَى كِتَابِ اللَّهِ فِي لَيْلَةٍ فَلَا يَبْقَى فِي الأَرْضِ مِنْهُ آيَةٌ، وَيَبْقَى طَوَائِفُ مِنَ النَّاسِ - الشَّيْخُ الكَبِيرُ، وَالعَجُوزُ الكَبِيرَةُ -، يَقُولُونَ: أَدْرَكْنَا آبَاءَنَا عَلَى هَذِهِ الكَلِمَةِ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ؛ فَنَحْنُ نَقُولُهَا**» (رواه الحاكم).

ويُسْتَهَانُ بالمَحَارِمِ ويُسْتَخَفُّ بالنَّواهي فَيُشْرَبُ الخمر، ويَفْشُو الزِّنى، ويُلقى الشُّحُّ في القلوب، ويَكْثُرُ الهَرْجُ - وهو: القَتْل -، «حَتَّى يَأْتِيَ عَلَى النَّاسِ يَوْمٌ لَا يَدْرِي القَاتِلُ فِيمَ قَتَلَ، وَلَا المَقْتُولُ فِيمَ قُتِلَ، فَقِيلَ: كَيْفَ يَكُونُ ذَلِكَ؟ قَالَ: الهَرْجُ؛ القَاتِلُ وَالمَقْتُولُ فِي النَّارِ» (رواه مسلم).

وتَشْرَئِبُّ أعناقُ البَشَرِ إلى الدُّنيا؛ فيتطاولون في البُنْيَان، ويُعْرِضون عن دين اللَّه، ويَقَعُ الشِّركُ في هذه الأُمَّة وتَلْحَقُ قبائلُ منها بالمُشْرِكِين؛ يقول النَّبيُّ ﷺ: «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَلْحَقَ قَبَائِلُ مِنْ أُمَّتِي بِالمُشْرِكِينَ، وَحَتَّى تَعْبُدَ قَبَائِلُ مِنْ أُمَّتِي الأَوْثَانَ» (رواه أحمد).

وإذا ابْتَعَدَتِ الأُمَّةُ عن دِينِهَا وأَضَاعَتْ مِلَّتَهَا وتَنَكَّرتْ لِشَرِيعَتِهَا؛ ضَلَّتْ وتَلَمَّسَتِ الهُدَى مِنْ غَيْرِ وَحْيِهَا؛ يقول النَّبيُّ ﷺ: «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَأْخُذَ أُمَّتِي بِأَخْذِ القُرُونِ قَبْلَهَا شِبْراً بِشِبْرٍ، وَذِرَاعاً بِذِرَاعٍ» (رواه البخاري).

ويَكْثُر فيها الدَّجَلُ والكَذِب، ويُبْعَثُ دجَّالون كذَّابون قريبٌ من ثلاثين، كلُّهم يَزْعُمُ أنَّه نبيٌّ.

وتُسْلَبُ صِفاتٌ مَحْمُودةٌ في البَشَرِ، فلا تَكادُ تُؤَدَّى الأَمَانَة؛ «فَيُقَالُ: إِنَّ فِي بَنِي فُلَانٍ رَجُلاً أَمِيناً، وَيُقَالُ لِلرَّجُلِ: مَا أَعْقَلَهُ وَمَا أَظْرَفَهُ وَمَا أَجْلَدَهُ، وَمَا فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ حَبَّةِ خَرْدَلٍ مِنْ إِيمَانٍ» (متفق عليه)، ومِنْ إِضَاعةِ الأَمَانَة: إِسْنَادُ الأمرِ إلى غيرِ أَهْلِه.

و«**لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَنْفِيَ المَدِينَةُ شِرَارَهَا كَمَا يَنْفِي الكِيرُ خَبَثَ الحَدِيدِ**»، وتُتْرَكُ المدينةُ عامرة «**عَلَى خَيْرِ مَا كَانَتْ، لَا يَغْشَاهَا إِلَّا العَوَافِي** - يُرِيدُ: عَوَافِيَ السِّبَاعِ، وَالطَّيْرِ -، **ثُمَّ يَخْرُجُ رَاعِيَانِ مِنْ مُزَيْنَةَ يُرِيدَانِ المَدِينَةَ، يَنْعِقَانِ بِغَنَمِهِمَا، فَيَجِدَانِهَا** - أَيْ: المَدِينَةَ - **وَحْشاً** - أَيْ: خَالِيَةً، لَيْسَ فِيهَا أَحَدٌ - **حَتَّى إِذَا بَلَغَا ثَنِيَّةَ الوَدَاعِ خَرَّا عَلَى وُجُوهِهِمَا**» (متفق عليه).

أيُّها المسلمون:

ليس بين خَلْقِ آدَمَ إلى قيام السَّاعةِ خَلْقٌ أَشَرَّ وأَكْبَرَ فِتْنَةً من الدَّجَّال، ومَا مِنْ نبيٍّ إلا حذَّر أُمَّتَه منه، وقد كان النَّبيُّ ﷺ يَتعوَّذُ منه في كلِّ صلاة، وقد أَكْثَرَ ﷺ مِن ذِكْرِهِ لِأَصْحَابه؛ قال النَّوَّاسُ بنُ سَمْعانَ رضي الله عنه: «حَتَّى ظَنَنَّاهُ فِي طَائِفَةِ النَّخْلِ، فَلَمَّا رُحْنَا إِلَيْهِ عَرَفَ ذَلِكَ فِينَا فَقَالَ: **مَا شَأْنُكُمْ؟** قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ! ذَكَرْتَ الدَّجَّالَ غَدَاةً، فَخَفَّضْتَ فِيهِ وَرَفَّعْتَ حَتَّى ظَنَنَّاهُ فِي طَائِفَةِ النَّخْلِ! - أَيْ: نَاحِيَتِهِ -، فَقَالَ: **غَيْرُ الدَّجَّالِ أَخْوَفُنِي عَلَيْكُمْ، إِنْ يَخْرُجْ وَأَنَا فِيكُمْ فَأَنَا حَجِيجُهُ دُونَكُمْ، وَإِنْ يَخْرُجْ وَلَسْتُ فِيكُمْ فَامْرُؤٌ حَجِيجُ نَفْسِهِ، وَاللَّهُ خَلِيفَتِي عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ**» (رواه مسلم).

وفي خَفْقَةٍ من الدِّينِ وإِدْبَارٍ من العلم يَخْرُجُ مَسِيحُ الضَّلالةِ مِنْ جِهَةِ المَشْرِقِ؛ فيَفِرُّ النَّاسُ منه في الجبال، ويَسِيرُ في الأرض، فلا يَتْرُكُ بَلَداً إلَّا دَخلَه، إلا مكَّةَ والمَدِينَة؛ فقد حرَّم اللَّهُ عليه دخولَهُما، كلَّما

أرادَ أَنْ يَدْخُلَهُمَا اسْتَقْبَلَه مَلَكٌ بِيَدِه السَّيفُ صَلْتاً يَصُدُّه عنه، على كلِّ نَقْبٍ من أَنْقَابِهِمَا ملائكةٌ يَحْرُسُونَهُمَا، وتَرْجُفُ المَدِينةُ ثلاثَ رَجَفَات فيَخْرُجُ منها كلُّ مُنافقٍ وكافر، ويَنْزِلُ في السَّبَخَة في الجُرْف، ويَكُونُ أكثرُ مَنْ يَخْرُجُ إليه النِّساء، حتى إنَّ الرَّجلَ يَرْجِعُ إلى حَمِيمَتِه وإلى أُمِّه وابنتِه وأُختِه وعَمَّتِه فَيُوثِقُها رِباطاً؛ مخافةَ أن تَخْرُجَ إلى الدَّجَّال.

أيُّها المسلمون:

إن للدَّجَّال فِتْنةً عظيمة، معه نَهْرَانِ يَجْرِيَان: أحدُهما رأيَ العينِ ماءٌ أبيض، والآخرُ رأيَ العين نارٌ تأجَّجُ؛ يقول النَّبيُّ ﷺ: «**فَإِمَّا أَدْرَكَنَّ أَحَدٌ فَلْيَأْتِ النَّهَرَ الَّذِي يَرَاهُ نَاراً، وَلْيُغْمِضْ، ثُمَّ لْيُطَأْطِئْ رَأْسَهُ فَيَشْرَبَ مِنْهُ؛ فَإِنَّهُ مَاءٌ بَارِدٌ**» (رواه مسلم)، هذا، وإنَّ الَّذي يَرَى النَّاسُ أنَّه ماءٌ فهو نارٌ تَحْرِق.

يَمْتَحِنُ اللَّهُ عبادَه بالدَّجَّال؛ بما يَخْلُقُه معه من الخَوَارِقِ المُشَاهَدَة في زَمانِه، ويُقْدِرُه على أشياءَ من مَقْدُورَاتِ اللَّه تعالى؛ مِنْ إِحْياءِ الرَّجلِ المَيِّتِ الذي يَقْتُلُه، ومِنْ ظُهُورِ زهرةِ الدُّنيا والخَصبِ معه وجنَّتِه ونَارِه ونَهْرَيْه، واتِّباعِ كُنُوزِ الأَرْضِ له، وأَمْرِه السَّماءَ أَنْ تُمْطِرَ فَتُمْطِر والأرضَ أَنْ تُنْبِتَ فَتُنْبِت، ومَنْ لا يَسْتَجيبُ له ويَرُدُّ عليه أَمْرَه تُصيبُهُم السَّنَةُ والجَدْبُ والقَحْطُ والقِلَّةُ وموتُ الأَنْعَامِ ونقصُ الأموالِ والأنفسِ والثَّمراتِ، يقعُ ذلك كلُّه بقُدْرةِ اللَّه تعالى ومشيئتهِ، ثم يُعجزُه اللَّه تعالى بعد ذلك فلا يَقْدِرُ على قتلِ ذلك الرَّجلِ الذي أحياه بعد قتله ولا غيرِه.

يَبْتَلِي الرَّبُّ به عبادَه في آخرِ الزَّمان؛ فيُضِلُّ به كثيراً ويَهْدِي به كثيراً، ويَكْفُرُ المُرْتَابُونَ ويَزْدادُ الَّذين آمنوا إيماناً، لُبْثُه في الأَرْض: أَرْبَعُونَ يوماً؛ يومٌ كَسَنَة، ويومٌ كَشَهْر، ويومٌ كجُمُعَة، وسائرُ أيَّامِه كأيَّامِكُم، وإِسْرَاعُه في الأرض كَغَيْثٍ اسْتَدْبَرْتُه الرِّيح.

وأمَّا نَعْتُه: فشَابٌّ جَسِيمٌ أَحْمَر، أَجْلَى الجَبْهَة، عَرِيضُ النَّحْر، فيه دَفَأٌ - أي: انْحِنَاءٌ -، جَعْدُ الرَّأس، كثيرُ الشَّعر، أَعْورُ العَيْن، كأنَّ عَيْنَه عِنَبةٌ طَافِيَة، لا يُولَدُ له، قال تميمٌ الدَّاريُّ رضي الله عنه في وصفه: «أَعْظَمُ إِنْسَانٍ رَأَيْنَاهُ قَطُّ خَلْقاً وَأَشَدُّهُ وَثَاقاً»، وقال ﷺ في وصفه: «**مَكْتُوبٌ بَيْنَ عَيْنَيْهِ كَافِرٌ، يَقْرَؤُهُ كُلُّ مُؤْمِنٍ، كَاتِبٍ وَغَيْرِ كَاتِبٍ**» (رواه مسلم).

يقول الإمام السَّفَّارِينيُّ رحمه الله: «يَنْبَغِي لِكُلِّ عَالِمٍ أَنْ يَبُثَّ أَحَادِيثَ الدَّجَّالِ بَيْنَ الأَوْلَادِ وَالنِّسَاءِ وَالرِّجَالِ، وَلَا سِيَّمَا فِي زَمَانِنَا هَذَا الَّذِي اشْرَأَبَّتْ فِيهِ الفِتَنُ وَكَثُرَتْ فِيهِ المِحَنُ».

إنَّ العِصْمَةَ منَ الدَّجَّال بالتَّمسُّك بالإسلام والتَّسلُّحِ بالإيمان ومعرفةِ أسماءِ اللَّه وصفاتِه الحُسْنَى على ضوءِ ما جاء في كتابِ اللَّه وسُنَّةِ رسوله ﷺ.

فالمسيحُ بَشَرٌ يَأْكُلُ ويَشْرَبُ واللَّهُ تعالى مُنَزَّه عن ذلك، والدَّجَّالُ أَعْوَرُ وربُّنا لَيْسَ بِأَعْوَر، واللَّهُ لا يَرَاهُ أحدٌ قبلَ أَنْ يَمُوت، والدَّجَّالُ يَرَاه النَّاسُ مُؤْمِنُهم وكافرُهم.

فأكثِروا من التَّعوُّذ من فِتْنَتِه، ومَنْ أَدْرَكَه منكُم فَلْيَقْرأْ عليه فواتحَ سورةِ الكهف، قال النَّبيُّ ﷺ: «**مَنْ حَفِظَ عَشْرَ آيَاتٍ مِنْ أَوَّلِ سُورَةِ الكَهْفِ؛ عُصِمَ مِنَ الدَّجَّالِ**» (رواه مسلم)، وفي لفظ: «**خَوَاتِيمِ سُورَةِ الكَهْفِ**» (رواه أبو داود)، وإذا سمعتَ بالدَّجَّال فَانْأَ عنه ولا تأتِهِ؛ فإنَّ الرَّجلَ ليأتيه وهو يَحْسَبُ أنَّه مؤمن فيتبعُه ممَّا يبعثُ به من الشُّبهات.

أعوذ باللَّه من الشَّيطان الرَّجيم

﴿ٱقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِى غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ﴾.

بارك اللَّه لي ولكم في القرآن العظيم ...

الخطبة الثَّانية

الحمد للَّه الذي يَذْكُرُ مَنْ ذَكَرَه، ويَزِيدُ مَنْ شَكَرَه، ويَتُوبُ على مَنْ تَابَ إليه واسْتَغْفَرَه، ويعذِّبُ مَنْ جَحَدَه وكَفَرَه، أَحْمَدُه على سَابغِ نِعَمِهُ، وأسْأَلُه المزيدَ مِنْ فَضْلِه.

وأشهد أن لا إله إلَّا اللَّه وحدَه لا شريك له، أَمَرَ المؤمنين بِتَقْوَاه.

وأشهد أنَّ نبيَّنا مُحمَّداً عبدُه ورسولُه أفضلُ الذَّاكرين وقُدْوَةُ الشَّاكِرين، صلى اللَّه وسلم عليه وعلى آله وأصحابه والتَّابعين.

أمَّا بعدُ، أيُّها المسلمون:

إذا خرج الدَّجَّال في آخر الزَّمان كَثُر أتباعُه وعَمَّت فِتْنته، ولا يَنْجُو منه إلا قِلَّةٌ مِن المؤمنين، وعند ذلك ينزلُ عيسى ابنُ مريم عليه السلام في شَرقَيْ دِمَشْق، عند المَنَارَة البَيْضَاء، ويَلتقي حولَه عبادُ اللَّه المؤمنون؛ فَيَسيرُ بهم قاصداً مَسيحَ الضَّلالة، ويكونُ الدَّجَّالُ عند نزولِ عيسى متوجِّهاً بيتَ المَقْدِس، فيَلْحَقُ به عيسى عليه السلام عندَ بابِ لُدٍّ في فِلسطين، فإذا رآه الدَّجَّال ذابَ كما يَذُوبُ المِلْحُ في الماء، فيقولُ له عيسى: إنَّ لِي فيكَ ضَرْبةً لَنْ تَفُوتَني، فيُدركُه عيسى فيَقتلُه بحربته، ويَنهزمُ أتباعُه، وبقتله تنتهي فتنته العظيمة، والأمر للَّه مِنْ قبلُ ومِنْ بعدُ.

عبادَ اللَّه:

وزمنُ عيسى بعد قتل الدَّجَّال زمنُ أمنٍ ورخاءٍ ورغدٍ من العيش، يُرْسِلُ اللَّهُ مطراً لا يَكُنُّ منه بيتُ مَدَرٍ ولا وبر، ويُقَالُ للأرض: أَنْبِتِي

ثَمرتَكِ ورُدِّي بَركَتَكِ، فيَوْمَئِذٍ تَأْكلُ الجماعة من الرُّمَّانة، ويَسْتَظِلُّونَ بِقِحْفِها ويُبَارَكُ في الرِّسْل - أي: اللَّبَن - حتى إنَّ اللَّقْحَةَ من الإبلِ لَتَكْفِي الفِئَامَ من النَّاس، واللَّقْحَةَ من البَقَر لَتكْفِي القَبِيلَة من النَّاس، واللَّقْحَةَ من الغَنَم لَتَكْفِي الفَخِذَ من النَّاس، وتَقَعُ الأَمَنَةُ على الأرض؛ فتَرْتَعُ الأُسُود معَ الإِبل، والنِّمَارُ معَ البَقَر، والذِّئَاب معَ الغَنَم، ويَلْعَبُ الصِّبْيَانُ بالحَيَّات لا تضرُّهم.

وبعد مُكْثِ عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ في الأرض سبعَ سِنِين يُرْسِل اللَّه رِيحاً بَارِدةً مِنْ قِبَلِ الشَّام، فلا يَبْقَى على وجهِ الأرض أَحَدٌ في قلبِه مِثْقَالُ ذرَّةٍ من خَيْرٍ أو إيمانٍ إلَّا قَبَضَتْه.

وتقومُ السَّاعةُ وليس على وجهِ الأرض مَنْ يقول: اللَّهُ اللَّهُ، وتَطْلُعُ الشَّمسُ مِنْ مَغْرِبِهَا، فإذا طَلَعَتْ ورَآهَا النَّاسُ آمَنُوا جَمِيعاً؛ «فَذَاكَ حِينَ ﴿لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ﴾»، ويُطْبَع على كلِّ قلبٍ بما فيه، ويُكْفَى النَّاسُ العمل.

وآخِرُ أَشْرَاطِ السَّاعةِ الكُبْرَى وأوَّلُ الآيَاتِ المُؤْذِنة بقيامِ السَّاعة: نارٌ عظيمةٌ تَخْرُجُ من اليَمَن، تَطْرُدُ النَّاسَ إلى مَحْشَرِهم، تَقِيلُ معهم حيث قَالُوا، وتَبِيتُ معهم حيث بَاتُوا، وتُصْبِحُ معهم حيث أصبحوا، وتُمْسِي معهم حيث أَمْسَوا.

وبعدُ، أيُّها المسلمون:

فوعْدُ اللَّه حقٌّ، والسَّاعةُ آتِيَةٌ لا رَيْبَ فيها، والدُّنيا قد آذَنَتْ بِصُرْم، ووَلَّتْ حَذَّاءَ، والآزِفةُ قد أَزِفَت، ومَنْ غَفَلَ عن نفسِه تَصَرَّمَتْ

أوقاتُه ثمَّ اشْتَدَّتْ عليه حَسَرَاتُه، فالآمالُ تُطْوَى والأعمارُ تَفْنى، ومَنْ أَطالَ الأملَ نَسِيَ العَمَل، وغَفلَ عن الأَجَل، وفي صَبَاحِ كلِّ يومٍ يَنْعَاكَ ضَوْؤُه، فالسَّعيدُ مَنْ أَعدَّ العُدَّةَ واسْتَعَدَّ للنُّقْلَة، قال بعضُ الحكماء: «عَجِبْتُ مِمَّنْ يَحْزَنُ عَلَى نُقْصَانِ مَالِهِ وَلَا يَحْزَنُ عَلَى نُقْصَانِ عُمُرِهِ».

فاجْتَهِدْ في العِبَادةِ وابْكِ على الخطيئة وَفِرَّ من العُقُوبة؛ فالمُوَفَّقُ مَنْ صَرَفَ أَمَلَه إلى ما يبقى وقَطَعَهُ عمَّا يَفْنَى، لمَّا حَضَرَتْ مُحَمَّدَ بن سِيرِينَ الوَفاةُ بَكَى، فقيل له: «مَا يُبْكِيكَ؟ فَقَالَ: أَبْكِي لِتَفْرِيطِي فِي الأَيَّامِ الخَالِيَةِ، وَقِلَّةِ عَمَلِي لِلْجَنَّةِ العَالِيَةِ».

ثمَّ اعلموا أنَّ اللَّه أمركم بالصَّلاة والسَّلام على البشير النَّذير والسِّراج المنير ...

المَسِيحُ الدَّجَّالُ (١)

إنَّ الحمدَ للَّه، نَحمدُه ونَستعينُه ونَستغفرُه، ونَعوذُ باللَّهِ من شرورِ أنفسِنا ومن سيِّئاتِ أعمالِنا، مَنْ يَهده اللَّهُ فلا مُضلَّ له، ومَنْ يُضْلِلْ فلا هَاديَ له، وأشهد أن لا إله إلَّا اللَّهُ وحدَه لا شريك له، وأشهد أنَّ مُحَمَّداً عبدُه ورسولُه، صلَّى اللَّهُ عليه وعلى آله وأصحابه وسلَّم تسليماً كثيراً.

أمَّا بعدُ:

فاتَّقوا اللَّه - عبادَ اللَّه - حقَّ التَّقوى؛ فمَنِ اتَّقاه هداه، ومَنْ لَجأَ إليه حَفِظَهُ وَوَقَاه.

أيُّها المسلمون:

جَعَلَ اللَّهُ هذه الأمةَ آخرَ الأُمَم، وفيها تَظْهَرُ أَشْرَاطُ السَّاعة، وعليها تقومُ القيامة، وأخبر سبحانه عن قُرْبِ ذلك؛ فقال: ﴿ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ﴾، و«كَانَ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا ذَكَرَ السَّاعَةَ احْمَرَّتْ عَيْنَاهُ، وَعَلَا صَوْتُهُ، وَاشْتَدَّ غَضَبُهُ، حَتَّى كَأَنَّهُ مُنْذِرُ جَيْشٍ يَقُولُ: صَبَّحَكُمْ وَمَسَّاكُمْ» (رواه مسلم)، وسأل المُشركون النَّبيَّ ﷺ عن زمنِ قيامِها مِراراً، فقال له ربُّه: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى ۖ لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَآ إِلَّا هُوَ﴾.

(١) أُلقِيَتْ يوم الجمعة، الثَّاني عشَر من شهر محرَّم، سنة خمس وثلاثين وأربع مئة وألف من الهجرة، في المسجد النَّبويِّ.

ومِنْ رَحْمَتِه سبحانه بعبادِه: أَنْ جَعَلَ للسَّاعةِ أَمَاراتٍ قبل قيامِهَا؛ لِيَعُودَ النَّاسُ إلى ربِّهم، وأخبرَ تعالى عن أَمَاراتِ اقترابها؛ فقال: ﴿فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا ٱلسَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُم بَغْتَةً فَقَدْ جَآءَ أَشْرَاطُهَا﴾، وعلاماتُ السَّاعةِ الكُبرى إِنْ خَرَجَتْ فالأُخْرَى على إثرِهَا قَرِيبةٌ منها.

وأمرٌ كبيرٌ جعلَه اللَّهُ من علامات السَّاعة، مَا مِنْ نَبيٍّ إلَّا حذَّر أُمَّتَه منه، قال ﷺ: «**مَا بَعَثَ اللَّهُ مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا أَنْذَرَ أُمَّتَهُ؛ أَنْذَرَهُ نُوحٌ وَالنَّبِيُّونَ مِنْ بَعْدِهِ**» (رواه البخاري)، وأنذَره النَّبيُّ ﷺ أُمَّتَه، فقال: «**إِنِّي لَأُنْذِرُكُمُوهُ**» (رواه البخاري)، وكان ﷺ يَتعوَّذُ في صلاتِه مِنْ فِتْنَتِه، ويُعلِّم أَصْحابَه التَّعوُّذَ منه كما يُعلِّمُهُمُ السُّورَةَ مِنَ القُرْآن، وَيَعِظُ صَحَابَتَهُ وَيُخْبِرُهُمْ عَنْ قُرْبِ ظُهُورِ ذَلِكَ الأَمْر؛ قال النَّوَّاسُ بنُ سَمْعَانَ رضي الله عنه: «حَتَّى ظَنَنَّاهُ فِي طَائِفَةِ النَّخْلِ - أَيْ: عِنْدَ النَّخْلِ الَّذِي بِجَانِبِهِمْ -» (رواه مسلم).

وكان السَّلفُ يأمرون بالتَّذكير به حيناً بعد حين، قال السَّفَّارينيُّ رحمه الله: «مِمَّا يَنْبَغِي لِكُلِّ عَالِمٍ أَنْ يَبُثَّ أَحَادِيثَ الدَّجَّالِ بَيْنَ الأَوْلَادِ وَالنِّسَاءِ وَالرِّجَالِ، وَلَا سِيَّمَا فِي زَمَانِنَا هَذَا الَّذِي اشْرَأَبَّتْ فِيهِ الفِتَنُ وَكَثُرَتْ فِيهِ المِحَنُ، وَانْدَرَسَتْ فِيهِ مَعَالِمُ السُّنَنِ».

والدَّجَّال حيٌّ الآنَ في جَزيرةٍ مِنْ جُزُرِ البحر، مُقيَّدٌ بوَثَاقٍ شديد، يَدَاهُ مجموعةٌ إلى عُنقِهِ ما بين رُكبتَيْه إلى كعبيْه بالحديد، وخروجُه قد دنا؛ قال عن نفسه: «وَإِنِّي أُوشِكُ أَنْ يُؤْذَنَ لِي فِي الخُرُوجِ» (رواه مسلم).

وعلاماتُ خروجِه: أن لا يُثمِرَ نَخلُ بَيْسَانَ - وهي مدينةٌ بين حَوْرَان وفلسطين - بعد أن كان يُثمِر، قال ياقوتُ الحمويُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وَقَدْ رَأَيْتُهَا مِرَاراً؛ فَلَمَ أَرَ فِيهَا غَيْرَ نَخْلَتَيْنِ حَائِلَتَيْنِ - أَيْ: غَيْرَ مُثْمِرَتَيْنِ -».

ومِنْ أَمَارَاتِ خُرُوجِه: ذَهابُ ماءِ بُحَيْرَةِ طَبَرِيَّة، وماؤُهَا قلَّ الآن، وهو في نُقصان.

ومِنْ عَلَامَاتِه: ذَهابُ ماءِ عينِ زُغَرَ - بَلْدَةٍ في الشَّامِ -، وعَدَمُ زِرَاعَةِ أَهْلِهَا بِمَاءِ تِلْكَ العَيْن.

وأوَّلُ مَخْرَجِه مِنْ حَيٍّ يُقالُ له: «اليَهُودِيَّة»، في مدينةِ أَصْبَهانَ من أَرْضِ خُراسان، يَخرجُ ومعه سَبْعُونَ أَلْفاً مِنْ يَهُودِها، وله حرسٌ وأعوانٌ.

وهو شابٌّ أحمرُ، جَسِيمٌ كَبِيرُ الخِلْقَة، وَاسِعُ الجَبْهَة، فيه انْحِنَاء، لَه شعرٌ كثيرٌ مُجَعَّد، عَيْنُه كأنَّها عِنَبَةٌ طَافِيَةٌ - أَيْ: ظَاهِرَةٌ عَوْرَاء -، قال عنه تميمٌ الداريُّ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ وقد رآه: «أَعْظَمُ إِنْسَانٍ رَأَيْنَاهُ قَطُّ خَلْقاً»، وهُو أكبرُ خلقٍ في هذه الدُّنيا؛ قال عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: «**مَا بَيْنَ خَلْقِ آدَمَ إِلَى قِيَامِ السَّاعَةِ خَلْقٌ أَكْبَرُ مِنَ الدَّجَّالِ**» (رواه مسلم).

وبيَّن النَّبيُّ ﷺ صِفاتِه لِيَعْرِفَه النَّاسُ إذا خَرَج، وأنَّه الدَّجَّالُ لا رَبُّ العَالَمِين كما يَزْعُم؛ ولِأَنَّ الدَّجَّالَ سَيَخْرُجُ في هذه الأُمَّةِ أَخْبَرَنا النَّبيُّ ﷺ بِصِفةٍ فيه لم يَذْكُرْهَا أَحدٌ مِنَ الأنبياء، قال عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: «**سَأَقُولُ لَكُمْ فِيهِ قَوْلاً لَمْ يَقُلْهُ نَبِيٌّ لِقَوْمِهِ؛ تَعْلَمُونَ أَنَّهُ أَعْوَرُ، وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِأَعْوَرَ**» (رواه البخاري).

وخُرُوجُه في حالِ خَفقَةٍ من الدِّين وإِدْبَارٍ من العلم؛ لِيَتَمَيَّزَ المُؤمنُ من الكافر، ويَتَبيَّن المُسلمُ من المُرتاب، فَيَدَّعِي أنَّه ربُّ العَالَمِين، ويُفْتَنُ به العبادُ بما يَخْلُقُه اللَّه معه من الخوارِق.

ومِنْ فِتْنَتِه: أَنْ يَقْتُل الرَّجلَ ثمَّ يُحْيِيَه - بإذن اللَّه -، ويَضْرِبَ آخر بالسَّيف فيَقْطَعَه قِطْعَتَيْن، ثمَّ يَدْعُوه بعد قَتْلِه فيُقبِلَ ذلك المَقْتُولُ يَتَهَلَّلُ وَجْهُه، ويَنْشُرَ الرَّجلَ بالمِنْشَار من مِفرَقِ رَأْسِه حتى يَقْطَعَ ما بين رِجلَيْه، ثمَّ يَمْشِي الدَّجَّال بين القِطْعَتَين، ثمَّ يقول له: قُمْ، فيَسْتَوِي قَائماً، ويَأْخُذَ الرَّجلَ برِجْلَيْه ويَدَيْه فيقذِفُ به إلى النَّار الَّتي معه، فيُحسَبُ أنَّما قذَفَه إلى النَّار، وإِنَّما أُلقِيَ في الجَنَّة - فَجَنَّتُه نارٌ، وناره جنَّةٌ -.

ومعه نَهْرَانِ يَجْرِيَان، أَحَدُهُمَا: رَأيَ العين ماءٌ أبيض، والآخر رَأيَ العين نارٌ تأجَّج، قال ﷺ: «**فَإِمَّا أَدْرَكَنَّ أَحَدٌ؛ فَلْيَأْتِ النَّهْرَ الَّذِي يَرَاهُ نَاراً وَلْيُغَمِّضْ، ثُمَّ لْيُطَأْطِئْ رَأْسَهُ فَيَشْرَبَ مِنْهُ؛ فَإِنَّهُ مَاءٌ بَارِدٌ**» (رواه مسلم).

ويَأْمُرُ السَّماءَ أَنْ تُمْطِر فتُمْطِر، والأرضَ أَن تُنبِتَ فَتُنبِت، ويَمُرُّ بالخَرِبَة فيقولُ لها: أَخْرِجِي كُنُوزَكِ، فَتَتْبَعُه كُنُوزُها، قال ابنُ العربيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «وَذَلِكَ كُلُّهُ أَمْرٌ مَخُوفٌ».

ومَشْيُه في الأرض سَرِيعٌ؛ وَصَفَه النَّبيُّ ﷺ بقولِه: «**كَالغَيْثِ اسْتَدْبَرَتْهُ الرِّيحُ**» (رواه مسلم).

ويَلْبَثُ في الأرض أَرْبَعينَ يوماً؛ يومٌ كَسَنةٍ، ويومٌ كشَهْرٍ، ويومٌ

كأُسْبُوعٍ، وبَقيَّةُ أيَّامِه كأيَّامِنا، ولا يَدَعُ قريةً إلَّا هبطَها غيرَ مكَّةَ والمَدِينَة، فإنَّ على كلِّ نَقْبٍ مِنْ أَنْقَابِها - أَيْ: أَبْوَابِهَا - مَلَائِكةٌ يَحْرُسُونَها، وإذا أراد أَنْ يَدْخُلَ واحدةً منهما استقبَلَه ملَكٌ بيدِه السَّيفُ صَلْتاً يصدُّه عنها.

وجميعُ القُرى تَفزَعُ من الدَّجَّال سوى المدينة، لا يَدْخُلُهَا رُعْبُ الدَّجَّال ولا الخَوْفُ منه.

ومِنْ شُكرِ نِعْمَةِ اللَّه على أَهْلِ مكَّةَ والمَدِينَة: أَنْ يَعْمُرُوهَا بِطَاعَةِ اللَّه؛ إِذْ خَصَّهَا اللَّهُ بِحِفْظِها من الدَّجَّال، وإذا مُنِعَ من دخول المَدِينَة يَنْزِلُ في سَبَخَةِ الجُرْفِ - غَرْبَ جبلِ أُحُد -، ويَضْرِبُ فيها لِواءَه، ويَكُونُ أكثرَ مَنْ يَخرُج إليه النِّساء، وتَرْجُفُ المَدِينَةُ بأَهْلِهَا ثَلَاثَ رَجَفَاتٍ يَخْرُجُ إليه منها كلُّ كافرٍ ومُنافِق.

وخيرُ النَّاسِ في كلِّ زمانٍ ومكانٍ: مَنْ أَنْكرَ مُنْكَراً رَآه؛ قال تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ﴾، وإذا مَكَثَ حولَ المَدِينَةِ يَخرُجُ إليه شابٌّ يُنكِرُ عليه ادِّعاءَه الرُّبوبيَّة ودَجَلَه؛ قال ﷺ: «**وَهُوَ خَيْرُ النَّاسِ - أَوْ: مِنْ خِيَارِ النَّاسِ - فَيَقُولُ: أَشْهَدُ أَنَّكَ الدَّجَّالُ الَّذِي حَدَّثَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حَدِيثَهُ**» (متفق عليه).

وخسارةُ المسلمين بِوَفَاةِ النَّبيِّ ﷺ عظيمة؛ إذ لو كانَ حيّاً لَكَفَانَا إيَّاه؛ قال ﷺ: «**إِنْ يَخْرُجْ وَأَنَا فِيكُمْ؛ فَأَنَا حَجِيجُهُ دُونَكُمْ**»

(رواه مسلم)، وبعد وفاة النَّبيِّ ﷺ كلُّ امْرِئٍ حَجِيجُ نفسِه مع الدَّجَّال، قال النَّبيُّ ﷺ: «وَإِنْ يَخْرُجْ وَلَسْتُ فِيكُمْ؛ فَامْرُؤٌ حَجِيجُ نَفْسِهِ، وَاللَّهُ خَلِيفَتِي عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ» (رواه مسلم).

ومِنْ أَسْبَابِ العِصْمَةِ منه: العلمُ الشَّرعيُّ بمعرفة أسماءِ اللَّه وصفاتِه، فالدَّجَّالُ أَعْورُ، وربُّنا سبحانه لَيْسَ بِأَعْوَر، واللَّهُ لا يراه أحدٌ في الدُّنيا، والدَّجَّالُ يراهُ النَّاس، والدَّجَّالُ مَكْتوبٌ بين عَيْنَيْهِ كافرٌ يَقْرَؤُه كلُّ قارئٍ وغيرُ قارئٍ، قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ: «المُؤْمِنُ يَتَبَيَّنُ لَهُ مَا لَا يَتَبَيَّنُ لِغَيْرِهِ، وَلَا سِيَّمَا فِي الفِتَنِ».

والفِرارُ من الفِتَنِ والابتِعادُ عنها عِصْمةٌ منها - بإذن اللَّه -؛ قال عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «مَنْ سَمِعَ بِالدَّجَّالِ؛ فَلْيَنْأَ عَنْهُ - أَيْ: لِيَهْرُبَ -، فَوَاللَّهِ إِنَّ الرَّجُلَ لَيَأْتِيهِ وَهُوَ يَحْسِبُ أَنَّهُ مُؤْمِنٌ؛ فَيَتَّبِعُهُ مِمَّا يَبْعَثُ بِهِ مِنَ الشُّبُهَاتِ - أَوْ: لِمَا يَبْعَثُ بِهِ مِنَ الشُّبُهَاتِ -» (رواه أبو داود).

والتَّمسُّك بالدِّين فيه النَّجَاةُ من الدَّجَّال؛ فإنَّ أتباعَه غيرُ المؤمنين، والإكثارُ من الدُّعاء بالتَّعوُّذ منه حرزٌ وأمانٌ؛ قال عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «إِذَا تَشَهَّدَ أَحَدُكُمْ - أَيْ: فِي الصَّلَاةِ -؛ فَلْيَسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنْ أَرْبَعٍ، يَقُولُ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ جَهَنَّمَ، وَمِنْ عَذَابِ القَبْرِ، وَمِنْ فِتْنَةِ المَحْيَا وَالمَمَاتِ، وَمِنْ فِتْنَةِ المَسِيحِ الدَّجَّالِ» (رواه مسلم)، وكان طاووس رَحِمَهُ اللَّهُ يأمُر ابنَه بإعادة الصَّلاة إذا لم يقرأ بهذا الدُّعاءِ في صلاتِه.

والقرآنُ الكريمُ أصلُ العِصْمَةِ مِنْ كلِّ فِتْنةٍ، ومَنْ سَمِعَ بِخرُوجِهِ وهو حَافظٌ لِعَشْرِ آياتٍ مِنْ أوَّلِ سورةِ الكَهف؛ عُصِم منه - بإذن اللَّه -، ومَنْ رَآه فَلْيَقرَأْ عليه فواتِحَ سُورةِ الكَهف، قال ﷺ: «**فَمَنْ أَدْرَكَهُ مِنْكُمْ؛ فَلْيَقْرَأْ عَلَيْهِ فَوَاتِحَ سُورَةِ الكَهْفِ**» (رواه مسلم).

وإذا كَثُر أَتْباعُه وعَمَّت فِتْنَتُه يَنْزِلُ عيسى عليه السلام عِنْدَ المَنَارَةِ الشَّرْقِيَّة بدمشق، فَيَلْتَفُّ عبادُ اللَّه حولَه، فَيَلْحَقُ عيسى عليه السلام بالدَّجَّال حين تَوجُّهِهِ إلى بيتِ المقدِس، فيُدرِكُه عند بابِ لُدٍّ في فِلَسْطين، فإذا رآه الدَّجَّالُ ذابَ ذوَبَان المِلْح، فيَلْحَقُه عيسى عليه السلام فَيَقْتُلُه بحَرْبَةٍ.

وبعدُ، أيُّها المسلمون:

فوعدُ اللَّهِ حقٌّ، والسَّاعةُ آتيةٌ لا رَيْبَ فيها، وقيامُها سَرِيعٌ؛ قال ﷺ: «**تَقُومُ السَّاعَةُ وَالرَّجُلُ يَحْلُبُ اللِّقْحَةَ، فَمَا يَصِلُ الإِنَاءُ إِلَى فِيهِ حَتَّى تَقُومَ، وَالرَّجُلَانِ يَتَبَايَعَانِ الثَّوْبَ، فَمَا يَتَبَايَعَانِهِ حَتَّى تَقُومَ، وَالرَّجُلُ يَلِطُ فِي حَوْضِهِ، فَمَا يَصْدُرُ حَتَّى تَقُومَ**» (رواه مسلم).

والمُسلمُ مُبادِرٌ لفعلِ الصَّالِحاتِ في كلِّ زمانٍ وحينٍ، وهو لها أَشدُّ امتِثالاً وإكثاراً حين غُربَة الدِّين وكثرة الفِتَن؛ قال ﷺ: «**بَادِرُوا بِالأَعْمَالِ سِتّاً: طُلُوعَ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا، أَوِ الدُّخَانَ، أَوِ الدَّجَّالَ، أَوِ الدَّابَّةَ، أَوْ خَاصَّةَ أَحَدِكُمْ، أَوْ أَمْرَ العَامَّةِ**» (رواه مسلم).

وطاعةُ النَّبيِّ ﷺ حفظٌ للعبد في الرَّخاء والشِّدَّة، سألَ الدَّجَّالُ تَمِيماً الدَّاريَّ رضي الله عنه ومَنْ معه من الصَّحابةِ حين رأَوْه؛ سألهم عن

نبيِّنا ﷺ: «مَا فَعَلَ؟ قَالُوا: قَدْ خَرَجَ مِنْ مَكَّةَ وَنَزَلَ يَثْرِبَ، قَالَ: أَقَاتَلَهُ العَرَبُ؟ قَالُوا: نَعَمْ، قَالَ: كَيْفَ صَنَعَ بِهِمْ؟ فَأَخْبَرُوهُ أَنَّهُ قَدْ ظَهَرَ عَلَى مَنْ يَلِيهِ مِنَ العَرَبِ وَأَطَاعُوهُ، قَالَ لَهُمْ: قَدْ كَانَ ذَلِكَ؟ قَالُوا: نَعَمْ، قَالَ: أَمَا إِنَّ ذَاكَ خَيْرٌ لَهُمْ أَنْ يُطِيعُوهُ» (رواه مسلم).

أعوذ باللَّه من الشَّيطان الرَّجيم

﴿ٱقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِى غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ﴾.

بارك اللَّه لي ولكم في القرآن العظيم ...

الخطبة الثَّانية

الحمد للَّهِ على إحسانه، والشُّكرُ له على توفيقِه وامتنانِه، وأشهد أن لا إله إلَّا اللَّهُ وحدَه لا شريك له تعظيماً لشأنه، وأشهد أنَّ نبيَّنا مُحمَّداً عبدُه ورسولُه، صلَّى اللَّهُ عليه وعلى آله وأصحابه وسلَّم تسليماً مزيداً.

أيُّها المسلمون:

وَلَئِن كان أمرُ الدَّجَّال كبيراً، فإنَّ الرِّياءَ بالأعمال الصَّالِحَة أخوَفُ عند النَّبيِّ ﷺ على أُمَّتِه من الدَّجَّال؛ قال ﵊: «أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِمَا هُوَ أَخْوَفُ عَلَيْكُمْ عِنْدِي مِنَ المَسِيحِ الدَّجَّالِ؟ قَالُوا: بَلَى، فَقَالَ: الشِّرْكُ الخَفِيُّ؛ أَنْ يَقُومَ الرَّجُلُ يُصَلِّي، فَيُزَيِّنُ صَلَاتَهُ لِمَا يَرَى مِنْ نَظَرِ رَجُلٍ إِلَيْهِ» (رواه أحمد)، قال في تيسيرِ العزيزِ الحميد: «إِنَّمَا كَانَ الرِّيَاءُ كَذَلِكَ لِخَفَائِهِ، وَقُوَّةِ الدَّاعِي إِلَيْهِ، وَعُسْرِ التَّخَلُّصِ مِنْهُ؛ لِمَا يُزَيِّنُهُ الشَّيْطَانُ وَالنَّفْسُ الأَمَّارَةُ فِي قَلْبِ صَاحِبِهِ»، والمُؤمنُ يجمعُ في العملِ بين صلاحِه بمُتابَعة النَّبيِّ ﷺ وإخلاصِ النِّيَّة فيه للَّهِ وحدَه.

ثمَّ اعلموا أنَّ اللَّه أمركم بالصَّلاة والسَّلام على نبيِّه ...

اليَوْمُ الآخِرُ: يَوْمُ الدِّينِ(١)

الحمدُ للَّه الَّذي بِنِعْمَتِه اهْتَدَى المُهْتَدُون، وبعَدْلِه ضلَّ الضَّالون، لا يُسْأَلُ عمَّا يفعلُ وهُمْ يُسْأَلُون، أَحْمَدُه سبحانه حمدَ عبدٍ نزَّه ربه عمَّا يقول الظَّالِمُون.

وأشهد أن لا إله إلَّا اللَّه وحده لا شريك له، شهادةً ارْتَضَاهَا الصَّالحون.

وأشهد أنَّ نبيَّنا مُحَمَّداً عبدُه ورسولُه الصَّادقُ المأمون، صلَّى اللَّه عليه وعلى آله وصحبه الذين هم بِهَدْيِه مستمسكون، وعلى نَهْجِهِ سَائرون.

أمَّا بعدُ:

فأوصيكُم ونَفْسِي بتقوى اللَّه؛ فهي النَّجاةُ غداً، والسَّعادةُ أبداً.

أيُّها المسلمون:

التَّصديقُ باليومِ الآخرِ مِنْ أُسُسِ الإيمانِ الَّتي دعا إليها الرُّسُل، وقد بلَّغ الأنبياءُ أُمَمَهُم باليومِ المَوْعُود، وبشَّرُوهُم بالجَنَّة وأَنْذَرُوهُم النَّار، وأوَّلُ صفةٍ في كتابِ اللَّه مِنْ نُعوتِ المُتَّقين: هي الإيمان

(١) أُلقِيَتْ يوم الجمعة، الحادي والعشرين من شهر محرَّم، سنة عشرين وأربع مئة وألف من الهجرة، في المسجد النَّبويِّ.

بالغيب: ﴿ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ۝ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ﴾.

وعندما أُهْبِطَ آدم إلى الأرض قال اللَّه له: ﴿فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ﴾، ونوح عليه السلام حذَّر قومَه يومَ الجزاء وضربَ لهم الأمثال الدَّالة على وُقُوعِه وحُدُوثِه؛ فقال: ﴿وَٱللَّهُ أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ نَبَاتًا ۝ ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا﴾، وقال شعيب عليه السلام لقومه: ﴿ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱرْجُوا۟ ٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾، وأَمَدُ المَرْءِ في هذه الحياة قصير، وأيَّامُه في هذا العَالَم الفَانِي مَحْدُودة، وحاجاتُه على الأرض لا تَنْقَضِي وآمالُه مَمْدُودَة، وسَيَرْحَلُ وفي نفسِه حاجات وعلى أرضِه الَّتي رَحَلَ عنها آماله، وسَيَأْتِي يومٌ تَفْنَى فيه الحياة والأحياء؛ قال تعالى: ﴿كُلُّ شَىْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾.

ثمَّ يأتي زمنٌ يُعِيدُ اللَّهُ فيه العِبَادَ ويَبْعَثُهُم، فيُوقِفُهُم بين يَدَيْهِ ويُحَاسِبُهُم على ما قَدَّمُوه مِنْ أعمال، وسَيُلَاقِي العِبَاد في ذلك اليومِ شيئاً عظيماً من الأهوال لا يَنْجُو منها إلَّا مَنْ أَعَدَّ لذلك اليومِ عُدَّته - مِنَ الإِيمَانِ والعَمَلِ الصَّالح -، ويُسَاقُ العبادُ في خِتَامِ ذلك إلى دار القَرَار، الجَنَّة أو النَّار.

هذا اليومُ هو يومُ القيامة؛ يومٌ يقرَعُ القلوب ويَصُخُّ الأسماع حتَّى يَكَادَ يَصُمُّ الآذان، يوم طامة يَطُمُّ على كلِّ أمرٍ هائل، ويَغْشَى النَّاس بأفزاعهم: ﴿هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلْغَٰشِيَةِ﴾، يتحسر فيه العباد ويندمون: ﴿وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْحَسْرَةِ إِذْ قُضِىَ ٱلْأَمْرُ وَهُمْ فِى غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾، وتقول النَّفس: ﴿يَٰحَسْرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِى جَنۢبِ ٱللَّهِ وَإِن كُنتُ لَمِنَ ٱلسَّٰخِرِينَ﴾،

وتَبْلُغُ الحَسْرَةُ ذِرْوَتَها بأهلِ الكفر عند ما يتبرَّأُ السَّادةُ والأتباعُ مِنْ مَتْبُوعِهِم: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُواْ لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّءُواْ مِنَّاۗ كَذَٰلِكَ يُرِيهِمُ ٱللَّهُ أَعْمَٰلَهُمْ حَسَرَٰتٍ عَلَيْهِمْۖ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ﴾.

ويَكْثُرُ فيه التَّنَادِي؛ فَكلُّ إنسانٍ يُدْعَى باسمِه للحسابِ والجزاء، وأصحابُ الجنَّة يُنادُونَ أصحابَ النَّار، وأصحابُ النَّار يُنادُونَ أصحابَ الجنَّة، وأهلُ الأعرافِ يُنادُونَ هؤلاء وهؤلاء: ﴿ذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّجْمُوعٌ لَّهُ ٱلنَّاسُ وَذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّشْهُودٌ﴾.

إنَّه يومُ التَّغابُن؛ يَغْبِن فيه أهلُ الجنَّة أهلَ النَّار؛ إذْ يدخلُ هؤلاء الجنَّة فيأخذون ما أَعَدَّ اللَّه لهم ويَرِثُونَ نصيبَ الكفَّار من الجنَّة، ويَتَحَقَّقُ فيه الوَعْد والوَعِيد، وتَتَجَلَّى فيه الأمورُ ومُخَبَّآت الصُّدُور، يومٌ تُبَعْثَرُ فيه القبور ويَحْصُلُ ما في الصُّدُور، يومٌ عَسيرٌ على الكافرين غيرُ يسير، يُنَبَّأُ الإنسانُ فيه بما قدَّم وأخَّر.

أيُّها المسلمون:

وبينما النَّاس في أموالهم ومعايشهم يَخْتَصِمُون ويَتَشَاجَرُون إذْ نُفِخ في الصُّور، فلا يَبْقَى أَحَدٌ على وجهِ الأرض «**إِلَّا أَصْغَى لِيتاً وَرَفَعَ لِيتاً**»، يَضعُ صفحةَ عنقه ويَرفعُ صفحته الأخرى، يَتَسَمَّعُ الصَّوتَ من السَّماء فلا يَتَمَكَّنُ من كتابةِ وَصِيَّتِه ولا الرُّجوعِ إلى أهلِه؛ يقول تعالى: ﴿مَا يَنظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ ۞ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً وَلَآ إِلَىٰٓ أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ﴾، «**وَأَوَّلُ مَنْ يَسْمَعُهُ رَجُلٌ يَلُوطُ حَوْضَ إِبِلِهِ،**

قَالَ: فَيَصْعَقُ وَيَصْعَقُ النَّاسُ»، وفي الحديث: «وَلَتَقُومَنَّ السَّاعَةُ وَقَدْ نَشَرَ الرَّجُلَانِ ثَوْبَهُمَا بَيْنَهُمَا؛ فَلَا يَتَبَايَعَانِهِ وَلَا يَطْوِيَانِهِ، وَلَتَقُومَنَّ السَّاعَةُ وَقَدِ انْصَرَفَ الرَّجُلُ بِلَبَنِ لِقْحَتِهِ؛ فَلَا يَطْعَمُهُ، وَلَتَقُومَنَّ السَّاعَةُ وَهُوَ يُلِيطُ حَوْضَهُ؛ فَلَا يَسْقِي فِيهِ، وَلَتَقُومَنَّ السَّاعَةُ وَقَدْ رَفَعَ أُكْلَتَهُ إِلَى فِيهِ؛ فَلَا يَطْعَمُهَا» (رواه البخاري).

عبادَ اللَّه:

والصُّورُ قَرْنٌ يُنْفَخُ فيه، وصاحبُ الصُّورِ مُسْتَعِدٌّ للنَّفخ فيه مُنْذُ أَنْ خَلَقَهُ اللَّه، يَنْظُرُ نَحوَ العَرْشِ مَخَافَة أَنْ يُؤْمَرَ قبل أَنْ يَرْتَدَّ إليه طرفه؛ يقول النَّبيُّ ﷺ: «كَيْفَ أَنْعَمُ وَقَدِ الْتَقَمَ صَاحِبُ القَرْنِ القَرْنَ، وَحَنَى جَبْهَتَهُ، وَأَصْغَى سَمْعَهُ، يَنْتَظِرُ أَنْ يُؤْمَرَ أَنْ يَنْفُخَ؛ فَيَنْفُخُ؟! قَالَ المُسْلِمُونَ: فَكَيْفَ نَقُولُ يَا رَسُولَ اللَّه؟ قَالَ: قُولُوا: حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الوَكِيلُ، تَوَكَّلْنَا عَلَى اللَّهِ رَبِّنَا» (رواه الترمذي).

أيُّها المسلمون:

تقومُ السَّاعةُ يومَ الجُمُعَة، وفي كلِّ يوم جُمُعةٍ تُشْفِقُ جميعُ المخلوقات إلَّا الثَّقَلَيْنِ من حين تُصْبِحُ حتَّى تَطْلُعَ الشَّمس؛ خوفاً من قيام السَّاعة فيه، وإذا شاء اللَّهُ إعادةَ العباد وإحياءَهم أَمَرَ إسرافيلَ فنَفَخَ في الصُّورِ فَتَعُودُ الأرواحُ إلى الأجسادِ ويَقُومُ النَّاس لِرَبِّ العالمين: ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَإِذَا هُم مِّنَ ٱلْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ﴾، وأَوَّلُ مَنْ يَفيقُ مِنَ الصَّعْقِ وأَوَّلُ مَنْ تَنْشَقُّ عنه الأرض: نبيُّنا مُحمَّدٌ ﷺ.

وبعدَ نفخةِ الصَّعقِ يُنزِلُ اللَّهُ ماءً من السَّماءِ تَنْبُتُ منه أَجسادُ العباد كما يَنْبُتُ البَقْل، وليس في الإنسان شيءٌ إلَّا بَلِي سوى عَجْبِ الذَّنَب، منه يُرَكَّبُ الخلق يوم القيامة.

أعوذ باللَّه من الشَّيطان الرَّجيم

﴿وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْـَٔازِفَةِ إِذِ ٱلْقُلُوبُ لَدَى ٱلْحَنَاجِرِ كَٰظِمِينَ ۚ مَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ﴾.

بارك اللَّه لي ولكم في القرآن العظيم ...

الخطبة الثَّانية

الحمد للَّه على إحسانه، والشُّكرُ له على توفيقِه وامتنانِه، وأشهد أن لا إله إلَّا اللَّه وحدَه لا شريك له تعظيماً لشأنه، وأشهد أنَّ نبيَّنا مُحمَّداً عبدُه ورسولُه، صلَّى اللَّه عليه وعلى آله وأصحابه وسلَّم تسليماً مزيداً.

أمَّا بعدُ، أيُّها المسلمون:

يَجمعُ اللَّهُ يومَ الدِّين العباد أَجْمَعِين، ويَسْتَوِي في هذا الجَمْعِ الأَوَّلُون والآخِرُون: ﴿قُلْ إِنَّ ٱلْأَوَّلِينَ وَٱلْآخِرِينَ * لَمَجْمُوعُونَ إِلَىٰ مِيقَٰتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ﴾، وعلى أيِّ صفةٍ هَلَكَ العباد - في ظلماتِ البَحْر، أو في بطونِ الجَوَارِح، أو أَعْمَاقِ الأرض - فإنَّ اللَّهَ قادرٌ على الإتيان بهم: ﴿أَيْنَ مَا تَكُونُوا۟ يَأْتِ بِكُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾، وعِلْمُ اللَّه تعالى مُحِيطٌ بهم أينما مَاتُوا وحَيْثُما هَلَكُوا، لا يُنْسَى منهم للحشر أحد، ولا يَتَخَلَّف في المُقَام بشر، قال ﷻ: ﴿وَحَشَرْنَٰهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا﴾، وقال سبحانه: ﴿إِن كُلُّ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّآ ءَاتِى ٱلرَّحْمَٰنِ عَبْدًا * لَّقَدْ أَحْصَىٰهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا﴾.

فاتَّقِ اللَّه واجْعَلِ اليومَ الآخِرَ في خَلَدِك، وذِكْرَاه على لِسَانِكَ، واسْتَعِدَّ له بالإيمان والعملِ الصَّالح، وعِشْ ما شِئْتَ فإنَّك مَيِّتٌ، وأَحْبِبْ مَنْ شِئْتَ فإنَّك مُفَارِقُه، واعملْ ما شِئْتَ فإنَّك مَجْزِيٌّ به، وتَزَوَّدْ

من التَّقوى فإنَّ السَّفَر بعيد، وخَفِّفِ الحِمْل فإنَّ العَقَبة كَؤُود، يقول يحيى بن معاذ رَحِمَهُ اللهُ: «طُوبَى لِمَنْ تَرَكَ الدُّنْيَا قَبْلَ أَنْ تَتْرُكَهُ، وَبَنَى قَبْرَهُ قَبْلَ أَنْ يَدْخُلَهُ، وَأَرْضَى رَبَّهُ قَبْلَ أَنْ يَلْقَاهُ».

ثمَّ اعلموا أنَّ اللَّه أمركم بالصَّلاة والسَّلام على نبيِّه ...

أَهْوَالُ القِيَامَةِ (١)

إنَّ الحمد للَّه، نحمده ونستعينه، ونستغفره ونستهديه، ونعوذ باللَّه من شرور أنفسنا ومن سيِّئات أعمالنا، مَنْ يَهده اللَّهُ فلا مُضلَّ له، ومَنْ يُضْلِلْ فلا هَاديَ له، وأشهد أن لا إله إلَّا اللَّه وحدَه لا شريك له، وأشهد أنَّ مُحَمَّداً عبدُه ورسولُه، صلَّى اللَّه عليه وعلى آله وأصحابه وسلَّم تسليماً كثيراً.

أمَّا بعدُ:

فاتَّقوا اللَّه - عبادَ اللَّه - حقَّ التَّقوى، وراقبوه في السِّرِّ والنَّجوى.

أيُّها المسلمون:

النَّاسُ في هذه الحياة في غَفْلَةٍ، وأمَلُهم فيها عَرِيضٌ، ولا بدَّ من إلْجَامِ النَّفْسِ بِتَذْكِيرِهَا بمصيرها؛ لِتَعْمُرَ الآخرةَ بالدنيا، ويُغْتَنمَ الحاضرُ للمستقبل، وقد جَعلَ اللَّه اليَقِينَ باليومِ الآخِرِ من أركانِ الإِيمان، وسَيَأْتِي اليَومُ الذي يَفْنَى فيه الخَلْقُ مِصْدَاقاً لقوله: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ﴾، ثمَّ يأتي يومٌ يُعِيدُ اللَّه فيه العباد ويَبْعَثُهُم مِنْ قُبُورِهِم.

وأوَّلُ مَنْ يُبعَثُ وتَنْشَقُّ عنه الأرض: نبيُّنا مُحمَّدٌ ﷺ، ويُحْشَرُ العبادُ حُفاةً عُراةً غُرْلاً - غيرَ مَخْتُونِينَ - ﴿كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ

(١) أُلقِيَتْ يوم الجمعة، الثَّلاثين من شهر رجب، سنة إحدى وعشرين وأربع مئة وألف من الهجرة، في المسجد النَّبويِّ.

نُّعِيدُهُۥ﴾، ويُكْسَى العبادُ، وأوَّلُ مَنْ يُكْسَى إبراهيمُ عليه السلام، ويُكْسَى الصَّالحونَ ثياباً كَرِيمَة، والطَّالِحُون يُسَرْبَلُون القَطِرَان - نُحَاساً مُذَاباً - ودُرُوعاً مِنْ جَرَب، ويُحْشَرُ الخَلْقُ على أرضٍ مَحْشَرٍ غيرِ هذه؛ قالت عائشة رضي الله عنها: «فَأَيْنَ يَكُونُ النَّاسُ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: **عَلَى الصِّرَاطِ**» (رواه مسلم)، وفي لفظٍ: «**هُمْ فِي الظُّلْمَةِ دُونَ الجِسْرِ**».

وأرضُ الحَشْرِ أَرضٌ بيضاءُ عَفْرَاء؛ لَيْسَ فيها مَعْلَمٌ لِأَحد، لَمْ يُسْفَك عليها دَمٌ حَرَامٌ ولَمْ يُعْمَلْ عليها خَطِيئَة، يَنْفُذُهم البَصَرُ ويُسْمِعُهُم الدَّاعي، يومٌ عبوسٌ قَمْطرير، قال عنه الكافرون: ﴿هَٰذَا يَوْمٌ عَسِرٌ﴾، لا يُلَاقِي العبادُ يوماً مِثْلَه، وَصَفَهُ اللَّه بالثّقل والعُسْر، يَشِيبُ منه شَعر الوَلِيد: ﴿فَذَٰلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ﴾، تَذْهَلُ المُرْضِعَةُ عن رَضِيعِهَا، والحاملُ تُسْقِطُ حَمْلَهَا.

يومٌ تَدْهَشُ فيه العُقُول، وتَغِيبُ الأَذْهَان، يَفِرُّ الإنسانُ مِنْ أَحبِّ النَّاسِ إليه - مِنْ أُمِّه وأَبِيه وأَخِيه وزوجتِه وأولادِه -، ويَوَدُّ العَاصِي أَنْ يَدْفَعَ بأَغْلَى النَّاسِ إليه في النَّار لِيَنْجُوَ: ﴿يُبَصَّرُونَهُمْ يَوَدُّ ٱلْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِى مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍ بِبَنِيهِ ۞ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَأَخِيهِ ۞ وَفَصِيلَتِهِ ٱلَّتِى تُـْٔوِيهِ ۞ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ يُنجِيهِ﴾.

والأرضُ تُزَلْزَلُ وتُدَكُّ دَكَّةً واحدة، وتُمَدُّ مدَّ الأَدِيم، وتَبْقَى صَعِيداً واحِداً لا اعْوِجَاجَ فيها ولا رَوَابِي، يَقْبِضُها اللَّهُ ويُمْسِكُها بإِصبع.

والجبالُ تُسَيَّرُ وتُنْسَفُ وتَتَفَتَّت، وتَتَحَوَّلُ إلى كَثِيبٍ مِنَ الرَّملِ مَهِيل، وكَعِهْنٍ - أي: أَلوانٍ - من الصُّوفِ مَنْفُوش، يُخَيَّلُ للنَّاظر أَنَّها

شيءٌ وهي سَرَابٌ ليسَ بشيء: ﴿وَسُيِّرَتِ ٱلْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا﴾، وتُزَالُ الجبالُ عن مَوْضِعِها، وتُسَوَّى الأرضُ فلا ارْتِفَاعَ فيها ولا انْخِفَاض: ﴿لَّا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجًا وَلَآ أَمْتًا﴾، والبحار تُفَجَّر وتُسَجَّر وتَشْتَعِل ناراً.

والسَّماءُ تَنْشَقُّ وتَمُورُ وتَضْطَرب؛ فَتُصْبِحُ ضَعِيفَةً وَاهية، وتَأْخُذُ السَّماءُ في التَّلَوُّن: ﴿فَإِذَا ٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَٱلدِّهَانِ﴾، وتُكْشَطُ السَّماءُ فلا سِتْرَ حِينَئذٍ ولا خَفَاء، ويَطوِيهَا ربُّنا بِيَمِينِه كَطَيِّ السِّجلِّ للكِتَاب، ويُمْسِكُهَا على إِصْبع.

والشَّمسُ تُكَوَّرُ وتُجْمَعُ ويَذْهَبُ ضَوْؤُهَا، والقمرُ يَخْسِف: ﴿فَإِذَا بَرِقَ ٱلْبَصَرُ ۞ وَخَسَفَ ٱلْقَمَرُ ۞ وَجُمِعَ ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ﴾.

والنُّجومُ الزَّواهِرُ تَنْكَدِر، ويَنْفَرِطُ عِقْدُها فَتَتَناثَر، وتُظْلِمُ الأرضُ بِخُمودِ سِرَاجِهَا وزوالِ أَنْوَارِها.

والعِشَارُ تُعَطَّل، والوُحُوشُ تُحْشَر، ويَمُوجُ الخلقُ بعضُهُم إلى بعض، مَنْ رَأَى النَّاس فيه ظنَّ أنَّهم سُكَارَى وما هُمْ بِسُكَارَى ولكنَّ عذابَ اللَّهِ شديد.

الأبصارُ شاخصة، والقلوبُ لدى الحَنَاجِرِ وَاجِفَة، والملائكةُ آخذةٌ مَصَافَّها بالخلائقِ مُحدقةٌ، أَمْرٌ عظيم، وطَارِقٌ مُفْظِع، يقول النَّبيُّ ﷺ: «أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ ضِيقِ المَقَامِ يَوْمَ القِيَامَةِ» (رواه النسائي).

في هذا اليوم تَعْلَمُ كلُّ نفسٍ ما أَحْضَرَت، يَقِفُ الإنسانُ نادماً بعد فوات الأوان، وتُؤْخَذُ خوافي الصُّدور أخذاً شديداً ويُبَعْثَرُ ما فيها، فما

مِنْ شيءٍ أُخْفِيَ فيها إِلَّا ظَهَر، وما أُسِرَّ إِلَّا أُعْلِن، صَمْتٌ مَهِيب، لا يَتَخَلَّلُه حديثٌ ولا يَقْطَعُه اعتذارٌ: ﴿هَٰذَا يَوْمُ لَا يَنطِقُونَ ۞ وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ﴾.

وُجُوهٌ هناك مُبْيَضَّةٌ مُسْفِرةٌ مُسْتَبْشِرَة، ضاحكةٌ نَاضِرة، ووُجُوهٌ أُخْرَى مُسْوَدَّةٌ بَاسِرة، عليها غَبرة، مُرْهَقةٌ بالقَتَرة، المُتَّقُون يُحْشَرُونَ إلى ربِّهم وفداً، والمُجْرِمُونَ يُسَاقُونَ يومئذٍ زُرْقاً.

والشَّمسُ تَدْنُو من رُؤُوسِ الخلائقِ حتَّى لا يكونَ بينها وبينهم إلَّا قَدْرُ مِيل، ولا ظِلَّ لِأَحدٍ إلَّا ظلُّ عَرْشِ الرَّحْمَن، فمِنْ بين مُسْتَظِلٍّ بظِلِّ العَرْش وبينَ مُضْحَوٍ بِحَرِّ الشَّمس، والأُمَمُ تَزْدَحِمُ وتَتَدَافَعُ فتَخْتَلِفُ الأَقْدامُ وتَنْقَطِعُ الأَعْنَاق، فَيَفِيضُ العَرَقُ إلى سبعين ذراعاً في الأرض، ويَسْتَنْقِعُ على وجه الأرض ثمَّ على الأَبدانِ على مراتبهم، منهم مَنْ يَصِلُ إلى الكَعْبَيْن، ومنهم مَنْ يُلْجِمُه إِلْجَاماً؛ فيُطْبِقُ الغَمُّ وتَضِيقُ النَّفَس، وتَجْثُو الأُمَمُ من الهَوْلِ على الرُّكَب، وتَرَى كلَّ أُمَّةٍ جَاثِية؛ يقول النَّبيُّ ﷺ: «يَبْلُغُ النَّاسُ مِنَ الغَمِّ وَالكَرْبِ مَا لَا يُطِيقُونَ وَلَا يَحْتَمِلُونَ» (متفق عليه).

ويَنْدَمُ العُصاةُ ويَتَحَسَّرُونَ على تَفْرِيطِهم في الطَّاعة، وَلِشِدَّة حَسْرَتِهم يَعَضُّونَ على أيديهم؛ يقول ﷻ: ﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَٰلَيْتَنِى ٱتَّخَذْتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلًا﴾، ويَمْقت العاصي نفسَه وأحبابَه وخِلَّانَه، وتَنْقَلِبُ كلُّ مَحبَّةٍ لَمْ تَقُمْ على أساسٍ من الدِّين إلى عِداء، ويُخَاصِمُ المَرْءُ أَعْضَاءَه، والمُتَكَبِّرُونَ يُحْشَرُونَ أَمْثَالَ الذَّرِّ يَطَؤُهم النَّاسُ

بأقدامِهِم احْتِقَاراً لهم، والمُسْبِلُ إزاره لا يُكَلِّمُه اللَّهُ في ذلك اليوم ولا يَنْظُرُ إليه ولا يُزَكِّيهِ وله عذابٌ أليم.

وتُوضَعُ لكلِّ غادرٍ يوم القيامة رَايةٌ عند مُؤَخَّرتِه، ويُقالُ: هذه غَدْرة فلان بن فلان، ومَنْ أَخذَ من الأرض شيئاً بغيرِ حقِّه خُسِفَ به يوم القيامة إلى سبع أراضين، ويَتَضَاعَفُ يومَ القيامة ظلمُ الدُّنيا؛ «**الظُّلْمُ ظُلُمَاتٌ يَوْمَ القِيَامةِ**»، والحقوقُ لا تَضِيع؛ بل يُقْتَصُّ حقُّ المظلوم من الظَّالِمِ حتَّى يُقَادَ فيمَا بين البهائم.

وشرُّ النَّاسِ يومئذ: «**ذُو الوَجْهَيْنِ؛ الَّذِي يَأْتِي هَؤُلَاءِ بِوَجْهٍ، وَهَؤُلَاءِ بِوَجْهٍ**»، و«**مَنْ نَفَّسَ عَنْ مُؤْمِنٍ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ الدُّنْيَا؛ نَفَّسَ اللَّهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ يَوْمِ القِيَامَةِ، وَمَنْ يَسَّرَ عَلَى مُعْسِرٍ؛ يَسَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ، وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِماً؛ سَتَرَهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ**».

والعَادِلُون على منابرَ من نورٍ عن يمين الرَّحْمَن، ويُبْعَثُ كلُّ عبدٍ على ما مات عليه؛ فمَنْ مات مُحْرِماً بُعِثَ مُلَبِّياً، ومَنْ كُلِم في سبيلِ اللَّه جَاءَ لَوْنُه لونُ الدَّمِ والرِّيحُ ريحُ المِسْك، والمُؤَذِّنونَ أطولُ النَّاس أَعْناقاً ولا يَسْمَعُ مَدَى صَوْتِه شيء إلَّا شَهِدَ له يوم القيامة، ومَنْ شَابَ شيبة في الإسلام كانت له نوراً، وكلُّ امْرِئٍ في ظلِّ صَدَقَتِه حتَّى يُفْصَلَ بين النَّاس.

والصِّراطُ دَحْضٌ مَزَلَّةٌ؛ فناجٍ عليه ومَخْدوشٌ ومَكْدوسٌ في النَّار.

والمِيزَانُ بالقِسطِ لا اخْتِلَالَ فيه، الحساب فيه بمَثَاقِيلِ الذَّرَّة:

﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۞ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ﴾، الحمدُ للَّه تَمْلَؤُه، وسبحان اللَّه وبحمده سبحان اللَّه العظيم ثَقِيلَتَانِ فيه، و«سُئِلَ النَّبِيُّ ﷺ: مَا أَكْثَرُ مَا يُدْخِلُ النَّاسَ الجَنَّةَ؟ قَالَ: تَقْوَى اللَّهِ، وَحُسْنُ الخُلُقِ» (رواه الترمذي).

والصُّحُفُ المَطْوِيَّةُ تُنْشَر، كم مِنْ بَلِيَّةٍ نَسِيتَها؟! وكم مِنْ سَيِّئةٍ أَخْفَيْتَهَا؟! والكتابُ يُقْرَأ، والجوارحُ تُنْطَق، والملائكةُ حَاضِرَة، واللَّهُ شهيدٌ على جَمِيعِ الأعمال، يقول تعالى: ﴿وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ﴾.

وبَعْدَ أَنْ يَفْرغَ اللَّه من الفَصْلِ بين البهائم يَشْرَعُ في الفَصْلِ بين العباد، وأوَّلُ الأُمَمِ يُقْضَى بينها هذه الأُمَّة، وهم أوَّلُ مَنْ يَجوزُ على الصِّراط، وأوَّلُ مَنْ يَدخلُ الجنَّة؛ يقول النَّبيُّ ﷺ: «نَحْنُ الآخِرُونَ السَّابِقُونَ يَوْمَ القِيَامَةِ» (متفق عليه)، وفي روايةٍ: «المَقْضِيُّ لَهُمْ قَبْلَ الخَلَائِقِ» (رواه مسلم).

ويُكْرِمُ اللَّه عَبْدَه مُحَمَّداً ﷺ في الموقف العظيم بإعطائِه حَوْضاً وَاسِعَ الأَرْجَاء، مَسِيرَتُه شَهْر، ومَاؤُه أَشدُّ بَيَاضاً منَ اللَّبَن، وأَحْلَى من العَسَل، وأَطْيَبُ من المِسْك، تَرَى فيه أَبَارِيق الذَّهب والفضَّة كعددِ نُجُومِ السَّماء، مَنْ شَرِبَ منه شَرْبةً لَمْ يَظْمَأْ بعدَها أبداً، ويَرِدُ عليه أَقْوَامٌ من أُمَّتِه ثُمَّ يُحَالُ بينهم؛ فيقول عليه الصلاة والسلام: «إِنَّهُمْ مِنِّي، فَيُقَالُ: إِنَّكَ لَا تَدْرِي مَا أَحْدَثُوا بَعْدَكَ، فَيَقُولُ: سُحْقاً سُحْقاً لِمَنْ بدَّل بَعْدِي» (متفق عليه).

إنَّ النَّجاةَ مِنْ تلكَ الأَهْوَالِ إنَّما تُنَالُ برحمة اللَّه ثمَّ بعملٍ صالحٍ، والمُقَصِّرُ نادمٌ لا مَحَالَةَ في يوم لا تَنْفَعُ فيه المَعْذِرَة، ولا يُرْتَجَى فيه إلَّا المَغْفِرَة، والحياةُ طَالَتْ بكَ أَمْ قَصُرَت؛ فمصيرُك إمَّا إلى جنَّةٍ أو نارٍ.

أعوذ باللَّه من الشيطان الرجيم

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞۖ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلۡغَرُورُ﴾.

بارك اللَّه لي ولكم في القرآن العظيم ...

الخطبة الثَّانية

الحمد للَّه على إحسانه، والشُّكرُ له على توفيقِه وامتنانِه، وأشهد أن لا إله إلَّا اللَّه وحده لا شريك له تعظيماً لشأنه، وأشهد أنَّ نبيَّنا مُحمَّداً عبدُه ورسولُه، صلَّى اللَّه عليه وسلَّم وعلى آله وأصحابه.

أمَّا بعدُ، أيُّها المسلمون:

المُفْلِسُ يومَ القيامة: مَنْ يَأْتِي بصلاةٍ وصيامٍ وزكاةٍ ويَأْتِي وقد شَتَمَ هذا وقَذَفَ هذا وأَكَلَ مالَ هذا وسَفَكَ دَمَ هذا وضَرَبَ هذا، فيُعْطَى هذا من حسناتِه وهذا من حسناتِه، فإنْ فَنِيَتْ حسناتُه قبل أَنْ يَقْضِيَ ما عليه؛ أُخِذَ من خطاياهم فَطُرِحَتْ عليه ثمَّ يُقْذَفُ في النَّار.

يقول صالح المُرِّي رَحِمَهُ اللَّهُ: «دَخَلْتُ المَقَابِرَ نِصْفَ النَّهَارِ، فَنَظَرْتُ إِلَى القُبُورِ كَأَنَّهُمْ قَوْمٌ صُمُوتٌ، فَقُلْتُ: سُبْحَانَ مَنْ يُحْيِيكُمْ وَيَنْشُرُكُمْ مِنْ بَعْدِ طُولِ البِلَى، فَهَتَفَ بِي هَاتِفٌ مِنْ بَعْضِ تِلْكَ الحُفَرِ: يَا صَالِحُ! ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن تَقُومَ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ بِأَمْرِهِۦۚ ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ إِذَآ أَنتُمْ تَخْرُجُونَ﴾، قَالَ: فَخَرَرْتُ مَغْشِيّاً عَلَيَّ».

يقول الحسنُ البصريُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «يَوْمَانِ وَلَيْلَتَانِ لَمْ يَسْمَعِ الخَلَائِقُ بِمِثْلِهِنَّ قَطُّ، لَيْلَةٌ تَبِيتُ مَعَ أَهْلِ القُبُورِ وَلَمْ تَبِتْ قَبْلَهَا مِثْلَهَا، وَلَيْلَةٌ صَبِيحَتُهَا تُسْفِرُ عَنْ يَوْمِ القِيَامَةِ، وَيَوْمٌ يَأْتِيكَ البَشِيرُ مِنَ اللَّهِ؛ إِمَّا بِالجَنَّةِ وَإِمَّا بِالنَّارِ، وَيَوْمٌ تُعْطَى كِتَابَكَ إِمَّا بِيَمِينِكَ وَإِمَّا بِشِمَالِكَ».

ثمَّ اعلموا أنَّ اللَّه أمركم بالصَّلاة والسَّلام على نبيِّه ...

الإِيمَانُ بِالقَضَاءِ وَالقَدَرِ

التَّوَكُّلُ (١)

إنَّ الحمدَ للَّه، نَحمدُه ونَستعينُه ونَستغفرُه، ونَعوذُ باللَّهِ من شرورِ أنفسِنا ومن سيِّئاتِ أعمالِنا، مَنْ يَهده اللَّهُ فلا مُضلَّ له، ومَنْ يُضْلِلْ فلا هَاديَ له، وأشهد أن لا إله إلَّا اللَّه وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ نبيَّنا مُحمَّداً عبدُه ورسولُه، صلَّى اللَّه عليه وعلى آله وأصحابه وسلَّم تسليماً كثيراً.

أمَّا بعدُ:

فاتَّقوا اللَّه - عبادَ اللَّه - حقَّ التَّقوى؛ فمَنِ اتَّقى ربَّه علا، ومَنْ أعرضَ عنه فله معيشةٌ ضَنْكاً.

أيُّها المسلمون:

أَسْعدُ الخلقِ أعظمُهم عبوديَّةً للَّه، وكلَّما كان العبدُ أذلَّ للَّه وأعظم افتقاراً إليه كان أقربَ إليه وأعظمَ قدراً عنده وعند خلقه، والعبد عاجز عن الاستقلال بجلب مصالحه ودفع مضارِّه، محتاجٌ إلى الاستعانة بخالقه، واللَّهُ سبحانه هو الصَّمدُ الغَنيُّ عمَّا سواه، وكلُّ ما سواه فقير إليه، وذنوبُ العبادِ كثيرة، ولا نجاة لهم منها إلَّا بمعونة اللَّه وعفوه، وكثيرٌ من الكبائر القَلْبيَّة - من الرِّياءِ والكِبْرِ والحَسَدِ وتَرْكِ التَّوكُّل - قد

(١) أُلقِيَتْ يوم الجمعة، العاشر من شهر جمادى الآخرة، سنة أربع وعشرين وأربع مئة وألف من الهجرة، في المسجد النَّبويِّ.

يقعُ فيها المرءُ وهو لا يَشعرُ بها، وقد يَتورَّعُ عن بعضِ الصَّغائر الظَّاهرة وهو في غفلةٍ عن هذه العظائم.

والأسبابُ المُجرَّدةُ تَخذلُ المرءَ عن تَحقيقِ مُناه، وقد يَطرقُ باباً يَظنُّ أنَّ فيه نفعَه فإذا هو ضررٌ محض، ولا يُنجي من ذلك إلَّا التَّوكُّلُ على العزيز الرَّحِيم، لذا عَظَّم ربُّنا من شأن التَّوكُّل، وجَعَلَه منزلة من منازل الدِّين، وقرنه بالعبادة في قوله: ﴿فَٱعۡبُدۡهُ وَتَوَكَّلۡ عَلَيۡهِۚ﴾، وجعله سبباً لنيل محبَّته فقال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُتَوَكِّلِينَ﴾، وجعله شرطاً لحصول الإيمان به فقال: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ﴾.

مقامٌ جليلُ القدر، عظيمُ الأثر، فريضةٌ من ربِّ العالمين، به رضا الرَّحْمَن، وفيه مَنَعةٌ من الشَّيطان، منزلتُه أوسعُ المنازلِ وأَجْمَعُها، أقوى السُّبل عند اللَّه وأحبُّها، أمر اللَّهُ به رسولَه ﷺ في قوله: ﴿وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلٗا﴾.

والرُّسُلُ هم أَئِمَّةُ المُتوكِّلين وقدوتُهم؛ قال تعالى عن نوحٍ عليه السلام أنَّه قال لقومه: ﴿إِن كَانَ كَبُرَ عَلَيۡكُم مَّقَامِي وَتَذۡكِيرِي بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَعَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلۡتُ﴾، وقال الخليل عليه السلام: ﴿رَّبَّنَا عَلَيۡكَ تَوَكَّلۡنَا وَإِلَيۡكَ أَنَبۡنَا وَإِلَيۡكَ ٱلۡمَصِيرُ﴾، وقال هود عليه السلام: ﴿إِنِّي تَوَكَّلۡتُ عَلَى ٱللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمۚ مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذُۢ بِنَاصِيَتِهَآۚ﴾، وقال يعقوب عليه السلام: ﴿إِنِ ٱلۡحُكۡمُ إِلَّا لِلَّهِۖ عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُۖ وَعَلَيۡهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُتَوَكِّلُونَ﴾، وقال شعيب عليه السلام: ﴿وَمَا تَوۡفِيقِيٓ إِلَّا بِٱللَّهِۚ عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُ وَإِلَيۡهِ أُنِيبُ﴾، وقال رسل اللَّه لأقوامهم: ﴿وَمَا لَنَآ أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى ٱللَّهِ وَقَدۡ هَدَىٰنَا سُبُلَنَاۚ﴾، وقال مؤمن آل فرعون: ﴿وَأُفَوِّضُ أَمۡرِيٓ إِلَى ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَصِيرُۢ بِٱلۡعِبَادِ﴾،

وفي مطلع النُّبوَّة والتَّنزيل أَمْرٌ بالتَّوكُّل وأنَّه يفتح المغلق ﴿ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ﴾.

جعله اللَّهُ صفةً لأهل الإيمان، يتميزون به عن سواهم: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾، والشَّيطانُ لا سلطانَ له على عباد اللَّه المُتوكِّلين؛ قال تعالى: ﴿إِنَّهُۥ لَيْسَ لَهُۥ سُلْطَٰنٌ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾.

والتَّوكُّل مانعٌ من عذاب اللَّه؛ كما قال سبحانه: ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَهْلَكَنِىَ ٱللَّهُ وَمَن مَّعِىَ أَوْ رَحِمَنَا فَمَن يُجِيرُ ٱلْكَٰفِرِينَ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ۞ قُلْ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ءَامَنَّا بِهِۦ وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾، وموجبٌ لِدخولِ الجنَّات؛ قال سبحانه: ﴿ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾، بل المُتوكِّلون حقًّا يدخلون جَنَّةَ ربِّهم بغيرِ حساب؛ كما وصفُهم نبيُّهم ﷺ بذلك في قوله: «**هُمُ الَّذِينَ لَا يَسْتَرْقُونَ، وَلَا يَكْتَوُونَ، وَلَا يَتَطَيَّرُونَ، وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ**» (متفق عليه).

وأوصى النَّبيُّ ﷺ ابن عبَّاس رضي الله عنهما بالتَّوكُّل، وهو غلام لتأصيلِ العقيدةِ في نفسِه في بكورِ حياته فقال: «**يَا غُلَامُ! إِنِّي أُعَلِّمُكَ كَلِمَاتٍ؛ احْفَظِ اللَّهَ يَحْفَظْكَ، احْفَظِ اللَّهَ تَجِدْهُ تُجَاهَكَ، إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللَّهَ، وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ**» (رواه الترمذي)، قال ابن القيِّم رحمه الله: «التَّوَكُّلُ أَصْلٌ لِجَمِيعِ مَقَامَاتِ الإِيمَانِ وَالإِحْسَانِ، وَلِجَمِيعِ أَعْمَالِ الإِسْلَامِ، وَإِنَّ مَنْزِلَتَهُ مِنْهَا مَنْزِلَةُ الجَسَدِ مِنَ الرَّأْسِ».

في التَّوكُّل راحةُ البال، واستقرارٌ في الحال، ودفعُ كيدِ الأشرار،

وهو من أقوى الأسباب التي يَدفعُ بها العبدُ ما لا يطيقُ من أذى الخلق وظلمهم، وبه قطع الطَّمع عمَّا في أيدي النَّاس، سُئل الإمامُ أحمدُ رَحِمَهُ اللَّهُ عن التَّوكُّل فقال: «هُوَ قَطْعُ الِاسْتِشْرَافِ بِاليَأْسِ مِنَ النَّاسِ».

والتَّوكُّل على غير اللَّه ذُلٌّ وامتهانٌ للنَّفس، وسؤالُ المخلوق للمخلوق سؤالٌ من الفقير للفقير، قال ﷺ: «**وَاعْلَمْ أَنَّ الأُمَّةَ لَوِ اجْتَمَعَتْ عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ، لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ لَكَ، وَلَوِ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ، لَمْ يَضُرُّوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ عَلَيْكَ**» (رواه الترمذي).

ومتى الْتَفَتَ القلبُ إلى غير اللَّه وَكَلَه اللَّه إلى مَن الْتَفت إليه، وصار مخذولاً، قال ﷺ: «**مَنْ تَعَلَّقَ شَيْئاً؛ وُكِلَ إِلَيْهِ**» (رواه الترمذي)، قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ: «مَا رَجَا أَحَدٌ مَخْلُوقاً أَوْ تَوَكَّلَ عَلَيْهِ إِلَّا خَابَ ظَنُّهُ فِيهِ، وَكُلُّ مَنْ أَحَبَّ شَيْئاً لِغَيْرِ اللَّهِ فَلَا بُدَّ أَنْ يَضُرَّهُ، وَهَذَا مَعْلُومٌ بِالِاعْتِبَارِ وَالِاسْتِقْرَاءِ»، ولا يَحملنَّك عدمُ رجاءِ المخلوق على جفوةِ النَّاسِ، وتركِ الإحسانِ إليهم واحتمالِ الأذى منهم؛ بل أحسن إليهم للَّه؛ لا لرجائهم، وكما أنَّك لا تَخافُهم فلا تَرْجُهم، وارجُ اللَّه في النَّاس، ولا تَرْجُ النَّاس في اللَّه.

أيُّها المسلمون:

الأرزاقُ بيد الخلَّاق، فما كان لك منها أتاك على ضعفك، وما كان لغيرك لم تنلْه بقوتك، ورزقُ اللَّه لا يَسُوقُه إليك حرصُ حريصٍ، ولا يَرُدُّه عنك كراهيةُ كَارِهٍ.

والرِّزْقُ مَقْسُومٌ لكلِّ أحدٍ - من بَرٍّ وفاجرٍ ومُؤمنٍ وكَافِرٍ -؛ قال تعالى: ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزۡقُهَا﴾.

والرِّزق يُساقُ إلى الدَّوابِّ مع ضعفِ كثيرٍ منها وعجزِها عن السَّعي في طلب الرِّزق؛ قال تعالى: ﴿وَكَأَيِّن مِّن دَآبَّةٍ لَّا تَحۡمِلُ رِزۡقَهَا ٱللَّهُ يَرۡزُقُهَا وَإِيَّاكُمۡۚ﴾، وقد يُيَسِّره اللَّه لك بكسبٍ وبغيرِ كسب، والنَّاسُ يُؤْتَون مِنْ قِلَّة تَحقيقِ التَّوكُّل، ومِنْ وُقُوفِهم مع الأسباب الظَّاهرة بقلوبهم ومساكنتهم لها، ولو حقَّقُوا التَّوكُّلَ على اللَّه بقلوبهم؛ لَساقَ اللَّه إليهم أرزاقَهم مع أدنى سبب؛ كما يسوق للطَّير أرزاقها بمجرَّد الغُدُوِّ والرَّوَاح - وهو نوعٌ من الطَّلبِ والسَّعي؛ لكنه سعي يسير -، قال ﷺ: «**لَوْ أَنَّكُمْ تَوَكَّلُونَ عَلَى اللَّهِ حَقَّ تَوَكُّلِهِ لَرَزَقَكُمْ كَمَا يَرْزُقُ الطَّيْرَ؛ تَغْدُو خِمَاصاً، وَتَرُوحُ بِطَاناً**» (رواه أحمد)؛ فلا تُضيِّع زمانك بِهَمِّك بما ضَمِنَ لك من الرِّزق، فما دام الأجلُ باقياً كان الرِّزق آتياً، قال الحسن البَصريُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «لَمَّا عَلِمْتُ أَنَّ رِزْقِي لَنْ يَأْكُلَهُ غَيْرِي اطْمَأَنَّ قَلْبِي».

أيُّها المسلمون:

وقَّتَ اللَّه للأمور أقدارَها، وهَيَّأ إلى الغايات أسبابها، وأمورُ الدُّنيا وزينتُها قد يُدرِك منها المتواني ما يفوت المثابر، ويصيب منها العاجز ما يُخطِئ الحازمُ، والالتفاتُ إلى الأسباب نقصٌ في التَّوحِيد، ومَحْوُ الأسبابِ أن تكون أسباباً نقصٌ في العقل، والإعراضُ عن الأسباب التي أُمِرَ بها قَدْحٌ في الشَّرع، وعلى العبد أن يكونَ قلبُه

معتمداً على اللَّه لا على الأسباب، ونبيُّنا مُحمَّدٌ ﷺ أَكملُ المُتوكِّلين، ولم يُخِل بالأسباب؛ فقد ظاهر بين دِرْعَيْن يومَ أُحُد، واستأجرَ دليلاً يدلُّه على طريق الهجرة، وحَفَرَ الخندقَ يومَ غزوةِ الأحزاب.

وحقيقةُ التَّوكُّلِ: القيامُ بالأسباب والاعتمادُ بالقلب على المُسبِّب، واعتقادُ أنَّها بيده، فإن شاءَ مَنَعَ اقتضاءَها وإن شاء جَعَلَها مقتضيةً لضدِّ أحكامها، وإن شاء أقامَ لها موانعَ وصوارفَ تُعارضُ اقتضاءها وتَدفعُه، والمُوحِّدُ المُتوكِّلُ لا يطمئنُّ إلى الأسباب ولا يرجوها، كما أنَّه لا يُهملها أو يبطلها؛ بل يكونُ قائماً بها ناظراً إلى مسببها سبحانه ومجريها.

وإذا قَوِيَ التَّوكُّلُ وعَظُمَ الرَّجاءُ أَذِنَ اللَّهُ بالفرج، تَرَكَ الخليلُ زوجتَه هاجرَ وابنَها إسماعيلَ صغيراً رضيعاً بوادٍ لا حسيسَ فيه ولا أنيس، ولا زرعَ حولَه ولا ضرع، تَوكُّلاً على اللَّه وامتثالاً لأمره، فأحاطهما اللَّه بعنايته، فإذا الصَّغير يكون نبيّاً وصفه اللَّه بالحِلْم والصَّبر وصدق الوعد والمحافظة على الصَّلاة والأمر بها، والماءُ المباركُ زمزمُ ثمرةٌ من ثمار تَوكُّل الخليل.

ولمَّا عَظُمَ البلاءُ ببني إسرائيل، وتَبِعَهُم فرعونُ بِجنودِه وأحاطوا بهم، وكان البحرُ أمامَهم: ﴿قَالَ أَصْحَٰبُ مُوسَىٰٓ إِنَّا لَمُدْرَكُونَ﴾، قال نبيُّ اللَّه موسى عليه السلام الواثقُ بنصر اللَّه: ﴿كَلَّآ إِنَّ مَعِىَ رَبِّى سَيَهْدِينِ﴾، فأمرهُ اللَّه بِضربِ البحرِ فصار طريقاً يَبَساً كلُّ فِرْقٍ كالطَّوْد العظيم.

ويونس عليه السلام الْتَقَمَهُ حوتٌ في لُجَج البحر وظَلْمَائه؛ فلجأ إلى مولاه، وألقى حاجته إليه: ﴿لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبۡحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾؛ فنُبِذَ وهو سَقِيمٌ في العَرَاء، وما ضاعَ مُجرَّداً في الخلاء.

وأُمُّ موسى أَلْقَتْ ولدَها مُوسى في اليَمِّ ثقةً باللَّه، وامتثالاً لأمره؛ فإذا هو رسُولٌ من أُولي العزم المقربين.

ويعقوبُ عليه السلام قيل له: إنَّ ابنَك أَكَلَه الذِّئبُ؛ ففوَّض أمره إلى اللَّه وناجاه، فردَّه عليه مع أخيه بعد طول حزنٍ وفراقٍ.

ولمَّا ضاق الحالُ، وانحصر المجال، وامتنعَ المقال من مريم عليها السلام، عَظُم التَّوكُّل على ذي العظمة والجلال، ولم يبق إلَّا الإخلاصُ والاتِّكال، فأشارت إليه أن خَاطِبُوهُ: ﴿قَالُواْ كَيۡفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِي ٱلۡمَهۡدِ صَبِيّٗا﴾، فعندها أَنْطَقَهُ اللَّهُ: ﴿قَالَ إِنِّي عَبۡدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِيَ ٱلۡكِتَٰبَ وَجَعَلَنِي نَبِيّٗا﴾.

ونبيُّنا مُحمَّدٌ ﷺ يَتوارى مع صاحبِه عن قومِه في جبلٍ أَجْرَد، في غارٍ قَفْرٍ مَخُوف، فبلغ الرَّوعُ صاحبَه وقال: «يَا رَسُولَ اللَّهِ! لَوْ أَنَّ أَحَدَهُمْ نَظَرَ إِلَى قَدَمَيْهِ أَبْصَرَنَا تَحْتَ قَدَمَيْهِ، فَقَالَ - وهُو وَاثِقٌ بربِّه -: **يَا أَبَا بَكْرٍ! مَا ظَنُّكَ بِاثْنَيْنِ، اللَّهُ ثَالِثُهُمَا**» (متفق عليه)؛ فأنزل اللَّهُ تأييدَه ونصْرَه وأمدَّهُ بجنودٍ لا تُرىَ؛ فسَكَنَ الجأشُ وحصل الأمنُ وتمَّت الهجرة، وانطلقت الرِّسالة.

وإذا تكالبت عليك الأيَّام، وأحاطت بك دوائرُ الابتلاء، فلا تَرْجُ

إلَّا اللَّه، وارفعْ أَكُفَّ الضَّراعة، وألْقِ كَنَفَك بين يدي الخلَّاق، وعَلِّقْ رجاءَك به، وفوِّضِ الأمرَ للرَّحِيم، واقطعْ العلائقَ عن الخلائق، ونادِ العظيم، وتَحَرَّ أوقاتَ الإجابة - كالسُّجود، وآخر اللَّيل -، وإذا قَوِيَ التَّوكُّلُ والرَّجاء، وجُمِعَ القلبُ في الدُّعاء: لم يُرَدَّ النِّداء: ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ﴾، فَسَلِّمِ الأمرَ لِمالِكِه.

واللَّهُ عزيزٌ، لا يَذِلُّ من استجارَ به، ولا يُضيِّعُ مَنْ لَاذَ بِجَنابِه، وتَفريجُ الكرباتِ عند تَناهي الكَرْب، واليُسْرُ مُقْتَرِنٌ بِالعسر، وتَعرَّفْ على ربِّك في الرَّخاء يَعرفْك في الشِّدَّة، و«حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الوَكِيلُ» قالها الخليلان في الشَّدائد.

ومَنْ صَدَقَ توكُّله على اللَّه في حُصولِ شيءٍ نالَه، ومَنْ فوَّضَ أَمْره إليه كفاه ما أهمَّه، ومَنْ حقَّقَ التَّوكُّلَ عليه لم يَكِلْهُ إلى غيره؛ بل تَولَّاه بنفسه: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ﴾.

وعلى قدرِ حُسْنِ ظنِّك بِربِّك ورجائكَ له يكون تَوكُّلُك عليه، فاجعل ربَّك وحدَه مَوضعَ شكواك، قال الفضيل رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وَاللَّهِ لَوْ يَئِسْتَ مِنَ الخَلْقِ حَتَّى لَا تُرِيدُ مِنْهُمْ شَيْئاً لَأَعْطَاكَ مَوْلَاكَ كُلَّ مَا تُرِيدُ».

وهو سبحانه قديرٌ لا تَتحرَّكُ ذَرَّةٌ إلَّا بإذنه، ولا يَجري حادثٌ إلَّا بمشيئته، ولا تَسقطُ ورقةٌ إلَّا بِعلمه: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ ۝ ٱلَّذِى يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ ۝ وَتَقَلُّبَكَ فِى ٱلسَّٰجِدِينَ﴾، قال إبراهيم الخوَّاص رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «مَا يَنْبَغِي لِلْعَبْدِ بَعْدَ هَذِهِ الآيَةِ أَنْ يَلْجَأَ إِلَى أَحَدٍ غَيْرَ اللَّهِ».

ومَنْ تعلَّقَ بغيرِ اللَّه أو سَكَنَ إلى علمِه وعقلِه ودوائِه وتمائِمِه، واعتمد على حولِه وقوَّتِه وَكَلَه اللَّهُ إلى ذلك وخَذَلَه، قال في تيسيرِ العزيزِ الحميد: «وَهَذَا مَعْرُوفٌ بِالنُّصُوصِ وَالتَّجَارِبِ».

وأَرْجَحُ المكاسبِ: الثِّقةُ بِكفايةِ اللَّه وحسنُ الظَّنِّ به، ومَنْ ظَنَّ أنه يُنالُ ما عند اللَّه بِمعصيتِه ومخالفتِه كما يُنالُ بطاعته والتَّقرُّبِ إليه، أو ظَنَّ أنه إذا تَرَكَ شيئاً من أجله لم يعوِّضْه اللَّه خيراً منه، أو ظَنَّ أنَّ مَنْ فعل شيئاً لأجله لم يُعطِهِ أفضلَ منه، أو ظَنَّ أنه إذا صَدَقَهُ في التَّوكُّل عليه أنه يُخيِّبه ولا يُعطيه ما سأله؛ فقد ظَنَّ باللَّه ظَنَّ السَّوء، ولا يَسْلَمُ من هذا إلَّا مَنْ عَرَفَ اللَّهَ وعَرَفَ أسماءه وصفاتِه وعَرَفَ مُوجِبَ حكمتِه وحَمْدِه، قال ابن القيِّم رَحِمَهُ اللَّهُ: «أَكْثَرُ الخَلْقِ؛ بَلْ كُلُّهُمْ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الحَقِّ وَظَنَّ السَّوْءِ؛ فَإِنَّ غَالِبَ بَنِي آدَمَ يَعْتَقِدُ أَنَّهُ يَسْتَحِقُّ فَوْقَ مَا شَاءَهُ اللَّهُ لَهُ، وَمَنْ فَتَّشَ فِي نَفْسِهِ وَتَغَلْغَلَ فِي مَعْرِفَةِ طَوَايَاهَا رَأَى ذَلِكَ فِيهَا كَامِناً؛ فَلْيَعْتَنِ اللَّبِيبُ النَّاصِحُ لِنَفْسِهِ بِهَذَا، وَلْيَتُبْ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرْهُ فِي كُلِّ وَقْتٍ مِنْ ظَنِّهِ بِرَبِّهِ ظَنَّ السَّوْءِ، وَلْيَظُنَّ السَّوْءَ بِنَفْسِهِ».

أعوذ باللَّه من الشَّيطان الرَّجيم

﴿وَٱذْكُرِ ٱسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا ۝ رَّبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱتَّخِذْهُ وَكِيلًا﴾.

بارك اللَّه لي ولكم في القرآن العظيم ...

الخطبة الثَّانية

الحمد للَّه على إحسانه، والشُّكرُ له على توفيقِه وامتنانِه، وأشهد أن لا إله إلَّا اللَّه وحده لا شريك له تعظيماً لشأنه، وأشهد أنَّ نبيَّنا مُحمَّداً عبدُه ورسولُه، صلَّى اللَّه عليه وعلى آله وأصحابه وسلَّم تسليماً كثيراً.

أمَّا بعدُ، أيُّها المسلمون:

لا يَسْتَقِيمُ تَوكُّلُ العبد حتى يصحَّ تَوحِيدُه، وعلى قدرِ تجريدِه التَّوحيدَ يكونُ صحَّةُ التَّوكُّل، ومتى التفتَ العبدُ إلى غيرِ اللَّه أخذ ذلك شُعبةً مِن شُعَبِ قلبه؛ فَنَقص من تَوكُّلِه بقدر ذهاب تلك الشُّعبة.

ومَنْ نَزَلَتْ به فاقةٌ فأنزلَها بالخلق لم تُسدَّ فاقتُه، ومَنْ سرَّه أن يكون أقوى النَّاس فلْيَتَوكَّلْ على اللَّه، ومَنْ سرَّه أن يكونَ أغنى النَّاس فلْيَكُنْ ما في يد اللَّه أوثقَ منه ممَّا في يده.

والرِّضا والتَّوكُّل يكتنفان المقدور، فالتَّوكُّلُ قبلَ وقوعِه والرِّضا بعد وقوعِه، والرِّضا ثمرةُ التَّوكُّل، وروحُ التَّوكُّلِ التَّفويضُ وإلقاءُ أمورِك كلِّها إلى اللَّه، يقولُ داود بن سليمان رَحِمَهُ اللَّهُ: «يُسْتَدَلُّ عَلَى تَقْوَى الْمُؤْمِنِ بِثَلَاثٍ: حُسْنُ التَّوَكُّلِ فِيمَا لَمْ يَنَلْ، وَحُسْنُ الرِّضَا فِيمَا قَدْ نَالَ، وَحُسْنُ الصَّبْرِ فِيمَا قَدْ فَاتَ».

وكلَّما كان العبدُ باللَّه أعرفَ كان توكُّلُه عليه أقوى، وقوَّةُ التَّوكُّلِ وضعفُه بحسب قوَّةِ الإيمانِ وضعفِه.

ومَنْ توكَّلَ على اللَّه فلا يَعْجَلْ بالفرج، فاللَّهُ ذكر كِفايتَه للمُتوكِّل عليه، ورُبَّما أَوْهَمَ ذلك تَعَجُّلَ الكفايةِ وقتَ التَّوكُّل، فاللَّهُ جَعَلَ لكلِّ شيء قَدْراً ووقتاً؛ فلا يَستعجلُ المتوكِّلُ فيقول: قد توكَّلتُ ودعوتُ فلم أر شيئاً، فاللَّهُ بَالِغُ أمرِه قد جعل لكلِّ شيءٍ قَدْرَه.

واللَّهُ هو المُتفرِّدُ بالاختيار والتَّدبير، وتدبيرُه لعبده خيرٌ من تدبيرِ العبدِ لنفسه، وهو أرحمُ به منه بنفسه.

ثمَّ اعلموا أنَّ اللَّه أمركم بأمرٍ بدأ فيه بنفسِه ...

حُسْنُ الظَّنِّ بِاللَّهِ [(١)]

إنَّ الحمدَ للَّه، نَحمدُه ونَستعينُه ونَستغفرُه، ونَعوذُ باللَّهِ من شرورِ أنفسِنا ومن سيِّئاتِ أعمالِنا، مَنْ يَهده اللَّهُ فلا مُضلَّ له، ومَنْ يُضْلِلْ فلا هَاديَ له، وأشهد أن لا إله إلَّا اللَّهُ وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ مُحَمَّداً عبدُه ورسولُه، صلَّى اللَّهُ عليه وعلى آله وأصحابه وسلَّم تسليماً كثيراً.

أمَّا بعدُ:

فاتَّقوا اللَّه - عبادَ اللَّه - حقَّ التَّقوى، واسْتَمْسِكُوا من الإسلام بالعُرْوَة الوُثْقَى.

أيُّها المسلمون:

التَّوحِيدُ حقُّ اللَّه على عباده، وبه بَعَثَ اللَّهُ رُسلَه وأنزلَ كُتبَه، وحقيقتُه: إفراد اللَّهِ بالعبادة، والعبادة: اسمٌ جامعٌ لكلِّ ما يحبُّه اللَّه ويرضاه - من الأقوال والأعمال؛ الظَّاهرة منها والباطنة -، فللقلب عبوديَّة تَخصُّه، وعُبوديَّتُه أعظمُ من عبوديَّة الجوارح وأكثرُ وأدومُ، ودخول أعمال القلب في الإيمان أَوْلَى من دخول أعمال الجوارح؛ فالإيمانُ القائمُ بالقلب علماً وحالاً هو الأصلُ المقصود، والأعمالُ

(١) أُلقِيَتْ يوم الجمعة، الثَّامن عشَر من شهر ربيع الآخر، سنة تسع وثلاثين وأربع مئة وألف من الهجرة، في المسجد النَّبويِّ.

الظَّاهرةُ مُتمِّمةٌ له وتَبَعٌ، ولا تكون صالحةً مقبولةً إلَّا بتوسُّطِ عملِ القلب؛ فهو روحُ العُبوديَّةِ ولُبُّها، وإذا خَلَتِ الأعمالُ الظَّاهرةُ منه كانت كالجسد الموات بلا روح، وبصلاح القلب صلاحُ الجسدِ كلِّه؛ قال النَّبيُّ ﷺ: «**أَلَا وَإِنَّ فِي الجَسَدِ مُضْغَةً، إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الجَسَدُ كُلُّهُ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الجَسَدُ كُلُّهُ، أَلَا وَهِيَ القَلْبُ**» (متفق عليه).

وتفاضُلُ العبادِ بتفاضُلِ ما في قلوبهم، وبها تَفَاضُلُ الأعمال، وذلك محلُّ نظرِ الرَّبِّ من عباده؛ قال النَّبيُّ ﷺ: «**إِنَّ اللَّهَ لَا يَنْظُرُ إِلَى أَجْسَادِكُمْ، وَلَا إِلَى صُوَرِكُمْ، وَلَكِنْ يَنْظُرُ إِلَى قُلُوبِكُمْ وَأَعْمَالِكُمْ**» (رواه مسلم).

ومن آكد أعمالِ القلوب: حُسنُ الظَّنِّ باللَّه؛ فهو من فروض الإسلام وأحَدُ حقوقِ التَّوحيد وواجباتِه، ومعناه الجامعُ: كلُّ ظنٍّ يليق بكمالِ ذات اللَّهِ سبحانه وأسمائِه وصفاتِه، وهو فرعٌ عن العلم به ومعرفتِه، ومبناه على العلم بسعة رحمة اللَّه، وعزَّتِه وإحسانه، وقدرتِه وعلمِه، وحسنِ اختياره، فإذا تمَّ العلمُ بذلك أَثْمَرَ للعبد حُسنَ الظَّنِّ بربِّه ولا بد، وقد ينشأ من مشاهدة بعضِ أسماء اللَّه وصفاتِه.

ومَنْ قام بقلبه حقائقُ معاني أسماء اللَّه وصفاتِه قام به من حُسنِ الظَّنِّ ما يناسب كلَّ اسمٍ وصفة، لأنَّ كلَّ صفةٍ لها عبوديةٌ خاصةٌ وحسنُ ظنٍّ خاصٌّ بها.

وكمالُ اللَّهِ وجلالُه وجمالُه وإفضالُه على خلقه موجِبٌ حسنَ الظَّنِّ به ﷻ، وبذلك أمر اللَّهُ عباده في قوله: ﴿وَأَحۡسِنُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾،

قال سفيان الثوري رحمه الله: «أَحْسِنُوا الظَّنَّ بِاللَّهِ»، وأكَّد النَّبيُّ ﷺ قبل موته على ذلك لعظيم قدره؛ قال جابرٌ رضي الله عنه: «سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَبْلَ مَوْتِهِ بِثَلَاثَةِ أَيَّامٍ يَقُولُ: **لَا يَمُوتَنَّ أَحَدُكُمْ إِلَّا وَهُوَ يُحْسِنُ الظَّنَّ بِاللَّهِ عز وجل**» (رواه مسلم).

وقد امتدح اللَّهُ عبادَه الخاشعينَ بحُسْن ظنِّهم به، وجعَل من عاجل البشرى لهم تيسيرَ العبادةِ عليهم وجَعَلها عوناً لهم؛ قال سبحانه: ﴿وَٱسْتَعِينُوا۟ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ۚ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلْخَـٰشِعِينَ ۞ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَـٰقُوا۟ رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ﴾، وقد نال الرُّسل عليهم السلام المنزلةَ الرَّفيعةَ في معرفتهم باللَّه؛ فَفَوَّضُوا أمورَهم إليه حُسْنَ ظنٍّ منهم بربِّهم، فإبراهيمُ عليه السلام ترك هَاجَر وابنَها إسماعيل عند البيت وليس بمكَّة يومئذٍ أحدٌ وليس بها ماء، ثم ولَّى إبراهيم منطلقاً فَتَبِعَتْهُ هَاجَر وقالت: «يَا إِبْرَاهِيمُ! أَيْنَ تَذْهَبُ وَتَتْرُكُنَا بِهَذَا الوَادِي الَّذِي لَيْسَ فِيهِ إِنْسٌ وَلَا شَيْءٌ؟ فَقَالَتْ لَهُ ذَلِكَ مِرَاراً، وَجَعَلَ لَا يَلْتَفِتُ إِلَيْهَا، فَقَالَتْ لَهُ: آللَّهُ الَّذِي أَمَرَكَ بِهَذَا؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَتْ: إِذَنْ لَا يُضَيِّعُنَا» (رواه البخاري)؛ فكان من عاقبةِ حسنِ ظنِّها باللَّهِ ما كان، فنَبَع ماءٌ مباركٌ، وعُمِرَ البيت، وبقي ذكرُها خالداً، وصار إسماعيل نبيّاً، ومن ذرِّيَّته خاتم الأنبياء وإمام المرسلين.

ويعقوب عليه السلام فَقَدَ ابنينِ له، فصبر، وفوَّض أمرَه للَّه، وقال: ﴿إِنَّمَآ أَشْكُوا۟ بَثِّى وَحُزْنِىٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾، وبقي قلبُه ممتلئاً بحُسنِ الظَّنِّ باللَّه وأنَّه خير الحافظين، وقال: ﴿عَسَى ٱللَّهُ أَن يَأْتِيَنِى بِهِمْ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ

ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ﴾، وأمر عليه السلام أبناءه بذلك، وقال: ﴿يَٰبَنِيَّ ٱذْهَبُواْ فَتَحَسَّسُواْ مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَاْيْـَٔسُواْ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِنَّهُۥ لَا يَاْيْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾.

وبَنُو إسرائيلَ لَحِقَهُم من الأذى ما لا يطيقون، ومع عِظَم الكرب يبقى حسنُ الظَّنِّ باللَّه، فيه الأملُ والمخرج؛ فقال موسى عليه السلام لقومه: ﴿ٱسْتَعِينُواْ بِٱللَّهِ وَٱصْبِرُوٓاْ إِنَّ ٱلْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾، واشتد الخَطْبُ بموسى عليه السلام ومَنْ معه، فالبحرُ أمامَهم، وفرعونُ وجندُه من ورائهم، وحينها: ﴿قَالَ أَصْحَٰبُ مُوسَىٰٓ إِنَّا لَمُدْرَكُونَ﴾، فكان الجواب من النَّبيِّ الكليم شاهداً بعظيم ثقته باللَّهِ وحُسنِ ظنِّه بالرَّبِّ القدير: ﴿قَالَ كَلَّآ إِنَّ مَعِىَ رَبِّى سَيَهْدِينِ﴾؛ فأتى الوحي بما لا يخطر على بال: ﴿فَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْبَحْرَ فَٱنفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَٱلطَّوْدِ ٱلْعَظِيمِ ❁ وَأَزْلَفْنَا ثَمَّ ٱلْءَاخَرِينَ ❁ وَأَنجَيْنَا مُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ أَجْمَعِينَ ❁ ثُمَّ أَغْرَقْنَا ٱلْءَاخَرِينَ﴾.

وأعظمُ الخلقِ عُبوديَّةً للَّه وحُسنَ ظنٍّ به: نبيُّنا مُحَمَّدٌ ﷺ؛ آذاه قومُه، فبقيَ واثقاً بوعدِ اللَّهِ ونَصْرِه لدينه، قال له مَلَكُ الجبال: «**إِنْ شِئْتَ أَنْ أُطْبِقَ عَلَيْهِمُ الأَخْشَبَيْنِ**، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: **بَلْ أَرْجُو أَنْ يُخْرِجَ اللَّهُ مِنْ أَصْلَابِهِمْ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ لَا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئاً**» (متفق عليه)، وفي أشدِّ الضِّيقِ وأَحْلَكِهِ لا يفارق نبيُّنا ﷺ حسنَ الظَّنِّ بربِّه، أُخْرِجَ من مكَّةَ وفي الطَّريق أوى إلى غار، فلحقه الكُفَّار وإذا بهم حوله فيقول لصاحبه مثبِّتاً إياه: ﴿لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا﴾، قال أَبُو بَكْرٍ رضي الله عنه:

«قُلْتُ لِلنَّبِيِّ ﷺ وَأَنَا فِي الغَارِ: لَوْ أَنَّ أَحَدَهُمْ نَظَرَ إِلَى قَدَمَيْهِ لَأَبْصَرَنَا تَحْتَ قَدَمَيْهِ، فَقَالَ: **يَا أَبَا بَكْرٍ! مَا ظَنُّكَ بِاثْنَيْنِ، اللَّهُ ثَالِثُهُمَا**» (متفق عليه).

ومع ما لاقاه من أذًى وكرْبٍ وقتالٍ من كلِّ جانبٍ إلَّا أنه واثق ببلوغِ هذا الدِّين إلى الآفاق على مرِّ العصور، وكان يقول: «**لَيَبْلُغَنَّ هَذَا الأَمْرُ مَا بَلَغَ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ، وَلَا يَتْرُكُ اللَّهُ بَيْتَ مَدَرٍ وَلَا وَبَرٍ، إِلَّا أَدْخَلَهُ اللَّهُ هَذَا الدِّينَ، بِعِزِّ عَزِيزٍ أَوْ بِذُلِّ ذَلِيلٍ**» (رواه أحمد)، واخترط أعرابيٌّ السَّيفَ - أَيْ: سَلَّهُ - على النَّبيِّ ﷺ وهو نائمٌ، قال ﷺ: «**فَاسْتَيْقَظْتُ وَهُوَ فِي يَدِهِ صَلْتاً** - أَيْ: بَارِزاً بِهِ -، فَقَالَ: مَنْ يَمْنَعُكَ مِنِّي؟ **فَقُلْتُ: اللَّهُ** - ثَلَاثاً -؛ وَلَمْ يُعَاقِبْهُ وَجَلَسَ» (متفق عليه)، وعند أحمد: «فَسَقَطَ السَّيْفُ مِنْ يَدِهِ».

والصَّحابةُ أشدُّ الخَلق يقيناً بحُسنِ ظنِّهم باللَّه بعد الأنبياء، قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ﴾، جاء ابنُ الدَّغِنَّةِ إلى أبي بَكْرٍ رضي الله عنه لِيُسِرَّ في صلاتِه وقراءتِه أو يَردَّ إليه جواره - أَي: يَنْقُضَ عَهْدَ الدِّفاعِ عنه، ويُمَكِّنَ كفَّارَ قريشٍ منه -، فقال أَبُو بَكْرٍ رضي الله عنه: «فَإِنِّي أَرُدُّ إِلَيْكَ جِوَارَكَ، وَأَرْضَى بِجِوَارِ اللَّهِ عز وجل» (رواه البخاري)، وقال عمرُ رضي الله عنه: «أَمَرَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنْ نَتَصَدَّقَ، وَوَافَقَ ذَلِكَ مَالٌ عِنْدِي، فَقُلْتُ: اليَوْمَ أَسْبِقُ أَبَا بَكْرٍ إِنْ سَبَقْتُهُ يَوْماً، قَالَ: فَجِئْتُ بِنِصْفِ مَالِي، قَالَ: فَقَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: **مَا أَبْقَيْتَ لِأَهْلِكَ؟** قُلْتُ: مِثْلَهُ، وَأَتَاهُ

أَبُو بَكْرٍ بِكُلِّ مَا عِنْدَهُ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: **مَا أَبْقَيْتَ لِأَهْلِكَ؟** فَقَالَ: أَبْقَيْتُ لَهُمُ اللَّهَ وَرَسُولَهُ» (رواه أبو داود).

وخديجةُ سيِّدةُ نساءِ العالمين، جاءها النَّبيُّ ﷺ أوَّلَ بَدْءِ الوَحْي فقال: «**لَقَدْ خَشِيتُ عَلَى نَفْسِي**، قَالَتْ لَهُ خَدِيجَةُ رضي الله عنها: كَلَّا؛ أَبْشِرْ! فَوَاللَّهِ لَا يُخْزِيكَ اللَّهُ أَبَداً، وَاللَّهِ إِنَّكَ لَتَصِلُ الرَّحِمَ، وَتَصْدُقُ الحَدِيثَ، وَتَحْمِلُ الكَلَّ، وَتَكْسِبُ المَعْدُومَ، وَتَقْرِي الضَّيْفَ، وَتُعِينُ على نَوَائِبِ الحَقِّ» (متفق عليه).

وعلى هذا سار سلف الأُمَّة، قال سفيان رحمه الله: «مَا أُحِبُّ أَنَّ حِسَابِي - أَيْ: مُجَازَاتِي عَلَى الحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ - جُعِلَ إِلَى وَالِدَيَّ، رَبِّي خَيْرٌ لِي مِنْ وَالِدَيَّ»، وكان من دعاء سعيدِ بنِ جُبَيْرٍ رحمه الله: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ صِدْقَ التَّوَكُّلِ عَلَيْكَ، وَحُسْنَ الظَّنِّ بِكَ».

وفي الجِنِّ صالحون، ظنونهم باللَّه حسنة، يوقنون بقوة اللَّه، وسَعَة عِلْمه؛ فكان من قولهم: ﴿وَأَنَّا ظَنَنَّآ أَن لَّن نُّعْجِزَ ٱللَّهَ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَن نُّعْجِزَهُۥ هَرَبًا﴾.

وإنَّ من عباد اللَّه مَنْ لو أقسَم على اللَّهِ لَأَبَرَّه، ليس تألِّياً وإنَّما حُسْنُ ظنٍّ به تعالى، والمؤمنُ مِنْ شأنه حُسْنُ الظَّنِّ بربِّه في كلِّ حينٍ وعلى كلِّ حالٍ، وأَوْلَى ما يكون كذلك إذا دعاه وناجاه موقناً بقربه، وأنه يجيب مَنْ دعاه ولا يُخَيِّب مَنْ رجاه.

ومن أسباب قبول التَّوبة: حُسنُ ظنِّ صاحبها بربِّه، قال النَّبيُّ ﷺ

فيما يروي عن ربِّه: «**أَذْنَبَ عَبْدِي ذَنْباً، فَعَلِمَ أَنَّ لَهُ رَبّاً يَغْفِرُ الذَّنْبَ وَيَأْخُذُ بِالذَّنْبِ، اعْمَلْ مَا شِئْتَ؛ فَقَدْ غَفَرْتُ لَكَ**» (متفق عليه).

وفي الشَّدائد والمِحَن تَنْصَع الظُّنون الحسنة وتنكشف ظنون السُّوء، ففي أُحدٍ كان من شأن أهل الإيمان الثَّباتُ، وغيرُهم يظنون باللَّه غير الحق ظنَّ الجاهلية، وفي الأحزاب تعددت الظُّنون باللَّه؛ قال اللَّه عن طائفة: ﴿هُنَالِكَ ٱبْتُلِىَ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا۟ زِلْزَالًا شَدِيدًا * وَإِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَـٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ مَّا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ إِلَّا غُرُورًا﴾، وأمَّا الصَّحابة رضي الله عنهم فأيقنوا أنَّ المِحَنَ ابتلاء من اللَّه يعقبها النَّصر والفرج، قال سبحانه عنهم: ﴿وَلَمَّا رَءَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْأَحْزَابَ قَالُوا۟ هَـٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَصَدَقَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ ۚ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّآ إِيمَـٰنًا وَتَسْلِيمًا﴾.

والمَخْرجُ عند الضِّيق والكروب والهموم حُسنُ الظَّنِّ باللَّه؛ فالثَّلاثة الَّذين خُلِّفُوا لم يَكْشِف عنهم ما حلَّ بهم من الكرب إلَّا حسنُ ظنِّهم باللَّه، قال سبحانه: ﴿وَعَلَى ٱلثَّلَـٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُوا۟ حَتَّىٰٓ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ وَظَنُّوٓا۟ أَن لَّا مَلْجَأَ مِنَ ٱللَّهِ إِلَّآ إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾.

واللَّهُ قويٌّ قديرٌ، ونصرُه لعباده وأوليائه ليس دونَه غالبٌ، ومن اليقين الثِّقة بنصره، قال تعالى: ﴿إِن يَنصُرْكُمُ ٱللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ ۖ وَإِن يَخْذُلْكُمْ فَمَن ذَا ٱلَّذِى يَنصُرُكُم مِّنۢ بَعْدِهِۦ ۗ﴾.

وهو سبحانه رحيمٌ رحمن، مَنْ آمَنَ به وعَمِلَ الصَّالحات ورَجا نوالَ رحمةِ اللَّهِ نالها، قال النَّبيُّ ﷺ: «**لَمَّا قَضَى اللَّهُ الخَلْقَ: كَتَبَ فِي**

كِتَابِهِ، فَهُوَ عِنْدَهُ فَوْقَ العَرْشِ: إِنَّ رَحْمَتِي سَبَقَتْ غَضَبِي» (متفق عليه).

ومَنْ ضاق به عيشُه فحُسْنُ ظنِّه سَعةٌ وفَرَج، قال النَّبيُّ ﷺ: «مَنْ نَزَلَتْ بِهِ فَاقَةٌ فَأَنْزَلَهَا بِالنَّاسِ؛ لَمْ تُسَدَّ فَاقَتُهُ، وَمَنْ نَزَلَتْ بِهِ فَاقَةٌ فَأَنْزَلَهَا بِاللَّهِ؛ فَيُوشِكُ اللَّهُ لَهُ بِرِزْقٍ عَاجِلٍ أَوْ آجِلٍ» (رواه الترمذي)، قال الزُّبير بن العوَّام لابنه عبد اللَّه رضي الله عنهما: «يَا بُنَيَّ! إِنْ عَجَزْتَ عَنْهُ فِي شَيْءٍ - أَيْ: عَنْ سَدَادِ الدَّيْنِ - فَاسْتَعِنْ عَلَيْهِ مَوْلَايَ، قَالَ: فَوَاللَّهِ مَا دَرَيْتُ مَا أَرَادَ حَتَّى قُلْتُ: يَا أَبَةِ! مَنْ مَوْلَاكَ؟ قَالَ: اللَّهُ، قَالَ: فَوَاللَّهِ مَا وَقَعْتُ فِي كُرْبَةٍ مِنْ دَيْنِهِ، إِلَّا قُلْتُ: يَا مَوْلَى الزُّبَيْرِ! اقْضِ عَنْهُ دَيْنَهُ؛ فَيَقْضِيهِ» (رواه البخاري).

وهو سبحانه واسعُ المغفرة والعطاء، مَنْ أحسَنَ الظَّنَّ به في غِنَاه وكرمه ومغفرته أعطاه سُؤْلَهُ، ينزل سبحانه إلى السَّماء الدُّنيا في الثُّلث الآخر من كلِّ ليلةٍ فيقول: «مَنْ يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبَ لَهُ؟ مَنْ يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيَهُ؟ مَنْ يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ؟» (متفق عليه)، ويداه سبحانه مَلْأَى «لَا تَغِيضُهَا نَفَقَةٌ، سَحَّاءُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ».

واللَّهُ توَّاب يَفْرَح بتوبة العباد، ويبسط يدَه باللَّيل ليتوبَ مُسيءُ النَّهار، ويبسط يدَه بالنَّهار ليتوبَ مسيءُ اللَّيل، ومِنْ كمالِ صفاتِه لا يَرُدُّ سبحانه مَنْ أقبل عليه، وأَحوجُ ما يكون العبد إلى حُسْن الظَّنِّ باللَّه إذا دنا أجلُه وودَّع دنياه وأقبل على ربِّه، قال النَّبيُّ ﷺ: «لَا يَمُوتَنَّ أَحَدُكُمْ إِلَّا وَهُوَ يُحْسِنُ الظَّنَّ بِاللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ» (رواه مسلم).

في هذه العبادة امتثالُ أمر اللَّه، وتحقيقُ عبوديَّته، وللعبد من ربِّه

ما ظنَّ به، قال النَّبيُّ ﷺ: «**يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي، وَأَنَا مَعَهُ حِينَ يَذْكُرُنِي**» (متفق عليه)، قال ابن مسعود رضي الله عنه: «لَا يُحْسِنُ عَبْدٌ بِاللَّهِ الظَّنَّ؛ إِلَّا أَعْطَاهُ اللَّهُ ظَنَّهُ، ذَلِكَ بِأَنَّ الخَيْرَ فِي يَدِهِ سُبْحَانَهُ».

وإذا رُزِق العبدُ حُسنُ الظَّنِّ بربِّه؛ فقد فتح اللَّه عليه بابَ خيرٍ في الدِّين عظيم، قال ابن مسعودٍ رضي الله عنه: «وَالَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ! مَا أُعْطِيَ عَبْدٌ مُؤْمِنٌ شَيْئاً خَيْراً مِنْ حُسْنِ الظَّنِّ بِاللَّهِ».

وأعمالُ النَّاسِ على قدر ظنونِهِم بربهم، فأمَّا المؤمن فأحسَنَ الظَّنَّ باللَّه فأحسَنَ العملَ، وأمَّا الكافر فأساء باللَّه الظَّنَّ فأساء العمل، في هذه العبادة حُسْن الإسلام وكمال الإيمان وهي طريق الجنَّة لصاحبها، عبادةٌ قلبيَّةٌ تُورثُ التَّوكُّل على اللَّه والثِّقة به، قال ابن القيِّم رحمه الله: «عَلَى قَدْرِ حُسْنِ ظَنِّكَ بِرَبِّكَ وَرَجَائِكَ لَهُ يَكُونُ تَوَكُّلُكَ عَلَيْهِ، وَلِذَلِكَ فَسَّرَ بَعْضُهُمُ التَّوَكُّلَ بِحُسْنِ الظَّنِّ بِاللَّهِ، وَالتَّحْقِيقُ: أَنَّ حُسْنَ الظَّنِّ بِهِ يَدْعُوهُ إِلَى التَّوَكُّلِ عَلَيْهِ؛ إِذْ لَا يُتَصَوَّرُ التَّوَكُّلُ عَلَى مَنْ سَاءَ ظَنُّكَ بِهِ، وَلَا التَّوَكُّلُ عَلَى مَنْ لَا تَرْجُوهُ».

ومن آثار هذه العبادة: طمأنينةُ القلب، والإقبالُ على اللَّه والتَّوبةُ إليه، ولا أشرحَ للصَّدر ولا أوسعَ له بعد الإيمان من الثِّقة باللَّه ورجائه، ففيه ما يدعو أهله للتَّفاؤل، قال النَّبيُّ ﷺ: «**لَا عَدْوَى، وَلَا طِيَرَةَ، وَيُعْجِبُنِي الفَأْلُ**» (متفق عليه)، قال الحَلِيمِيُّ رحمه الله: «التَّشَاؤُمُ: سُوءُ الظَّنِّ بِاللَّهِ، وَالتَّفَاؤُلُ: حُسْنُ الظَّنِّ بِاللَّهِ».

هو عونٌ لصاحبه على الكرم والشَّجاعة، ويورثُه القوَّة، قال

أبو عبد اللَّه السَّاجِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «مَنْ وَثِقَ بِاللَّهِ؛ فَقَدْ أَحْرَزَ قُوتَهُ، وَهُوَ خَيْرُ الزَّادِ وَنِعْمَ العُدَّةُ»، قيل لِسلمةَ بنِ دينارٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: «يَا أَبَا حَازِمٍ! مَا مَالُكَ؟ قَالَ: الثِّقَةُ بِاللَّهِ، وَاليَأْسُ مِمَّا فِي أَيْدِي النَّاسِ».

ومَنْ أَحسنَ الظَّنَّ بربِّه سَخَتْ نفسُه وجادت بماله مُوقِناً بقول اللَّه: ﴿وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُۥ﴾، قال سليمانُ الدَّارانيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «مَنْ وَثِقَ بِاللَّهِ فِي رِزْقِهِ زَادَ فِي حُسْنِ خُلُقِهِ، وَأَعْقَبَهُ الحِلْمُ، وَسَخَتْ نَفْسُهُ فِي نَفَقَتِهِ، وَقَلَّتْ وَسَاوِسُهُ فِي صَلَاتِهِ».

وهو حَادٍ على الرَّجاء فيما عند اللَّه، والثِّقةِ بوعده، وفعلِ الخير طمعاً بفضله على ما جاء في قوله: ﴿وَمَا يَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَلَن يُكْفَرُوهُ﴾.

واللَّهُ يُعَامِلُ عبادَه على قَدْر ظنونهم به، والجزاءُ من جنس العمل؛ فمَنْ ظَنَّ خيراً فله ذلك، ومَنْ ظَنَّ سواه فقد خَسِرَ، قال النَّبيُّ ﷺ: «**قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي؛ فَلْيَظُنَّ بِي مَا شَاءَ، إِنْ ظَنَّ خَيْراً فَلَهُ، وَإِنْ ظَنَّ شَرّاً فَلَهُ**» (رواه أحمد)، وإذا كان العبدُ حَسَنَ الظَّنِّ باللَّه فإنَّ اللَّه لا يُخيبُه البَتَّة، ويوم القيامة يقول مَنْ أَحْسَنَ الظَّنَّ بربِّه: ﴿هَآؤُمُ ٱقْرَءُوا۟ كِتَٰبِيَهْ﴾.

وبعدُ، أيُّها المسلمون:

فاللَّهُ كريمٌ كبيرٌ قويٌّ عظيم، إذا أراد شيئاً قال له: كن فيكون، وَعَدَ بحفظ كتابه، ونَصْرِ دينِه، وجعل العاقبةَ للمتَّقين، يرزقُ من يشاء بغير حساب، ويُفرِّجُ كروبَ مَنْ لجأ إليه.

ومَنِ ازداد علمُه باللَّه؛ زاد يقينُه به، ومَنْ أساء الظَّنَّ به؛ فهو لجهله بكمال أسمائه وصفاته، وذلك من صفات أهل الجاهليَّة، قال سبحانه: ﴿يَظُنُّونَ بِٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ ظَنَّ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ﴾.

ومِنْ ثمار الإيمان بأسماءِ اللَّهِ وصفاتِه: حُسنُ الظَّنِّ به، والاعتمادُ عليه، وتفويضُ الأمور إليه.

أعوذ باللَّه من الشَّيطان الرَّجيم

﴿فَمَا ظَنُّكُم بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾.

بارك اللَّه لي ولكم في القرآن العظيم ...

الخطبة الثَّانية

الحمد للَّهِ على إحسانه، والشُّكرُ له على توفيقِه وامتنانِه، وأشهد أن لا إله إلَّا اللَّهُ وحده لا شريك له تعظيماً لشأنه، وأشهد أنَّ نبيَّنا مُحمَّداً عبدُه ورسولُه، صلَّى اللَّهُ عليه وعلى آله وأصحابه وسلَّم تسليماً مزيداً.

أيُّها المسلمون:

حقيقةُ الظَّنِّ الحَسَن باللَّه تَظْهر في حُسْنِ العمل، وإنما يكون نافعاً مع الإحسان، وأَحْسَنُ النَّاس ظنّاً بربِّهم أطوعُهُم له، وكلّما حَسُنَ ظنُّ العبدِ بربِّه حَسُنَ ولا بد عملُه، ومَنْ ساء منه الفعلُ ساءت ظنونُه، ومتى قارن حُسنُ الظَّنِّ فعلَ المعاصي كان أَمْناً مِن مكر اللَّه، وحُسْنُ الظَّنِّ إنْ حَمَل صاحبَه على الطَّاعة فهو النَّافع، وإنْ نَقَصَ ذلك في القلبِ ظَهَرَتْ على جوارحِه المعاصي.

ثمَّ اعلموا أنَّ اللَّه أمركم بالصَّلاة والسَّلام على نبيِّه ...

الخِيرَةُ فِيمَا قَضَاهُ اللَّهُ(١)

إنَّ الحمدَ للَّه، نَحمدُه ونَستعينُه ونَستغفرُه، ونَعوذُ باللَّهِ من شرورِ أنفسِنا ومن سيِّئاتِ أعمالِنا، مَنْ يَهده اللَّهُ فلا مُضلَّ له، ومَنْ يُضْلِلْ فلا هَاديَ له، وأشهد أن لا إله إلَّا اللَّه وحدَه لا شريك له، وأشهد أنَّ مُحَمَّداً عبدُه ورسولُه، صلَّى اللَّه عليه وعلى آله وأصحابه وسلَّم تسليماً كثيراً.

أمَّا بعدُ:

فاتَّقوا اللَّه - عبادَ اللَّه - حقَّ التَّقوى؛ فالتَّقوى أجملُ ما أظهرتُم، وخيرُ ما أكننتُم.

أيُّها المسلمون:

سمَّى اللَّهُ نفسَه بأسماءٍ حُسنى، واتَّصفَ بأكملِ الصِّفات، خَلقَ الخلقَ وأتْقنَه، وفَطر الكونَ فأبدعَه، وَمَلَكَ فأحكمَ مُلْكَه، لا يَتحرَّكُ متحرِّكٌ ولا يَسكنُ ساكنٌ إلَّا بعلمِه وإرادتِه، يَحكمُ ولا معقِّبَ لحكمِه، ويَقضي ولا رادَّ لقضائه، قويٌّ؛ لا يُمَانَعُ في فعله، عظيمٌ كبيرٌ؛ لا يُسألُ عمَّا يَفعلُ والخلقُ يُسْألون، وهو سبحانه مع ذلك رحيمٌ؛ يَتقلَّبُ الخلقُ في آثار رحمته، أرحمُ من الوالدة بولدها، شكورٌ؛ من ترك شيئاً

(١) أُلقِيَتْ يوم الجمعة، الثَّاني عشَر من شهر ربيع الآخر، سنة تسع وعشرين وأربع مئة وألف من الهجرة، في المسجد النَّبويِّ.

لأجله أعطاه المزيد، لطيفٌ بعباده؛ يَسوقُ إليهمُ النِّعمَ وهم لا يشعرون، رزَّاقٌ فتَّاحٌ؛ فَتَح أبوابَ الرِّزق من السَّماء والأرضِ على عباده: ﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ قُلِ ٱللَّهُ﴾، كريمٌ؛ يُعطي ويُجزلُ في العطاء، ليس بينه وبين خلقِه حجاب.

والعبدُ ضعيفٌ منعوتٌ بالفقر، موصوفٌ بالعجلة، محجوبٌ بالجهل، لا يَعلمُ ما يكون غداً، ولا أين يموت؟: ﴿وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾، وهو سبحانه رحيمٌ رؤوفٌ بعباده، أمَرَهم أن يفوِّضوا أمورَهم إليه، ويتوكَّلوا عليه، وأن يرضَوا بما قسمه لهم.

والإيمانُ بالقضاء والقدر: أحدُ أركانِ الإيمان، وكان النَّبيُّ ﷺ يُعَلِّمُ صحابتَه أسبابَ الإيمان والرِّضا بما اختاره اللَّه لهم، كما يُعَلِّمُهُمُ السُّورةَ من القرآن؛ لاسْتِتَارِ الغيبِ وخَفَاءِ الحكمةِ عنهم، قال جابرٌ رضي الله عنه: «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُعَلِّمُنَا الاِسْتِخَارَةَ فِي الأُمُورِ كُلِّهَا، كَمَا يُعَلِّمُنَا السُّورَةَ مِنَ القُرْآنِ» (رواه البخاري)، وما يَقْضِي به اللَّهُ للعبد، خيرٌ ممَّا يَطلبُه العبدُ لنفسِه؛ فإنَّه أرحمُ به من نفسِه، وما يَدَّخرُه للعبد إذا منعَه ما يُحِبُّ، خيرٌ له ولو كانت نفسُه مُتشوِّفةً إلى ضدِّه؛ قال النَّبيُّ ﷺ: «عَجَباً لِأَمْرِ المُؤْمِنِ، إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ خَيْرٌ، وَلَيْسَ ذَاكَ لِأَحَدٍ إِلَّا لِلْمُؤْمِنِ؛ إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَّاءُ شَكَرَ فَكَانَ خَيْراً لَهُ، وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَّاءُ صَبَرَ فَكَانَ خَيْراً لَهُ» (رواه مسلم).

وما يُصابُ به المسلمُ مِنْ مَصائبَ وأحزان، إِنَّما يَبتليهِ اللَّهُ بها

ليُهذِّبَه، ويَمْتَحِنُهُ بها ليُعطيَه، ويَمنعُهُ لِيرفعَه، والمكروهُ قد يأتي بالمحبوب، والمرغوبُ قد يأتي بالمكروه، قال سبحانه: ﴿وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ﴾، كَمْ قضى اللَّهُ لعبده بسببِ الابتلاءِ من الدَّرجات والهباتِ وهو لا يعلم؟! إبراهيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ وُهِبَ له إسماعيلُ بعد كِبَرٍ وأحبَّهُ؛ فأمره اللَّهُ بذبحِه ابتلاءً له؛ فامتثلَ الخليلُ لأمر اللَّهِ بالذَّبح، فكانت الخيرةُ له؛ فنجَّى اللَّهُ ابنَه من الذَّبح، وبنى إسماعيلُ معه الكعبة، ووهبَ له مع إسماعيلَ إسحاق، ومن وراءِ إسحاقَ يعقوب، ولم يأتِ نبيٌّ إلَّا من سُلالةِ الخليلِ إبراهيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ.

وهاجرُ أُمُّ إسماعيلَ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ تركَها زوجُها إبراهيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ مع رضيعِها بِأمرِ اللَّهِ في مكَّةَ، بوادٍ قَفْرٍ، لا حسيسَ فيه ولا أنيس، وأوشَكَتْ على الهلاك، لا ماءَ ولا مأوى، فَجَرَتْ بين جبلين تنظر: هل ترى أحداً فلم ترَ أحداً، فكانت الخِيرَةُ فيما اختاره اللَّه، نزل جبريلُ فضربَ بجناحِه الأرض؛ فخرجت زمزمُ عيناً معيناً، يَشربُ منها الحُجَّاجُ والمعتمرون وغيرُهم، ببركةِ توكُّلِ هاجرَ على اللَّه، ويَسْعون كما سعت بين الصَّفا والمَرْوَة.

ويوسفُ عَلَيْهِ السَّلَامُ عاشَ في كَنَفِ أبٍ رحيم مُشفِقٍ، يخافُ عليه أن يَخرُجَ للَّعِب مع إخوته: ﴿أَرۡسِلۡهُ مَعَنَا غَدٗا يَرۡتَعۡ وَيَلۡعَبۡ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾، ثم يُنتزعُ من وَسَطِ تلك الرِّعايةِ والعطف، ويَفقِدُ حنانَ الأُبوَّةِ وأُنسَ الأُخوَّةِ، ويُلقى في الجُبِّ فريداً، منحه اللَّه نسباً وجمالاً وشباباً، فَرَاوَدَتْهُ امرأةٌ بعد الجُبِّ عن نفسه، فقال مع توفر الدَّواعي:

﴿مَعَاذَ ٱللَّهِ إِنَّهُۥ رَبِّيٓ أَحۡسَنَ مَثۡوَايَۖ﴾، فأعقبَهُ اللَّهُ ثناءً، وجعله مثالاً لعفافِ الشَّبابِ والخشيةِ من اللَّه في الخفاء، ومنحه الرِّسالةَ بعد الجُبِّ، وجَعَلَ خزائنَ مُلْكِه بيده، وأُنزِلتْ سورةٌ باسمه تُتْلَى إلى يومِ القيامة.

وأيوبُ عَلَيْهِ السَّلَامُ يُبتلَى بالمرض، ويَتوارى عنه الأصحاب، ومات له - وهو على تلك الحال - أولاد، ولكنَّ اللَّه برحمته مدَّخِرٌ له الشِّفاءَ والنَّعْمَاء؛ فعوفِيَ من الابتلاء، ورزقه اللَّه من الأولاد مِثْلَهم من العدد، وجعله اللَّه مَثَلاً للصَّابرين: ﴿وَأَيُّوبَ إِذۡ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ۞ فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ فَكَشَفۡنَا مَا بِهِۦ مِن ضُرّٖۖ وَءَاتَيۡنَٰهُ أَهۡلَهُۥ وَمِثۡلَهُم مَّعَهُمۡ رَحۡمَةٗ مِّنۡ عِندِنَا وَذِكۡرَىٰ لِلۡعَٰبِدِينَ﴾.

ويونسُ عَلَيْهِ السَّلَامُ يُلقى من السَّفينة في لُجَجِ البحر، فَيَلْتَقِمُه حوتٌ، ولكنَّ اللَّه أنجاه من الهلاك ورعاه بكلاءته؛ فألقاه الحوتُ على ساحلِ البحر، بعد أن مَكثَ في بطنه أيَّاماً، وأنبتَ اللَّهُ عليه شجرةً من يَقْطِين، وأرسله إلى مئة ألف أو يزيدون، فآمنوا كلُّهم فمتَّعهم اللَّه إلى حين؛ فكان ابتلاؤه خيراً له ولقومه وللمكروبين مِنْ بعده، فما دعا أحد بدعوته إلَّا نجَّاه اللَّه من كربه، قال سبحانه: ﴿وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبٗا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقۡدِرَ عَلَيۡهِ فَنَادَىٰ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبۡحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ۞ فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ وَنَجَّيۡنَٰهُ مِنَ ٱلۡغَمِّۚ وَكَذَٰلِكَ نُـۨجِي ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾، قال ﷺ: «**دَعْوَةُ ذِي النُّونِ إِذْ دَعَا وَهُوَ فِي بَطْنِ الحُوتِ: ﴿لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبۡحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾؛ فَإِنَّهُ لَمْ يَدْعُ بِهَا رَجُلٌ مُسْلِمٌ فِي شَيْءٍ قَطُّ إِلَّا اسْتَجَابَ اللَّهُ لَهُ**» (رواه الترمذي).

وزكريَّا عليه السلام حُرِمَ الذُّرِّيَّةَ دهراً طويلاً، ووَهَنَ عظمُه واشتعلَ رأسُه شيباً، والتجأ إلى اللَّه بالدُّعاء؛ فكان عاقبةُ هذا التَّأخير، أَنْ نادْته الملائكةُ أنَّ اللَّهَ يبشِّرُك بغلام، والذي سمَّى هذا الغلام هو اللَّه، وسمَّاه باسم لم يُسمَّ به مخلوقٌ من قبل: ﴿يَٰزَكَرِيَّآ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ ٱسْمُهُۥ يَحْيَىٰ لَمْ نَجْعَل لَّهُۥ مِن قَبْلُ سَمِيًّا﴾، وقَبْلَ حَمْلِ أمِّه به، كشف اللَّه لوالِدِه ما سيكونُ من حال ابنه في الحياة؛ لتطمئنَّ نفسه بهدايته: ﴿مُصَدِّقًۢا بِكَلِمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾.

وأمُّ موسى يأمرُها اللَّه بإلقاء ابنِها موسى في اليمِّ وهو رضيع، وفي ظاهرِ ذلك الهلاك، لكنَّ اللَّه حفِظَه، وحَرَّمَ عليه المراضع، وَرَدَّهُ إلى أُمِّه تُرْضِعُه وتأخذُ ثمناً على رضاعتها له.

ثمَّ يعيشُ موسى عليه السلام في مساكنِ فرعونَ في نعيمٍ ورخاءٍ، ويُبْتَلى ببلاءٍ آخر، فإذا ملأٌ يَأْتَمِرُونَ به ليقتلوه، فَيخرجُ من مِصرَ خائفاً يَترقَّبُ ويَسيرُ في صحراءَ جرداء، ويَصلُ إلى مَدْينَ - بلدٍ لا يعرفه -، فيَرفعُ بصره إلى السَّماء ويقول: ﴿رَبِّ إِنِّي لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾؛ فمنحَه اللَّهُ - بعد هذا العناءِ والابتلاءِ - الرِّسالةَ والنُّبوَّةَ، وكلَّمَهُ بلا واسطة، واصطفاه من أُولي العزم.

وأُمُّ مريمَ تتمنَّى أن تُرزقَ بمولودٍ ذكر، فرزقها اللَّهُ أنثى؛ فكانت العاقبة خيراً كثيراً، فتَلدُ تلك الأنثى نبيّاً رسولاً.

ومريمُ عليها السلام حفظت فرجَها؛ فنفخ اللَّهُ فيها من روحه، فحملَتْ بأمر اللَّه من غير زوج، ومن هَوْلِ مصابها قالت: ﴿يَٰلَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَٰذَا

﴿وَكُنتُ نَسۡيٗا مَّنسِيّٗا﴾، ولكنَّ اللَّهَ حكيمٌ عليمٌ جعل هذا الحملَ آيةً للنَّاس، تَحْمِلُ به من غير زوج، ويُولَدُ ذلك الحملُ ويكون نبيّاً، ويُخلِّد اللَّه ذكرها وولدها في القرآن: ﴿وَجَعَلۡنَٰهَا وَٱبۡنَهَآ ءَايَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾.

ونبيُّنا مُحمَّدٌ ﷺ نَشأَ يتيمَ الأبوين، ولا إخوةَ له يُرافقُهم؛ فكان اللَّهُ هو الذي آواه: ﴿أَلَمۡ يَجِدۡكَ يَتِيمٗا فَـَٔاوَىٰ﴾، وعُرِج به إلى السَّماء ويُرافقُه جبريل، وأعدَّ اللَّه له خيرَ نُزُلٍ في الجنَّة وأعلاه، وقال له: ﴿وَلَلۡأٓخِرَةُ خَيۡرٞ لَّكَ مِنَ ٱلۡأُولَىٰ﴾.

والصَّحابةُ رضي الله عنهم هاجروا من مكَّةَ إلى المدينة، تركوا وطنَهم وأهلَهم إلى أرضٍ أخرى وقومٍ آخرين؛ فجعلَهمُ اللَّهُ حملةَ الدِّين، وجعلهم من أهل الجنَّة: ﴿رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُۚ وَأَعَدَّ لَهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي تَحۡتَهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۚ﴾.

وفي السَّنَةِ السَّادسة مِنَ الهجرةِ قَدِم النَّبيُّ ﷺ مع صحابتِه إلى مكَّة في الحُديبية، وعددهم ألفٌ وأربعُ مئة، فصَدَّهُمُ المشركون عن دخولِها، واصطَلَحوا على أن يأتوها العامَ المقبِل، فَتَأَلَّمَتْ قلوبُ الصَّحابة، وحَزِنَتْ نفوسُهم، إذ صُدُّوا عن البيتِ بعد قربِهم منه، وأُمِروا بالرُّجوع عنه وقد قدموا إليه، فاستجابوا لأمر رسول اللَّه ﷺ بالرُّجوع عن الدُّخول هذا العام؛ فعادوا إليه العام المقبِل، وعوَّضَهمُ اللَّه عمرةً عن عمرتهم التي تحلَّلُوا منها وقوة وعزّاً، وصاروا عشرةَ آلاف، ودخلوا مكَّةَ من غير قتالٍ عامَ الفتح، ودخلَ النَّاس في دين اللَّه

أفواجاً، وكسَّرَ النَّبيُّ ﷺ الأصنامَ التي حول الكعبةِ وهو يتلو: ﴿وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُ﴾، وانتشر الدِّينُ في الآفاق.

ومَنْ نَشأَ على طاعة اللَّه في شبابه، ومنع نفسه من المُحرَّمات واتِّباع الهوى؛ أظلَّه اللَّه تحت ظلِّ عرشه يوم لا ظلَّ إلَّا ظلُّه.

ومَنْ دعتُه نفسُه إلى امرأةٍ مُحرَّمةٍ عليه، فتركَها مخافةَ اللَّه؛ حشَرَهُ اللَّهُ تحت ظلِّ عرشه مع خير عباد اللَّه، قال قتادة رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «لَا يَقْدِرُ رَجُلٌ عَلَى حَرَامٍ، ثُمَّ يَدَعُهُ، لَيْسَ بِهِ إِلَّا مَخَافَةَ اللَّهِ؛ إِلَّا أَبْدَلَهُ فِي عَاجِلِ الدُّنْيَا قَبْلَ الآخِرَةِ مَا هُوَ خَيْرٌ لَهُ مِنْ ذَلِكَ».

ومَنْ فقد بَصرَه فَصَبرَ؛ عوَّضه اللَّه في الآخرة بما لا عينٌ رأت؛ قال عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: «**قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: إِذَا ابْتَلَيْتُ عَبْدِي بِحَبِيبَتَيْهِ فَصَبَرَ؛ عَوَّضْتُهُ مِنْهُمَا الجَنَّةَ**» (رواه أحمد).

فمَنْ أيقنَ بحُسْنِ اختيارِ اللَّهِ لعبدِه؛ هَانَتْ عليه المصائب، وسهُلت عليه المصاعب، وادَّخر أَجْرَ ما ابتُلي به، ثقةً بلطف اللَّه وكرمه وحُسنِ اختياره.

أعوذ باللَّه من الشَّيطان الرَّجيم

﴿وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾.

بارك اللَّه لي ولكم في القرآن العظيم ...

الخطبة الثَّانية

الحمد للَّه على إحسانه، والشُّكر له على توفيقِه وامتنانِه، وأشهد أن لا إله إلَّا اللَّه وحدَه لا شريك له تعظيماً لشأنه، وأشهد أنَّ نبيَّنا مُحمَّداً عبدُه ورسولُه، صلَّى اللَّه عليه وعلى آله وأصحابه وسلَّم تسليماً كثيراً.

أيُّها المسلمون:

يكتُبُ اللَّه لبعضِ عبادِه درجاتٍ عاليةً، تَقْصُرُ عنها أعمالُهم، فيبتليهِمُ اللَّهُ بأنواعٍ من البلاء؛ لينالوا أجْراً يبلغُ بهم تلك الدَّرجاتِ والمنازلَ العالية، ومَنْ صبرَ على ما أصابَه وسلَّم أمره إلى اللَّه؛ رزقَه اللَّهُ الرِّضا واليقين، وجعل عاقبةَ أمرِه حميدة، وإذا قَوِيتِ الرَّغبةُ إلى ما حرَّم اللَّه، وتَاقَتِ النَّفسُ إلى فِعْلِه، فامتنعَ العبدُ عنه؛ عَظُمَ الأجرُ في تَرْكِه، وضُوعِفَتِ المثوبةُ في مجاهدةِ النَّفس على الخلاصِ منه، وعُوِّضَ خيراً منه.

ثمَّ اعلموا أنَّ اللَّه أمركم بالصَّلاة والسَّلام على نبيِّه ...

الصَّبْرُ عَلَى المَصَائِبِ(١)

إنَّ الحمدَ للَّه، نَحمدُه ونَستعينُه ونَستغفرُه، ونَعوذُ باللَّهِ من شرورِ أنفسِنا ومن سيِّئاتِ أعمالِنا، مَنْ يَهده اللَّهُ فلا مُضلَّ له، ومَنْ يُضْلِلْ فلا هَاديَ له، وأشهد أن لا إله إلَّا اللَّه وحدَه لا شريك له، وأشهد أنَّ مُحَمَّداً عبدُه ورسولُه، صلَّى اللَّه عليه وعلى آله وأصحابه وسلَّم تسليماً كثيراً.

أمَّا بعدُ:

فاتَّقوا اللَّه - عبادَ اللَّه - حقَّ التَّقوى؛ ففي التَّقوى زيادة النِّعم، ودفع النِّقم.

أيُّها المسلمون:

لقد قَدَّرَ اللَّهُ مقاديرَ الخلائقِ وآجالَهم، ونَسخَ آثارَهم وأعمالَهم، وقَسَم بينهم معايشَهم وأموالَهم، وخَلَق الموتَ والحياةَ لِيَبْلُوَهم أيُّهم أحسنُ عملاً، والإيمانُ بقضاءِ اللَّهِ وقدرِه ركنٌ من أركان الإيمان، وما في الأرضِ من حركةٍ أو سكونٍ إلَّا بمشيئةِ اللَّه وإرادتِه، وما في الكونِ كائنٌ إلَّا بتقديرِ اللَّهِ وإيجادِه، والدُّنيا طافحةٌ بالأنكادِ والأكدار، مطبوعةٌ على المشاقِّ والأهوال، والعوارضُ والمحنُ فيها هي كالحرِّ والبرد لا

(١) أُلقِيَتْ يوم الجمعة، الخامس من شهر محرَّم، سنة اثنتين وعشرين وأربع مئة وألف من الهجرة، في المسجد النَّبويِّ.

بدَّ للعبد منها: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّـٰبِرِينَ﴾.

والقواطعُ محنٌ يَتبيَّنُ بها الصَّادقُ من الكاذب: ﴿أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ﴾، والنَّفسُ لا تزكو إلَّا بالتَّمحيص، والبلايا تُظهِر الرِّجال، يقول ابن الجوزيِّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «مَنْ أَرَادَ أَنْ تَدُومَ لَهُ السَّلَامَةُ وَالعَافِيَةُ مِنْ غَيْرِ بَلَاءٍ؛ فَمَا عَرَفَ التَّكْلِيفَ وَلَا أَدْرَكَ التَّسْلِيمَ»، ولا بُدَّ مِنْ حصولِ الأَلَمِ لكلِّ نَفْسٍ، سواءٌ آمَنَتْ أَمْ كَفَرَتْ، والحياةُ مَبْنِيَّةٌ على المَشاقِّ وركوبِ الأخطار، ولا يَطْمعُ أحدٌ أَنْ يَخْلُصَ من المِحْنَةِ والأَلَم.

والمرءُ يتقلَّبُ في زمانه في تحولٍ من النِّعم، واستقبالٍ للمِحَن، آدم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ سجدت له الملائكة، ثم بعد بُرهة يُخْرَج من الجَنَّة، وما الابتلاء إلَّا عكسُ المقاصد وخلاف الأماني، والكلُّ حتماً يَتجرَّعُ مرارتَه، ولكن ما بين مُقِلٍّ ومُستكثِرٍ، يُبتلى المؤمنُ؛ ليُهذَّبَ لا ليعذَّب، فتنٌ في السَّرَّاء، ومحنٌ في الضَّرَّاء: ﴿وَبَلَوْنَـٰهُم بِٱلْحَسَنَـٰتِ وَٱلسَّيِّـَٔاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾، والمكروهُ قد يأتي بالمحبوب، والمرغوبُ قد يأتي بالمكروه، فلا تأمنْ أن تُوافيَك المضرَّةُ من جانب المَسَرَّة، ولا تيأسْ أنْ تأتيَك المَسرَّة من جانب المضرَّة؛ قال تعالى: ﴿وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُواْ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّواْ شَيْـًٔا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾.

فوطِّنْ نفسَك على المصائبِ قبل وقوعها؛ لِيَهُنْ عليك وقْعُها، ولا

تَجْزعْ بالمصاب؛ فلِلْبَلايا أَمَدٌ مَحدودٌ عند اللَّه، ولا تَسخطْ بالمقال، فرُبَّ كلمةٍ جَرَى بها اللِّسانُ هَلَكَ بها الإنسان.

والمؤمنُ الحازمُ يَثْبُتُ للعظائم، ولا يَتغيَّرُ فؤادُه، ولا يَنْطِقُ بالشَّكْوى لسانُه، وخَفِّفِ المصابَ على نفسِك بوعد الأجرِ وتسهيلِ الأمر؛ لِتذهبَ المحنُ بلا شكوى، وما زال العقلاءُ يُظهرون التَّجَلُّدَ عند المُصاب؛ لئلا يتحمَّلوا مع النَّوائب شماتةَ الأعداء، والمصيبةُ إن بدَتْ لعدوٍّ سُرَّ واستبشرَ بها، وكِتمانُ المصائبِ والأوجاعِ من شِيَمِ النُّبلاء، فصابرْ هَجيْرَ البلاء فما أسرعَ زوالَه، وغايةُ الأمرِ صبرُ أيامٍ قلائل، وما هلك الهالكون إلَّا من نفادِ الجَلَد، والصَّابرون مجزيُّون بخيرِ الثَّواب: ﴿وَلَنَجْزِيَنَّ ٱلَّذِينَ صَبَرُوٓاْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾، وأجورُهم مضاعفة: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُم مَّرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُواْ﴾، بل وبغير حساب، واللَّه معهم، والنَّصرُ والفرجُ معلَّقٌ بِصبرِهم.

وما منعك ربُّك - أيُّها المبتلَى - إلَّا لتُعطَى، ولا ابتلاك إلَّا لتُعافَى، ولا امتحنك إلَّا لتُصفَّى، يَبتلي بالنِّعم ويُنعِم بالبلاء، فلا تُضَيِّعْ زمانَك بهمِّك بما ضُمِن لك من الرِّزق، فما دام الأجلُ باقياً كان الرِّزق آتياً؛ قال تعالى: ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا﴾، وإذا أَغلَقَ عليك بحكمته طريقاً من طُرُقِه؛ فتح لك برحمته طريقاً أنفعَ لك منه.

بالابتلاء يُرفعُ شأنُ الأخيار، ويَعظُم أجرُ الأبرار؛ يقول سعدُ بنُ أبي وقَّاصٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! أَيُّ النَّاسِ أَشَدُّ بَلَاءً؟

قَالَ: **الأَنْبِيَاءُ، ثُمَّ الصَّالِحُونَ، ثُمَّ الأَمْثَلُ فَالأَمْثَلُ مِنَ النَّاسِ؛ يُبْتَلَى الرَّجُلُ عَلَى حَسَبِ دِينِهِ، فَإِنْ كَانَ فِي دِينِهِ صَلَابَةٌ زِيدَ فِي بَلَائِهِ، وَإِنْ كَانَ فِي دِينِهِ رِقَّةٌ خُفِّفَ عَنْهُ، وَمَا يَزَالُ البَلَاءُ بِالعَبْدِ حَتَّى يَمْشِيَ عَلَى ظَهْرِ الأَرْضِ وَلَيْسَ عَلَيْهِ خَطِيئَةٌ**» (رواه أحمد).

وطريقُ الابتلاء مَعْبَرٌ شاقّ، تَعِب فيه آدم، ورُمِي في النَّار الخليلُ، وأُضْجِع للذّبح إسماعيلُ، وأُلْقِي في بطن الحوت يونسُ، وقاسى الضُّرَّ أيوبُ، وبِيع بثمنٍ بخسٍ يوسف، وأُلْقِي في الجُبِّ عُدواناً، وفي السِّجن ظلماً، وعالجَ أنواعَ الأذى نبيُّنا مُحمَّدٌ ﷺ.

وأنت على سنَّةِ الابتلاء سائرٌ، والدُّنيا لم تَصْفُ لأحدٍ ولو نال منها ما عساهُ أن ينال، يقول النَّبيُّ ﷺ: «**مَنْ يُرِدِ اللَّهُ بِهِ خَيْراً يُصِبْ مِنْهُ**» (رواه البخاري)، قال بعضُ أهلِ العلم: «مَنْ خَلَقَهُ اللَّهُ لِلْجَنَّةِ لَمْ تَزَلْ تَأْتِهِ المَكَارِهُ».

والمصيبةُ حقّاً إنَّما هي المصيبةُ في الدِّين، وما سواها من المصائب فهي عافية، فيها رفْعُ الدَّرجاتِ وحَطُّ السَّيِّئات، وكلُّ نعمةٍ لا تُقَرِّبُ من اللَّه فهي بليَّة، والمُصابُ مَنْ حُرِمَ الثَّوابَ، فلا تأسَ على ما فاتَك من الدُّنيا، فنوازلُها أحداث، وأحاديثُها غموم، وطوارقُها هموم، النَّاس معذبون فيها على قدر هَمِّهم بها، الفرحُ بها هو عينُ المحزون عليه، آلامُها متولِّدة من لذاتها، وأحزانُها من أفراحها، يقول أبو الدَّرداء رضي الله عنه: «مِنْ هَوَانِ الدُّنْيَا عَلَى اللَّهِ أَنَّهُ لَا يُعْصَى إِلَّا فِيهَا، وَلَا يُنَالُ مَا عِنْدَهُ إِلَّا بِتَرْكِهَا».

فتشاغلْ بما هو أنفعُ لك من حصولِ ما فاتَك، مِن رَفْعِ خَلَلٍ، أو اعتذارٍ عن زَلَلٍ، أو وقوفٍ على الباب إلى ربِّ الأرباب، وتَلَمَّحْ سرعة زوالِ بَليَّتِك تَهُنْ، فلولا كُرَبُ الشِّدَّةِ ما رُجِيَتْ ساعةُ الرَّاحة، وأَجْمِعِ اليأسَ ممَّا في أيدي النَّاسِ تَكُنْ أغناهم، ولا تَقنطْ فَتُخْذل، وتذكَّرْ كثرة نِعَم اللَّه عليك، وادفعِ الحزنَ بالرِّضا بمحتوم القضاء، فطُول الليل وإن تناهى فالصُّبحُ له انفلاجٌ، وآخرُ الهمِّ أوَّل الفرج، والدَّهرُ لا يبقى على حال، بل كلُّ أمرٍ بعده أمرٌ، وما من شدةٍ إلَّا سَتَهُون، ولا تيأسْ وإن تضايَقَتِ الكروبُ فلن يَغْلِبَ عسرٌ يُسرَيْن، وتضرَّع إلى اللَّه يَزْهُ نحوَكَ الفرج، وما تجرَّع كأسَ الصَّبرِ معتصمٌ باللَّهِ إلَّا أتاه المَخْرَج؛ يعقوب عليه السلام لمَّا فَقَدَ ولداً وطال عليه الأمدُ لم ييأس من الفرج، ولَمَّا أُخِذَ ولدُه الآخَر لم ينقطعْ أَمَلُه من الواحد الأحد؛ بل قال: ﴿فَصَبۡرٞ جَمِيلٌۖ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَأۡتِيَنِي بِهِمۡ جَمِيعًاۚ﴾.

وربُّنا وحده له الحمدُ وإليه المشتكى، فإذا تكالبتْ عليك الأيامُ، وأُغلِقت في وجهك المسالكُ والدروب، فلا تَرجُ إلَّا اللَّه في رفع مصيبتك ودفْعِ بليَّتِك، وإذا ليلةٌ اختلط ظلامُها، وأرخى اللَّيلُ سِربَال سِتْرِها، قَلِّبْ وجهَك في ظلماتِ اللَّيل في السَّماء، وارفعْ أكفَّ الضَّراعةِ ونادِ الكريم أن يُفرِّجَ كربَك، ويُسهِّلَ أمرَك، وإذا قَوِيَ الرَّجاءُ، وجُمِعَ القلبُ، في الدُّعاء لم يُردَّ النِّداء: ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلۡمُضۡطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكۡشِفُ ٱلسُّوٓءَ﴾، وتوكَّلْ على القدير، والْجأْ إليه بقلبٍ خاشعٍ ذليل، يُفتحْ لك البابُ، يقول الفضيل بن عياض رحمه الله: «لَوْ يَئِسْتَ مِنَ الخَلْقِ لَا تُرِيدُ مِنْهُمْ شَيْئاً؛ لَأَعْطَاكَ مَوْلَاكَ كُلَّ مَا تُرِيدُ».

إبراهيمُ عليه السلام تَرَكَ هَاجَرَ وابنَه إسماعيلَ بوادٍ لا زرع فيه ولا ماء، فإذا هو نبيٌّ يأمر أهله بالصَّلاة والزَّكاة، وما ضاع يونسُ عليه السلام مجرَّداً في العَرَاء، ومَن فَوَّضَ أمره إلى مولاه حازَ مُنَاهُ، وأَكْثِرْ من دعوة ذي النُّون: ﴿لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبۡحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾، يقول العلماء: «مَا دَعَا بِهَا مَكْرُوبٌ إِلَّا فَرَّجَ اللَّهُ كَرْبَهُ»، قال ابن القيِّم رحمه الله: «وَقَدْ جُرِّبَ أَنَّ مَنْ قَالَ: «رَبِّ إِنِّي مَسَّنِي الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ» سَبْعَ مَرَّاتٍ؛ كَشَفَ اللَّهُ ضَرَّهُ».

فألْقِ كَنَفَك بين يديِ اللَّه، وعلِّق رجاءك به، وسلِّم الأمر للرَّحيم، واسأله الفرج، واقطعِ العلائقَ عن الخلائق، وتحرَّ أوقاتَ الإجابة كالسُّجودِ وآخرِ اللَّيل، وإيَّاك أن تَستطيلَ زمنَ البلاء، وتَضجَرَ من كثرة الدُّعاء، فإنَّك مُبْتَلًى بالبلاء، متعبَّدٌ بالصَّبرِ والدُّعاء، ولا تيأسْ من رَوح اللَّه وإن طال البلاء، فالفَرَجُ قريبٌ، وَسَلْ فاتحَ الأبوابِ فهو الكريم: ﴿وَإِن يَمۡسَسۡكَ ٱللَّهُ بِضُرّٖ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَۖ﴾، وهو الفعَّالُ لِمَا يريد، بَلَغ زكريا عليه السلام من الكِبَرِ عِتيّاً، ثم وُهِبَ بِسَيِّدٍ من فضلاء البشرِ وأنبيائهم، وإبراهيمُ عليه السلام بُشِّرَ بولدٍ وامرأتُه تقولُ بعد يأس من حالها: ﴿ءَأَلِدُ وَأَنَا۠ عَجُوزٞ وَهَٰذَا بَعۡلِي شَيۡخًاۖ﴾.

وإن استبطأتَ الرِّزق؛ فأكْثِرْ من التَّوبة والاستغفار فإنَّ الزَّلَلَ يوجبُ العقوبة، وإذا لم ترَ للإجابة أثراً فتفقدْ أمرَك؛ فربَّما لم تَصدُقْ توبتُك، فصحِّحْها ثمَّ أَقبِلْ على الدُّعاء، فلا أعظمَ جُوداً ولا أسمحَ يداً من الجواد، وتفقدْ ذوي المَسكنةِ فالصَّدقةُ ترفعُ وتدفعُ البلاء.

وإذا كُشِفتْ عنك المِحْنَةُ فأَكْثِرْ مِنَ الحمدِ والثَّناء، واعلم أنَّ الاغترارَ بالسَّلامة من أعظمِ المِحَن، فإنَّ العقوبةَ قد تتأخَّر، والعاقلُ مَنْ تَلَمَّحَ العواقب.

فأَيْقِنْ دَوْماً بقدر اللَّه وخلَقْهِ وتدبيره، واصبر على بلائِه وحُكمِه، واستسلم لأمرِه.

أعوذ باللَّه من الشَّيطان الرَّجيم

﴿قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَىٰنَاۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾.

بارك اللَّه لي ولكم في القرآن العظيم ...

الخطبة الثَّانية

الحمد للَّه على إحسانه، والشُّكر له على توفيقِه وامتنانِه، وأشهد أن لا إله إلَّا اللَّه وحدَه لا شريك له، وأشهد أنَّ نبيَّنا مُحمَّداً عبدُه ورسولُه، صلَّى اللَّه عليه وعلى آله وأصحابه وسلَّم تسليماً مزيداً.

أمَّا بعدُ، أيُّها المسلمون:

فالأحوالُ لا تَثْبُتُ على حال، والسَّعيدُ مَنْ لَازَمَ التَّقوى، إن استغنى زانَتْهُ، وإن افتقر أَغْنَتْه، وإن ابْتُلِيَ جَمَّلَتْه، فلَازمِ التقوى في كلِّ حال، فإنَّك لا ترى في الضِّيقِ إلَّا السَّعَة، ولا في المرضِ إلَّا العافية، ولا في الفقرِ إلَّا الغنى.

والمقدورُ لا حِيلةَ في دفعه، وما لم يُقدَّرْ لا حيلة في تحصيله، والرِّضا والتَّوكُّل يَكتنفانِ المقدور، واللَّهُ هو المُتفرِّدُ بالاختيارِ والتَّدبير، وتدبيرُه لعبده خيرٌ من تدبيرِ العبدِ لنفسه، وهو أرحمُ به منه بنفسه، يقول داود بن سليمان رَحِمَهُ اللَّهُ: «يُسْتَدَلُّ عَلَى تَقْوَى المُؤْمِنِ بِثَلَاثٍ: حُسْنِ التَّوَكُّلِ فِيمَا لَمْ يَنَلْ، وَحُسْنِ الرِّضَا فِيمَا قَدْ نَالَ، وَحُسْنِ الصَّبْرِ فِيمَا قَدْ فَاتَ».

ومَن رَضِيَ باختيار اللَّهِ أصابه القَدرُ وهو محمودٌ مشكورٌ ملطوفٌ به، وإلَّا جرى عليه القَدرُ وهو مذمومٌ غير ملطوفٍ به، ومع هذا فلا خروجَ عمَّا قُدِّر عليك، قيل لبعض الحكماء: «مَا الغِنَى؟ قَالَ: قِلَّةُ تَمَنِّيكَ وَرِضَاكَ بِمَا يَكْفِيكَ»، يقول شُريحٌ رَحِمَهُ اللَّهُ: «مَا أُصِيبَ عَبْدٌ بِمُصِيبَةٍ

إِلَّا كَانَ لَهُ فِيهَا ثَلَاثُ نِعَم: أَنَّهَا لَمْ تَكُنْ فِي دِينِهِ، وَأَنَّهَا لَمْ تَكُنْ أَعْظَمُ مِمَّا كَانَتْ، وَأَنَّ اللَّهَ رَزَقَهُ الصَّبْرَ عَلَيْهَا إِذْ صَبَرَ».

ثمَّ صلُّوا وسلِّموا - عبادَ اللَّه - على خيرِ خلقِ اللَّهِ مُحمَّدِ بنِ عبدِ اللَّه؛ فقد أمركم اللَّهُ بالصَّلاة والسَّلام على نبيِّه ...

الثَّبَاتُ عِنْدَ المُصِيبَةِ(١)

إنَّ الحمدَ للَّه، نَحمدُه ونَستعينُه ونَستغفرُه، ونَعوذُ باللَّهِ من شرورِ أنفسِنا ومن سيِّئاتِ أعمالِنا، مَنْ يَهده اللَّهُ فلا مُضلَّ له، ومَنْ يُضْلِلْ فلا هَاديَ له، وأشهد أن لا إله إلَّا اللَّه وحدَه لا شريك له، وأشهد أنَّ مُحَمَّداً عبدُه ورسولُه، صلَّى اللَّه عليه وعلى آله وأصحابه وسلَّم تسليماً كثيراً.

أمَّا بعدُ:

فاتَّقوا اللَّه - عبادَ اللَّه - حقَّ التَّقوى، وراقبوه في السِّرِّ والنَّجوى.

أيُّها المسلمون:

قدَّر اللَّهُ المقاديرَ والآجال، ونسخَ الآثارَ والأعمال، وخلقَ السمواتِ والأرضَ والموتَ والحياةَ للابتلاء؛ قال سبحانه: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾، فجُبِلَتِ الدُّنيا على الأخطار والأكدار، هذا مُبْتَلًى بالجوع، وآخَرُ بالخوف، وذلك بنقصِ الأنفس، وأولئك بالأموال.

والمِحَنُ لا تَعْرِفُ زماناً ولا جنساً، ولا مكاناً ولا سنّاً، قال ﷻ: ﴿وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾.

---

(١) أُلقِيَتْ يوم الجمعة، السَّادس والعشرين من شهر محرَّم، سنة ثلاثين وأربع مئة وألف من الهجرة، في المسجد النَّبويِّ.

والإيمانُ بالأقدار خيرِها وشرِّها: ركنٌ من أركان الإيمان، والمؤمنُ ثابتٌ عند الشَّدائدِ والعظائم، لا تُزَعْزِعُهُ البلايا والمِحَن، يَسِيرُ مع القضاء كيفما كان، مؤمناً به، مفوِّضاً أمره إلى اللَّه، متوكِّلاً عليه.

والابتلاءُ مَسْلَكُ العظماء؛ سُئل النَّبيُّ ﷺ: «أَيُّ النَّاسِ أَشَدُّ بَلَاءً؟ قَالَ: **الأَنْبِيَاءُ، ثُمَّ الصَّالِحُونَ، ثُمَّ الأَمْثَلُ فَالأَمْثَلُ مِنَ النَّاسِ؛ يُبْتَلَى الرَّجُلُ عَلَى حَسَبِ دِينِهِ، فَإِنْ كَانَ فِي دِينِهِ صَلَابَةٌ زِيدَ فِي بَلَائِهِ، وَإِنْ كَانَ فِي دِينِهِ رِقَّةٌ خُفِّفَ عَنْهُ**»، وابتلاءُ المؤمنِ إنَّما هو لتمام أجرِه وعلوِّ منزلته؛ قال ﷺ: «**وَمَا يَزَالُ البَلَاءُ بِالعَبْدِ حَتَّى يَمْشِيَ عَلَى ظَهْرِ الأَرْضِ وَلَيْسَ عَلَيْهِ خَطِيئَةٌ**» (رواه أحمد)، قال ابنُ رجبٍ رحمه الله: «وَإِنَّمَا يُعْرَفُ قَدْرُ البَلَاءِ، إِذَا كُشِفَ الغِطَاءُ يَوْمَ القِيَامَةِ».

والمسلمُ عزيزٌ عظيمٌ لا يَنكسِرُ أمام البلايا؛ قال النَّبيُّ ﷺ: «**مَثَلُ المُؤْمِنِ كَالخَامَةِ مِنَ الزَّرْعِ** - وَهِيَ: أَوَّلُ مَا يَنْبُتُ -، **تُفَيِّئُهَا الرِّيحُ مَرَّةً** - أَيْ: تُمَيِّلُهَا -، **وَتَعْدِلُهَا مَرَّةً** - أَيْ: يُبْتَلَى ثُمَّ يَعُودُ إِلَى قُوَّتِهِ -، **وَمَثَلُ المُنَافِقِ كَالأَرْزَةِ** - أَيْ: كَشَجَرَةِ الأَرْزِ -، **لَا تَزَالُ حَتَّى يَكُونَ انْجِعَافُهَا** - أَيْ: سُقُوطُهَا - **مَرَّةً وَاحِدَةً** - أَيْ: أَنَّهَا قَوِيَّةٌ فِي رَأْيِ العَيْنِ لَكِنَّهَا فِي حَقِيقَتِهَا ضَعِيفَةٌ تَسْقُطُ مَرَّةً وَاحِدَةً -» (متفق عليه).

وكان نَهْجُ الأنبياء عليهم السلام: القُوَّةَ عند البلاء، والثَّباتَ على الدِّين عند المحن، وكان من دعاء النَّبيِّ ﷺ: «**اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الثَّبَاتَ فِي الأَمْرِ، وَالعَزِيمَةَ عَلَى الرُّشْدِ**» (رواه النسائي).

والخليلُ إبراهيمُ عليه السلام كَسَّر الأصنام، وقال أعداؤه: ﴿فَأْتُواْ بِهِۦ عَلَىٰٓ أَعْيُنِ ٱلنَّاسِ﴾؛ ليروا عذابنا له، فلم يخش منهم وقال: ﴿أُفٍّ لَّكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾، وهدَّدُوه بالحَرقِ بالنَّار، فلم يزده إلَّا أَملاً باللَّهِ، وقال: ﴿رَبِّ هَبْ لِى مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾؛ فبشَّرَه اللَّه بغلام حليم، ولَمَّا قال له أبوه: ﴿يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ﴾، لم يضعفْ عن الدَّعوة وقال: ﴿سَلَٰمٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّىٓ إِنَّهُۥ كَانَ بِى حَفِيًّا﴾.

ويوسفُ عليه السلام - وهو في السِّجن - لم يُقْعِدْه حزنٌ عن الدَّعوة إلى التَّوحيد: ﴿يَٰصَٰحِبَىِ ٱلسِّجْنِ ءَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ﴾.

ولوطٌ عليه السلام قال له قومه: ﴿لَئِن لَّمْ تَنتَهِ يَٰلُوطُ لَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُخْرَجِينَ﴾، فقال لهم بعزَّةٍ: ﴿إِنِّى لِعَمَلِكُم مِّنَ ٱلْقَالِينَ﴾ أي: المُبْغِضِينَ.

وشعيبٌ عليه السلام توعَّدوه بالإخراج إن لم يتَّبِعْ دينَهم، فقال لهم: ﴿قَدِ ٱفْتَرَيْنَا عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا إِنْ عُدْنَا فِى مِلَّتِكُم بَعْدَ إِذْ نَجَّىٰنَا ٱللَّهُ مِنْهَا﴾.

ويونسُ عليه السلام لم يُثْنِه الهمُّ عن التَّعلُّقِ بربِّه وهو في بطن الحوت؛ بل كان ينادي ربَّه بالتَّوحيد: ﴿لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّى كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾.

وفرعونُ يَتَّهِمُ موسى بالجنون، ويقول: ﴿إِنَّ رَسُولَكُمُ ٱلَّذِىٓ أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ﴾، فلم يلتفت موسى إلى قوله؛ بل دعاه إلى التَّوحيد، وقال: ربِّي هو: ﴿رَبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ﴾، ولـمَّا جمع فرعونُ سَحَرتَه لإرجاف موسى: ﴿قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمُ ٱلزِّينَةِ﴾ أي: يومُ العيد؛ ليرانا جميعُ الناس، وكان ذلك في موقفٍ مَهول، قال

موسى - وهو واثقٌ بنصرِ اللَّهِ مُتيقِّنٌ من هزيمتهم -: ﴿أَلْقُواْ مَآ أَنتُم مُّلْقُونَ﴾.

ولمَّا خَذَله بنو إسرائيل واستنكفوا عن القتال وقالوا: ﴿فَٱذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَـٰتِلَآ إِنَّا هَـٰهُنَا قَـٰعِدُونَ﴾ لم يَتوانَ عن إنفاذِ أَمْرِ ربِّه، بل قاتلَ، وقاتَلَ معه أتباعُه، ونصرهُمُ اللَّه، ولمَّا خرج مِنْ مِصرَ تَبِعه فرعون، فإذا البحرُ أمامَه، وفرعونُ خلفَه، فـ﴿قَالَ أَصْحَـٰبُ مُوسَىٰٓ إِنَّا لَمُدْرَكُونَ﴾، فقال بإيمانٍ راسخٍ وقوَّةٍ باللَّهِ: ﴿كَلَّآ ۖ إِنَّ مَعِىَ رَبِّى سَيَهْدِينِ﴾.

ونبيُّنا مُحمَّدٌ ﷺ حُبِس في أَحَدِ شِعابِ مكَّة ثلاثَ سنوات، ولم يتوقَّفْ عن الدَّعوة، وسخروا منه وقالوا: ساحرٌ وكذَّابٌ ومجنونٌ، فأعْرَضَ عنهم؛ وأخرجوه من بلده مكَّة: ﴿إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ﴾، فأكملَ إبلاغَ رسالةِ ربِّه في بلدٍ آخر.

وفي بدرٍ يرى كثرةَ المشركين، ويقول: إِنِّي أُرِيْتُ مصارعَ القوم، وأُصيب المسلمون في أُحدٍ، وسار إلى خيبرَ للقتال، وتجمَّعت عليه الأحزابُ في غزوة الخندق، ثم سار إلى مكَّة لفتحها، وقال بعد غزوة الخندق: «**الآن نَغْزُوهُمْ وَلَا يَغْزُونَنَا**» (رواه البخاري)، وأُصيب المسلمون في حنين، ثمَّ غزا الرُّومَ في تبوك.

وكُسِرَت رَبَاعِيَته وشُجَّ رأسُهُ، وسال الدَّمُ على وجهه، وسحَرَه اليهود، ووُضِع له السُّمّ، وربَطَ الحجارةَ على بطنه من شدَّة الجوع، ورُمِي في بيته بالإفك، ومات ستَّةٌ من أولاده، ولم يبق له من أولاده سوى فاطمةَ رضي الله عنها؛ فما صدَّه ذلك عن نفع الناس بالعلم والنُّور.

وأثنى اللَّهُ على صبر الرُّسُل وعزيمتِهِم بقوله: ﴿وَجَعَلْنَٰهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا﴾.

والصَّحابةُ رضي الله عنهم أُخرِجُوا من ديارهم، فما وَهَنَهُمُ الخروجُ عن نُصرة الدِّين؛ فَجَعَلَ اللَّهُ كنوزَ كسرى وقَيْصرَ تحتَ أيديهم، وفي غزوة الخندق: يَمسُّهم البَرْدُ والجوعُ والقلوبُ لدى الحناجر من الخوف؛ فصبروا على ذلك لإبلاغ دين اللَّه.

وأصاب الصَّحابةَ مصابٌ جَلَلٌ؛ وهو وفاة النَّبيِّ ﷺ؛ فلم يَقِفْ حزنُهم على موته عائقاً دون استمرارهم في الدَّعوة إلى اللَّه والجهادِ في سبيله، فساروا على نهج النَّبيِّ ﷺ في حياته، فأنفذ أبو بكرٍ رضي الله عنه جيشَ أسامة، وقاتَل المُرتدِّين، وقاتَل مانِعِي الزَّكاة، فنصر اللَّهُ الإسلام، وأظهرَهُ على الدِّين كلِّه.

وبعدُ، أيُّها المسلمون:

فدينُ اللَّهِ متين، واللَّه ناصرُه وناصرٌ أتباعَه؛ قال سبحانه: ﴿كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِيٓ﴾، ولئن ضَعُفَ المسلمون في زمنٍ، فاللَّه ناصرُهم إنْ عادوا إليه: ﴿إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرْكُمْ﴾، ولَئِن انكسر المسلمون في موقفٍ، فهم المنتصرون وإن انهزموا، ومِحنةُ المؤمنِ خفيفةٌ منقطعة، ومحنةُ الكافر شديدةٌ متَّصلة؛ قال عز وجل: ﴿وَلَا تَهِنُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾.

وَفَرَحُ الكافرين بنصرٍ على الضُّعفاء هو ذلٌّ لهم؛ قال عز وجل: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحَآدُّونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ أُوْلَٰٓئِكَ فِي ٱلْأَذَلِّينَ﴾، قال ابن القيِّم رحمه الله: «ما

يُصِيبُ الكَافِرَ مِنَ العِزِّ وَالنَّصْرِ، دُونَ مَا يَحْصُلُ لِلْمُؤْمِنِينَ بِكَثِيرٍ؛ بَلْ بَاطِنُ ذَلِكَ ذُلٌّ وَكَسْرٌ وَهَوَانٌ، وَإِنْ كَانَ فِي الظَّاهِرِ بِخِلَافِهِ».

وإمهالُ اللَّهِ لظلمِ الكافرين؛ لِيَزْدَادُوا من الإثمِ والعذاب.

أعوذ باللَّه من الشَّيطان الرَّجيم

﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ خَيْرٌ لِّأَنفُسِهِمْۚ إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوٓاْ إِثْمًاۚ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾.

بارك اللَّه لي ولكم في القرآن العظيم ...

الخطبة الثَّانية

الحمد للَّه على إحسانه، والشُّكر له على توفيقِه وامتنانِه، وأشهد أن لا إله إلَّا اللَّه وحدَه لا شريك له تعظيماً لشأنه، وأشهد أنَّ نبيَّنا مُحمَّداً عبدُه ورسولُه، صلَّى اللَّه عليه وعلى آله وأصحابه وسلَّم تسليماً كثيراً.

أيُّها المسلمون:

في الابتلاء مع الأعداء؛ تمحيصٌ للإيمان، ورِفْعَةٌ للأجور، وتكفيرٌ للسَّيِّئاتِ، واتِّخاذُ شهداء، ونصرةٌ للدِّين، وعودةٌ للمسلمين إلى اللَّه، وظهورُ مكرِ أعداء الدِّين.

وما يُصابُ به المسلمون من ابتلاء؛ إنَّما هو إيقاظٌ لهم، ودافعٌ إلى محاسبة أنفسهم، والرُّجوعِ إلى اللَّه، والقيامِ بأوامره، ونبذِ أسباب الضَّعف والخلاف، وطلبِ النَّصر من اللَّه.

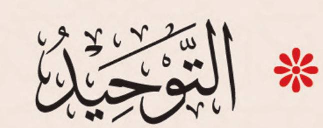
ثمَّ اعلموا أنَّ اللَّه أمركم بالصَّلاة والسَّلام على نبيِّه ...

فِهْرِسُ المَوْضُوعَاتِ



سلسة من خطب المسجد النبوي















ردمك: ٢-٠٧٩٧-٠٤-٦٠٣-٩٧٨